ملكة الجحيم

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

الكتاب: ملكة الجحيم

- **المؤلف: أحمد أبو النجا**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2020 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2018 / 1685**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-91-1**
- الغلاف: فريق ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

ملكة الجحيم

رواية

أحمد أبو النجا

www.bbibliomania.com

2020

إهداء

إلى روح فقيد شباب مصر والزعيم الوطني الثائر

(مصطفى كامل)

(هو وشهداء قرية دنشواي جميعا)

*****

إهداء خاص

إلى فخر مصر والعرب

محمد صلاح

*****

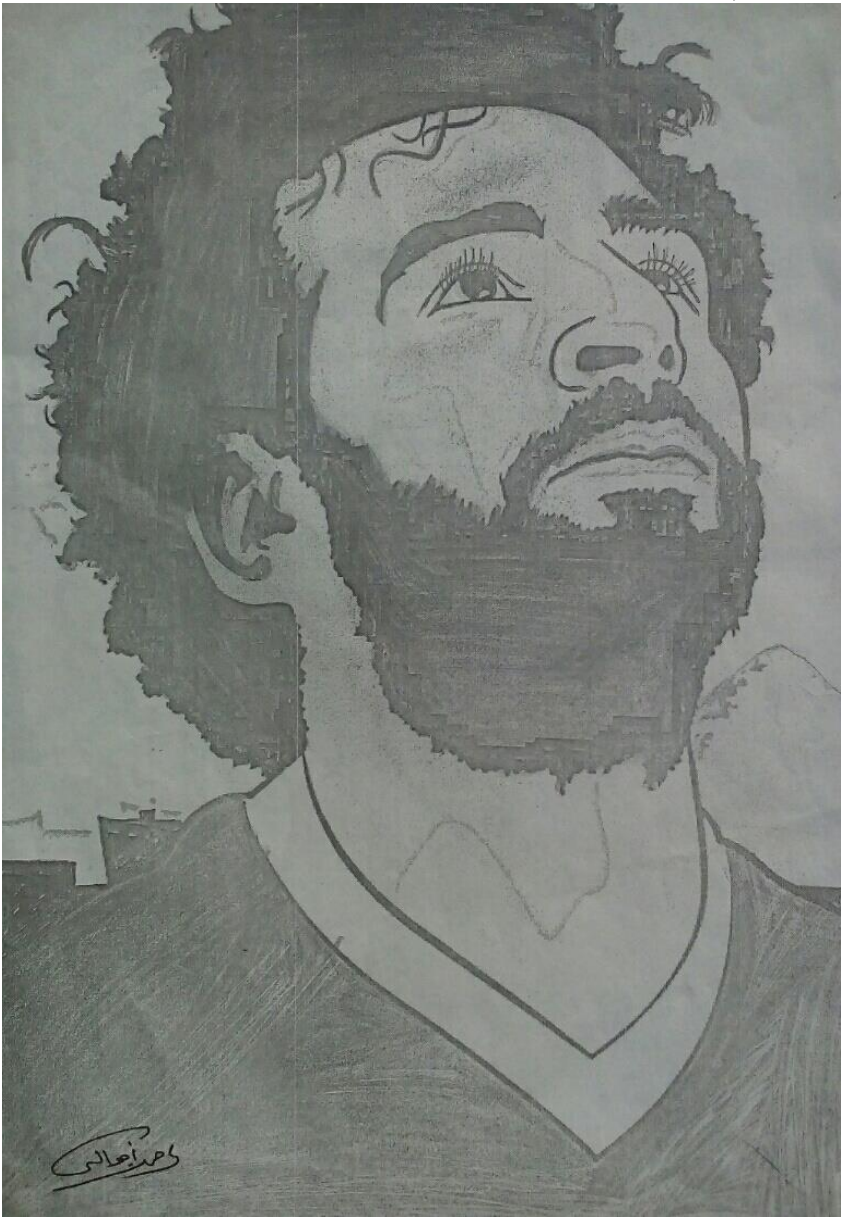

الشيطانة ليليتو أو(ليليث).

تقول الأساطير العبرية أن (الله)الخالق الأعظم عندما خلق أبينا (أدم) من التراب قامبخلق(ليليث) كزوجة له قبل أن يخلق له أمنا (حواء) منضلعه ، وقد خلق (الله) (ليليث) من نفس التراب وبنفس الطريقة التي خلق بها أبينا (أدم) تماما حيثنفخ فيها من روحه وأمرها بطاعة زوجها أدم. لكن (ليليث) رفضت أن تكون مجرد تابعة لزوجها وأن يكون هو صاحب الكلمة العليا وأن ترضخى لأمره.

في نفس الوقت كان(الشيطان) اللعين يحرضها على المعصية مثلما فعل هوفعصت مثله.

وأسرعت بالهرب مع (الشيطان) معه وأصبحت عشيقة له. وأخذت تنجب منه مائه طفل كل يوم. فشكاها زوجها (أدم) إلى الخالق الذي بعث إليها بثلاثة من الملائكة لإرجاعهاوهم(سينونى)و(سنسنونى)و(سافينيجيلوف).لكنها أصرت على عصيانها ورفضت العودة فغضب (الله) عليها وأمر ملائكته بقتل مائه من أولادها كل يوم كما أصابها بالعقم وجعلها غير قادرة علي الإنجاب نهائيا.

وخلق (الله) القدير أمنا (حواء) من ضلع أبينا(أدم) هذه المرة لتكون أقل منه شأنا. لذلك غضبت (ليليث) أشد الغضب وقررت الانتقام من جميع ذرية (أدم) و(حواء).

ولقد كان الأقدمين يعتقدون بأن (ليليث) تقوم بقتل الأطفال في رحم أمهاتهم.لذلك كانت النساء قديما يعتقدون بأن الطفل الذي يولد ميتا تكون (ليليث) هي من قتلته وهو داخل رحم والدته فيؤخذ سريعا ويدفن في الخرائب لأنهم كانوا يعتقدون بأنه يتحول إلي تنين.

ولقد كانت نساء أوربا قديما يحيطون فراش أطفالهم بتمائم وتعاويذ لحمايتهم من شر (ليليث). ولقد ورد في الكتاب المقدس وصف (ليليث) وهو ما يلي. كان (ليليث) تمتلك مخالب وأنياب وأجنحة والعديد من الأذرع كما يخرج من ظهرها جناحان عملاقان كما يكسو نصفها الأسفل شعرا .

وهى تأتي ليلا فتقوم بقتل الأطفال في مهدهم وامتصاص دمائهم ثم تلتهم لحمهم في وحشية هائلةوهى الحية التي قامت بإغواء (أدم) و(حواء)وليس (إبليس) هو الفاعل كما يعتقد الكثيرون.

والشيطانة (ليليث) فاتنة بدرجة شهوانية تتجسد للرجال ليلا وبعد أن تنتهي من معاشرتهم الجنسية تقوم بقتلهم وامتصاص دمائهم بلا رحمة

ولقد ذكرت (ليليث) في بعض النصوص الإنجيلية بأنها روح شيطانية خبيثة نجسة.

ولقد ظهراسم (ليليث) لأول مرة في المعارف اليهودية باللغة العبرية في العهد القديم عام ٧٠٠ قبل الميلاد.

فلقد أخذ اليهود أسم (ليليث) من اللغة السومرية حيث كانت يطلق عليها هناك أسم(ليليتو)في سومر فحورها اليهود إلى اسم (ليليث).

ولقد ظهر أسم (ليليتو) لأول مرة منذ ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد فوق قرص طيني سومري قد عثر عليه بمدينة (أور) السومرية.

حيث نقشت فوقه أسطورة تحكي بأن الشيطانة (ليليتو) كانت تسكن شجرة الصفصاف بجوار تنين هائل حيث تنشر الرعب والموت بين الناس هى والتنين حتى جاء البطل العظيم (جلجامش) فقتل التنين وقام بقطع شجرة الصفصاف التي تختبئ بها ولكنها استطاعت الهرب منه وعاشت في الخرائب والغابات المظلمة للأبد.

فشجرة الصفصاف هى مكانها المفضل للراحة تماما مثل التابوت بالنسبة لمصاصي الدماء.ولقد ظهرت شخصية (ليليث) في العديد من الحضارات والأساطير القديمة بأسماء وأشكال عديدة ،فإنها (إيزيس) في الحضارة المصرية القديمة .

وهى (عشتار) وهى (أماتشوا) التي تخطف الأطفال لتلتهم لحومهم وترتوي بدمائهم ، ولقد تخيلها البعض على شكل كائن مرعب برأس أسد وجسد حمار.

وفي الحضارة الهندية هى(فيتالا) التي تسكن جثث الموتى وهى أيضا الآلهة (كالي) الرهيبة التي تمتلك أربع أزرع وتنشر الرعب والفزع والموت بين البشر.

ولذلك فلقد أقام لها الهنود الكثير من المعابد بجانب المقابر لولعها الشديدبرائحة الدماء وجثث الموتى...وفي بلاد الرافدين هى شيطانة العواصف والأعاصير حيث تحمل الموت والمرض معها بداخل الرياح.

(ليليث) أو (ليليتو) هى كل روح نسائية شيطانية خبيثة في كل الحضارات القديمة تقريبا. ويبقى السؤال معلقا للأبد؟

من هى الشيطانة(ليليث)؟ هل هى مجرد أسطورة ابتدعها الأقدمين. أم هي حقا زوجة أبينا (أدم) التي خلقها الله كزوجة له قبل (حواء) ولكنها عصت هى الأخرى مثل (الشيطان). أم هى جن أو شبح أو مجرد وهم تخيله عقول الأقدمين.

سوف نترك ذلك للزمن ليجيب عنه وسوف نذهب لنلتقي بها هى وعصاها الملعونة.

هيا معي لنتصفح أوراق تلك الرواية لنقرأ ونتعرف أكثر وأكثر وأتمنى بأن تنال هذه الرواية إعجابكم ولوحاتي أيضا.

الكاتب: (أحمد أبوالنجا)

(الشيطانة ليليتو أو ليليث)

شاكر باشا الأسيوطي.

(تبدأ أحداث تلك الرواية عام ١٩٠٦م في ذلك الزمن الذي كانت فيه بريطانيا العظمى تحتل المملكة المصرية لنهب ثروتها وخيراتها ،والتحكم في الشرق حيث كانت المملكة المصرية هى مفتاح الشرق بأكمله.

فمنذ قيام القائد الفرنسي العظيم (نابليون بونابرت)بحملته الفرنسية الشهيرةعلى مصر ومن وقتهاتنبه العالم أجمع وخاصة بريطانيا لمكانة وأهمية موقع مصر الجغرافي وثرواتها الكثيرة.

ومنذ ذلك الوقت كانت بريطانيا تتحين الفرصة تلو الأخرى للتدخل في شئون مصر حتى جاءتها فرصة ذهبية فوق طبق من فضة.

وكانت تلك الفرصة عندما قام الجيش المصري بقيادة الزعيم المصري الثائر(أحمد عرابي) بثورة ضد الخديوي(توفيق) خديوي مصر في ذلك الوقت.

ولقد اتخذت بريطانيا من ثورة (عرابي) ذريعة لاحتلال المملكة المصرية حيث أوهمت الجميع بمساعدة الملك (توفيق) ضد الثورة التي قام بها ضباط الجيش تحت قيادة (أحمد عرابي) كما ادعت بأنها تقوم بحماية مصالحها في الشرق وكان ذلك في عام ١٨٨٢م.) (وقائع تاريخية)

تبدأ قصتنا هذه في وقت كانت مصر تحت الحماية البريطانية وبالتحديد من محافظة المنوفية إحدى محافظات مصر العريقة.

هناك داخل ذلكالقصر المنيف الذي يمتلكه (شاكر باشا الأسيوطي)أحد أعيان محافظة المنوفية وأبن أحد أكبر أعيان مدينة أسيوط(محمد باشا الأسيوطي) والذي كان محبوبا من جميع أهالي بلدته فقراء وأغنياءفلقد كان كريما شديد العطاء والكرم وكان يعطي للفقراء دون حساب.

ولقد ورث (شاكر) من أبيه حب الناس بالإضافة لثروة طائلة من الأموال والأراضي وكان محبوبا من جميع المزارعين الذين يعملون لديه في الحقول التي يملكها هم وجميع أهل مدينته.

ولقد كان (شاكر) باشا رجلا وطنيا بحق ، وكان صديقا شخصيا للزعيم الوطني الشاب(مصطفى كامل باشا).

كما كان دمث الخلق لذلك فلقد أحبه الجميع ولم يكن يعامل أحدا من العاملين لديه كما يفعلون الإقطاعيين في ذلك الوقت من الزمن تماما كما علمه والده رحمه الله.

ولكن الشئ الوحيد الذي عكر صفو العلاقة بينه وبين أهل بلدته أسيوط هو قيام(شاكر)بالزواج من فتاة إنجليزية تدعى الليدي(صوفيا) ابنةالسير (توماس) أحد كبار ضباط الاحتلال الإنجليزي في مصر.

ولكن الحق يقال فلقد كان السير (توماس) يختلف عن كل ضباط الاحتلال فلقد عشق الرجل مصر وشعبها عشقا كبيرا حتى إنه ترك الخدمة بجيش بلاده وعاش أعوام عديدة في مصر كمواطن مصري بل لقد أعلن إسلامه أيضا.

ولكن كل ذلك لم يشفع له عند المصريين حيث كانوا يعتبرونه أحد ضباط الاحتلال الإنجليزي فما تزال خديعة (نابليون بونابرت) القائد الفرنسي راسخة في أذهانهم وذاكرتهم عندما خدعهم بإشهار إسلامه ثم ما لبث أن قام باقتحام جامع الأزهر الشريف هو وجنوده بخيولهم.

لذلك فجميع الفرنجة ما هم إلا محتلين ومغتصبينلأرض مصر مهما أظهروا من حب ومودة تجاههم.

ولقد كان السير (توماس) يذهب لبلاده إنجلترالقضاء فصل الصيف هناك ثم ما يلبث أن يعود إلى مصر في فصل الشتاء ليستمتعبجوها العليل وهواءها الدافئ في ذلك الوقت من السنة عكس هواء بلاده القارص.

وفي ذلك الوقت تعرف بوالد (شاكر) (محمد باشا الأسيوطي) حيث نشأت بينهم صداقة بالغة ، ليصبحوا صديقين حميمين لا يفترقان إلا نادرا.

وكان السير (توماس) يذهب لزيارة صديقه (محمد باشا الأسيوطي) كل شهر حيث يمكث مع صديقه عدة أيام داخل قصره المنيف بمدينة أسيوط وكان يصطحب أبنته الفاتنة (صوفيا) معه دائماوعندما أبصرها (شاكر)أحبها وفتن بجمالها وحسنها وعيناها الزرقاء كسماء صافية بلا غيوم ، وشعرها الذهبي كخيوط الشمس وبشرتها البيضاء الضاربة للحمرة كباقي بني جنسها.

ولم ينقضي عاما واحدا حتى كان(شاكر)متزوجا من الليدي (صوفيا) وكانت فرحة أبيها السير (توماس) عظيمة بعد أن أصبح صهرا لصديقه الوحيد.

ولكن الرياح لا تأتي دائما بما تشتهي السفن فلقد مرض والد (شاكر) بمرض شديد لعدة أشهر وما لبث أن فارق الحياة تاركا خلفه حزنا بالغا من أهل أسيوط جميعا فقراءها قبل أغنياءها فلقد كان الرجل شديد العطاء محبوبابين الفقراء لكرمه وإحسانه الدائم لجميع أهالي أسيوط.

عكس باقي الإقطاعيين في ذلك العهد حيث كانوا يقومون بامتصاص دماء الفقراء والعاملين لديهم فلقد كانوا يجعلوهم يعملون بزراعة حقولهم بالسخرة ثم يلقون لهم بالفتات التي لا تكاد تكفيهم لسد جوعهم.

ولقد حزن السير (توماس)أشد الحزن على فقدان صديقه العزيزحتى قد قرر العودة لإنجلترا وعدم العودة لمصر مرة ثانية.

كذلك قرر (شاكر) ترك مدينة أسيوط والعيش في مدينة أخرى ، ولكن موت والده لم يكن سوى أحد الأسباب لتركه مدينته التي نشأ وترعرع بها.

فالسبب الرئيسي كانت زوجته (صوفيا) حيث كان أهل أسيوط يعتبرونها ابنة أحد المحتلين لبلادهم مصر وإن زواجها من (شاكر) كان شؤما وخرابا عليهم فلقد مات (الأسيوطي) الكبير بعد الزواج مباشرتا.

لذلك فلقد قام (شاكر) بشراء عدداكبيرا من الأفدنة داخل محافظة المنوفية وقام ببناء قصرا شديد الفخامة والضخامة ليقيم به هو وزوجته (صوفيا) وأبناءه الاثنين ، حيث رزقه الخالق بطفلين توأم من الذكور كانوا شديد الشبه به رغم حصولهم على عيون والدتهم الزرقاء وشعرها الذهبي.

ولقد أطلق على أحدهم اسم (مصطفى) تيمنا بصديقه العزيز على قلبه (مصطفى كامل باشا) بينما أطلق على الآخر اسم (أحمد).

كذلك كان أحد أسباب انتقال (شاكر) من مدينة أسيوط لمحافظة المنوفية أن يكون قريبا من القاهرة حيث كان يملك هناك وكالة ضخمة لبيع محاصيل وثمار حدائقه ومزارعه العديدة.

كانت (صوفيا) زوجته فاتنة رقيقة القلب ذات ملامح ملائكية ولكنها كانت أحيانا تتعالى على خدمها بأسلوب المستعمر البغيض.

لكنها كانت تعود لرشدها على الفور عندما يحدجها زوجها (شاكر) بنظره غاضبة.

فلقد كانت تحبه لطيبته البالغة ولكنها كانت تهابه في نفس الوقت فعندما يثور لا يستطيع أحدا أن يقف في طريق ثورته.

فلقد كان ذلك الأخير ينطبق عليه ذلك المثل القائل "اتقي شر الحليم إذا غضب".

ولكن دعنا لا نسترسل في الحديث عن (شاكر)وعائلته أكثر من ذلكبل دعنا نذهب لمحافظة المنوفية حيثذلك القصر الذي انتقل إليه (شاكر)هو وعائلته منذ بضعة أشهر فقط لتبدأ قصتنا الرهيبة.

قصة عصا (ليليتو) الملعونة فإلى هناك.

*****

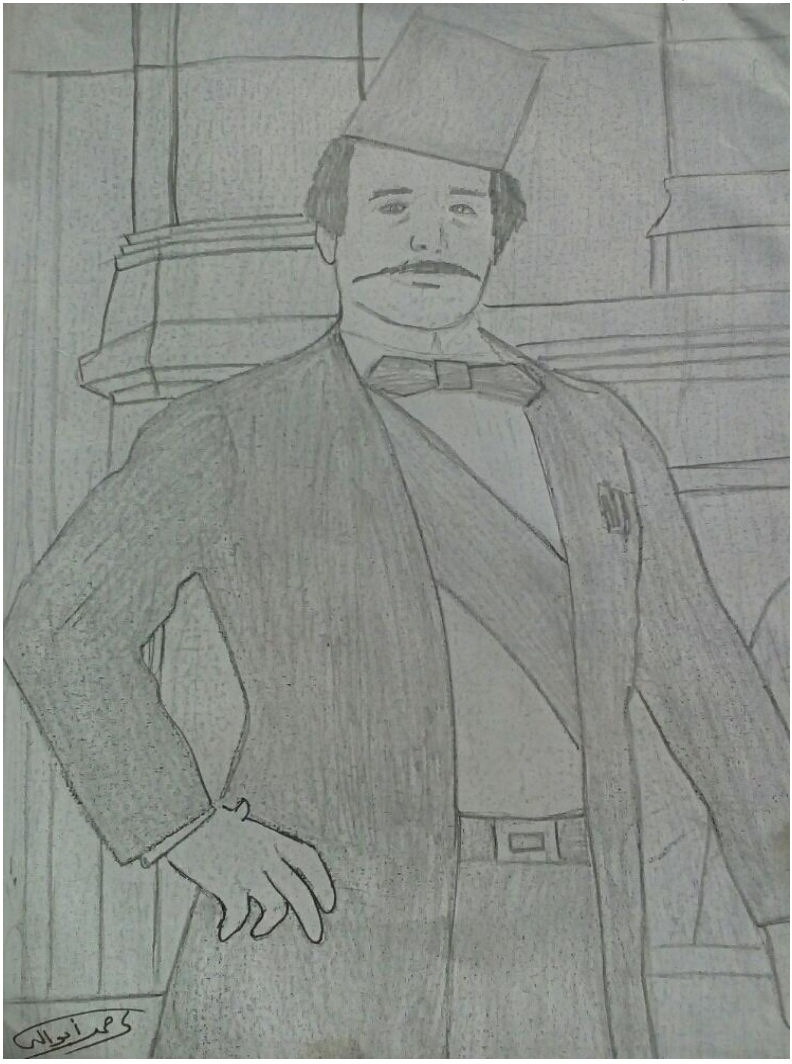

(شاكر باشا الأسيوطي)

داخل حجرة مكتب كبيرة الحجم بديعة الأثاث جلس (شاكر باشاالأسيوطي) خلف مكتبه المصنوع من خشب الزان الفاخر والذي صنع بطريقة الارابيسك على الطريقة العثمانية الشهيرة.

كان (شاكر) داكن البشرة ذو أنف مستقيم وفم واسع وزوج من الأعين بنية اللون ، وقد أنسدل شعره الأسود الناعم فوق جبهته العريضة التي تنم عن ذكاء كبير.

وقد أخذ يتحسس شارب الكث بأصابع يده اليمنى ، كان ذلك الأخير طويل القامة عريض المنكبين ذات صدر عريض ينم عن القوة والعزيمة البالغة.

وكان يرتدي روب منزلي أزرق اللون ولقد ظهرت من أسفله بيجامة بيضاء اللون مصنوعة من الحرير الطبيعي.

كان جالسا خلف مكتبهيطالع كتاب ضخم الحجم يتحدث عن تاريخ الدولة الرومانية.

فلقد كان (شاكر) عاشقا للقراءة منذ الصغر تلك الهواية التي زرعها والده بداخله منذ طفولته فلقدكان والده رحمه الله يملك مكتبة شديدةالضخامة تحتوي على جميع أنواع الكتب في شتى المجالات المختلفة.

تنهد (شاكر) وهو ينظر لتلك اللوحة الضخمة التي تمثل والده الراحل حيث قام بتعليقها على الجدار المواجه لمكتبه مباشرة ا فلقد كان هو الجدار الوحيد الخالي من الأرفف الخشبية التي تراصت عليها الكتب بشكل منظم في باقي أنحاء الحجرة.

كانت أرفف المكتبة تحتوي على العديدمن الكتب والمراجع بالعديد من اللغات المختلفة.

كان(شاكر)يتأمل ملامح أبيه الراحل وهو يتذكر عندما كان يجلس معه ويتحدث معه كصديق أو يلعب معه لعبة الشطرنج التي كان يعشقها.

كانت تلك الأفكار تطوف بداخل رأسه عندما ارتفعت دقات خفيفة على باب حجرة مكتبه فأذن للطارق بالدخول دون أن يرفع بصره عن لوحة والده.

انفتح الباب على الفور وتقدمت إحدى الخادمات وهى تحمل صينية مصنوعة من الفضة الخالصة وفوقها قدح من القهوة الذي طلب (شاكر) منها إعداده منذ بضع دقائق.

وضعت الخادمة قدح القهوة فوق سطح المكتب وهمت بمغادرة الحجرة ولكن (شاكر) أوقفها قبل مغادرة الحجرة قائلا:

-هل عاد(عبد الصمد) بكمن أسيوط.

الخادمة:

-لا لم يعدمن سفره بعد يا سيدي الباشا.

هز (شاكر) رأسه وقال لها:

-حسنا أذهبي وقومي بإخبار خفير القصربأن ينتظر(عبد الصمد) حتى يعود من سفره ويطلب منه المجئ لحجرة مكتبي على الفور فسوف أكون مستيقظا لأنني أريده لأمرا هاما.

ثم أشار للخادمة وأكمل قائلا:

-وعندما تفعلين ذلك اذهبي للنوم فلم أعد بحاجة إليكي تلك الليلة.

هزت الخادمة رأسها وهي تغادر الحجرة وتغلق الباب خلفها.

بينما ألتقط(شاكر) قدح القهوة وأخذ يرتشف منه بضع رشفات وهو ينظر لتلك اللوحة التي تمثل والده في حزن بالغ.

مرت ساعةكاملة على (شاكر)وهو يطالع الكتاب الذي بيده ولم يشعر بباب الغرفة وهو يفتح بحرص وتتسلل عبره زوجته للداخل إلا عندما سمع صوتها وهىتقف أمام مكتبه وتقول له في عتاب شديد:

-لماذا لم تصعد لحجرتي حتى الآن يا زوجي الحبيب ؟

رفع(شاكر) بصره إليها ونظر لها في دهشة بالغة وسألها قائلا:

-لماذا لم تخلدي للنوم حتى الآن يا (صوفيا) ؟

تقدمت (صوفيا) أكثرمن المكتب الذي يجلس خلفه ، وانحنت فوق سطحه قليلا فسقط صدرها الناهد ليرتطم بسطح المكتب الخشبي في حركة إغراء متعمدة حيث كانت ترتدي روبمن الحرير الأحمر وقد ظهر أسفله قميص نوم من نفس اللون بينما

عقصت هى شعرها برباط حريري بنفس لون الروب أيضا على شكل فيونكة وقد فاح عطرهاالنفاذ ليملأ أرجاء الحجرة وقالت له بصوت شديد الخفوت:
-لقد حضرت لأصطحبك معي لحجرتنا.
ثم دارت حول مكتبه الخشبي لتقف خلفه تماما ثم شبكت ذراعيها حول رقبته من الخلف وأراحت صدرها بالكامل فوق ظهره وضحكت في دلال وهى تقول قائلة بإغراء شديد:
-إنني على ما أتذكر بأن هذه الليلة هى ليلة الخميس أليس كذلك وكان يجب أن تكون بجانبي في الفراش منذ ساعة مضت على الأقل فلما طال غيابك أتيت إليك لأعرف سبب عدم صعودك لحجرتي حتى الآن فأنا أعلم بأنك تنسى العالم بأسره وأنت داخل تلك الحجرة أليس كذلك.
رفع (شاكر) يداه وأمسك راحتيها قائلا:
-آه عذرا يا حبيبتي فلقد نسيت تماما أن الليلة هى ليلة الخميس خاصتك فأنا أنتظر وصول (عبد الصمد) فلقد قارب على المجئ.
زوت (صوفيا) ما بين حاجبيها وهى تتملص من قبضة زوجها وتدور حول المكتب لتواجهه وجها لوجه وهى تسأله قائلة:
-لماذا تنتظر (عبد الصمد) هذا حتى الآن يا زوجي العزيز وأين هو.
نظر إليها (شاكر) وابتسم قائلا:
-لقد بعثته منذ ثلاثة أيام لمدينة أسيوط ليطمئن على القصر والمزارع التي أملكها هناك ولمنح المزارعين وخدم القصر رواتبهم الشهرية وكذلك العاملين في الحقول والعزبة أيضا،كما سيقوم بمراجعة سجلات ناظر العزبة وجلب إيرادات المحاصيل أيضا.
قالت (صوفيا) في ضيق:
- ولكنني أعتقد بأنك تعطي ذلك الخادم ثقة كبيرة ألا تعتقد بأنه يمكنه سرقتك بسبب تلك الثقة المفرطة التي تعطيها إياه.
ارتسمت علامات الغضب جلية فوق ملامح (شاكر) جليه وهو يقول:
-(عبد الصمد) هذا ليس مجرد خادما عندي يا صوفيا بل إنني أعتبره صديقا مخلصا لي.

قالت (صوفيا) بتهكم شديد:

- ماذا تعني بأنك تعتبره صديق لك ولماذا لا تجعل باقي الخدم أيضا أصدقاءك هم الآخرون.

تجاهل(شاكر) ذلك التهكم الظاهر في عبارة زوجته وهو يقول لها:

-إنني لا أعتبر (عبد الصمد) خادما كباقي الخدم فلقد كان والده ناظر عزبة والدي رحمه الله وكان رجلا مخلصا لوالدي حافظ على أموالنا من النهب والسرقة واستطاع تنميتها حتى صارت بتلك الكثرة ولولاه ما كنا في ذلك الخير والثراء.

سكت (شاكر) قليلا وهو ينظر لزوجته في غضب هائل ثم أكمل قائلا:

-ففي إحدى الليالي كان والديعائدا من البلدة المجاورة بعد أن قام ببيع محصول الكروم خاصته بمئات من الجنيهات المصرية وكان يركب جواده بصحبة والد (عبد الصمد).

كان الاثنان عائدان ليلا فوق جواد والدي حيث كان والد (عبد الصمد) يركب خلفه وكان والدي يحمل تلك الأموال التي باع بها محصول الكروم داخل حقيبته الجلدية عندما هاجمهم قطاع الطرق أثناء عودتهم للقصر.

أيقن والدي من الهلاك في تلك اللحظة فلقد كان قطاع الطرق أكثر من سبعة رجال أشداء ، وهو وخادمه مجرد رجلين فقط كما أن الجواد لن يستطيع العدو بسرعة مناسبة وهو يحملهم معا فوق ظهره.

سكت (شاكر) قليلا ليلتقط أنفاسه من فرط الانفعال ثم أكمل قصته قائلا:

- ولكن والد (عبد الصمد) مال فجأة نحو والدي وهمس له يطلب منه الاعتناء بابنه الوحيد (عبد الصمد) الذي لم يكنيبلغ من العمر سوا خمسة أعوام فقط فلقد كان يصغرني بعام واحد فقط، لم يفهم والدي ما يرمي إليه الرجل إلا عندما فوجئ به يقفز من فوق ظهر الجواد ويخرج منجله من جيب الجلباب الذي يرتديه ويهوي به فوق ظهر الجواد الذي أسرع يسابق الرياح من قسوة الضربة بينما التفت والد (عبد الصمد)يواجه اللصوص وحده بكل شجاعة حتى لا يتسنى لهم اللحاق بوالدي رحمه الله أبدا.

وعندما وصل والدي للقصر أسرع ينادي الخدم وأمرهم بإحضار غدارته على الفور وأن يحضر كل منهم شيئا يتسلح به.

وانطلق والدي بجواده يتبعه عددا كبيرا من الخدم وهم يحملون النبابيت والعصا والسكاكين الكبيرة، وتوجهوا نحو تلك البقعة التي يجابه بها والد (عبد الصمد) اللصوص وحده.

ولكن والدي عندما أقترب من المكان توقف مصعوقا فلقد أبصر خادمه الأمين على الأرض وهو ملقى على وجهه وسط بركة هائلة من الدماء الحمراء القانية جثة هامدة بعد أن نحر اللصوص عنقه وفروا هاربين.

هبط والدي من فوق صهوة جواده وانحنى يحتضن جثة خادمه بين صدره الذي تلوث بالدماء وأخذ يبكيه في حزن بالغ فلقد ضحى ذلك الرجل بحياته لينقذه هو.

عاد والدي وهو يحمل جثة خادمه الأمين والذي أنقذه من الموت وضحى بحياته لأجله حيثقام بدفنه داخل مقابر عائلتنا رغم اعتراض والدتي وباقي أفراد العائلة على ذلك الأمر.

ولكن والدي رحمه الله لم ينسى لذلك الرجل أبد ما فعله لأجله لذلك فلقد قام بتربية ولده (عبد الصمد) معي داخل القصر كأخ لي وليس كخادما بل إنه أحضر معلمين له مثلي تماما فتعلم العربية والإنجليزية وعلوم التاريخ والأدب والشعر والموسيقي والتحق معي بالمدرس الخديوية.

رفعت (صوفيا) حاجبيها في دهشة بالغة وقالت:

-أتعني بأن (عبد الصمد) هذا يستطيع التحدث بالإنجليزية.

هز (شاكر) رأسه بالإيجاب قائلا:

-ليس الإنجليزية فقط بل والفرنسية أيضا وبطلاقة شديدة ولولا رفضه الالتحاق بوظيفة حكومية لأجل العمل لدي لكان له شأنا أخر.

هزت (صوفيا) رأسها قائلة:

-أتدري يا (شاكر) أن من أكبر عيوب شعبك هو تلك العواطف الجياشة التي تملئ عقله وصدره.

نظر إليها (شاكر) في تساءل وقال لها:

-ماذا تعنين بقولك هذا.

(صوفيا):

-لقد مات والد (عبد الصمد) أثناء تأديته لعمله والذي هو عبارة عن خدمة والدك وحمايته ولم يكن الأمر يحتاج من والدك تربيه ولده وتعليمه تعليم الطبقة الراقية أو حتى دفنه في مدافن العائلة مما سبب ذلك الاستياء منباقي العائلة وأنا أعتقد بأنهم محقون في غضبهم من ذلك الفعل،إنه مجرد خادم لا أكثر ضحى بحياته من أجل حياة سيده وهذا شئ طبيعي بالنسبة للخدم فلقد خلقوا لحماية أسيادهم.

أطلت نظرة غضب هائلة من عين (شاكر) وهو يقول:

-هذا هو مبدأ شعبك المستعمر البغيض ولولا أن هذا المبدأ الذي تعيشون عليه ما كنتم لتقومون باحتلال البلاد الأقل منكم قوة لتنهبون خيراتها وثرواتها ،تماما مثل الذباب الذي يتجمع فوق الطعام لينهل منه قدر المستطاع دون وجه حق.

تراجعت (صوفيا) في توتر عندما نهرها (شاكر) بذلك الشكل ونعت شعبها بالمستعمر البغيض بل لقد شبهه بالحشرات أيضا.

كانت (صوفيا) تود أن تدافع عن بلادها وشعبها من تلك الشتائم التي وجهها إليها زوجها لكنها تعلم بأنه عندما يغضب لا يستطيع أحدا أن يتناقش معه في الحديث أو يعترض على كلامه لذلك فلقد أثرت الصمت.وقد ترقرقت الدموع في عين (صوفيا) وسالت لتغرق وجنتاها فلقد شعرت بإهانة بالغة لها ولشعبها ولكنها لا تجرؤ على الاعتراض.

في تلك اللحظة تناهى إلى مسامعها ومسامع زوجها (شاكر) صوت باب القصر وهو يغلق بصوت مسموع فعلمت بأن (عبد الصمد) قد عادمن رحلته وهو الآن في طريقه لحجرة المكتب.

تطلع (شاكر) إليها وهو يشير لصدرها البارز بوضوح من أسفل الروب التي قامت بحل عقدته ليظهر قميص نومها أمامه في منظر يغريه للصعود معها قبل أن يحدث بينهما ذلك الشجار منذ لحظات وصاح قائلا في صرامة شديدة:

-لقد حضر (عبد الصمد)ولا أعتقد بأن منظر صدرك العاري هذا سيكون جيدا للنظر إليه أليس كذلك يا (صوفيا).

تنبهت (صوفيا) بغتةإلى منظر صدرها العاري فأسرعت تحيط جسدها بواسطة الروب لتخفي صدرهاالبارز بينما تعالى صوت وقع أقدام (عبد الصمد) في ردهة القصر وهى تقترب من باب الحجرة في عجالة.

فأسرعت تغادر حجرة المكتب على الفور وهى تبكي في حرقة حتى إنها كادت أن ترتطم ب(عبد الصمد) أثناء خروجها ولكن ذلك الأخير أسرع يتفادها في سرعة ومهارة شديدة.

فانطلقت (صوفيا) تصعد الدرج للطابق الثاني حيث حجرتها بينما أكمل(عبد الصمد) طريقه لداخل حجرة المكتب على الفور حيث وقف أمام (شاكر) الذيعاد للجلوس خلفه مكتبه مرة ثانية وهو يقول لخادمه:

-لقد تأخرت هذه المرة بشدة يا رجل حتى إنني قد أصابني القلق عليك.

أبتسم(عبد الصمد) قائلا:

-لقد هرعت إلى هنا فور عودتي عندما أخبرني خفير القصر بأنك تريد رؤيتي عند مجيئي يا سيدي.

تأمله (شاكر) قليلا في صمت وهو ينظر لملامحه المصرية الخالصة

كان شابا طويل القامة يقارب (شاكر) طولا وإن لم يكن أطول منه قليلا ، تميل لون بشرته للاسمرار بعض الشئيمتلك زوج من العيون السوداء شديدة الأتساع ، بني الشعر ذات حواجب كثيفة وأنف مستقيم وأذن متوسطة الحجم وقد قام بتهذيب لحيته بالإضافة لشاربه بشكل أضاف إلى وسامته جمالا خاص وكان يرتدي جلباب كحلي اللون.

أشار(شاكر) إليه بالجلوس قائلا:

نعم فأنا أنتظر حضورك منذ عدة ساعات ، ولقد أخبرتك من قبل عند دخولك إلى حجرة مكتبي فعليك بالجلوس على الفور ، وكما أمرتك بألا تناديني بسيدي عندما نكون وحدنا أليس كذلك.

جلس (عبد الصمد) فوق اقرب مقعد وقال في إحراج شديد:

-ولكن يا سيدي لقد أخبرتك من قبل بأنني من المستحيل بأن أناديك باسمك مجردا فلا يصح فأنا مجرد خادم يعمل لديك ومن الممكن أن تدخل سيدتي (صوفيا) في أي لحظة فتجدني جالسا أتحدث معك بتلك الطريقة فتغضب لذلك.

هوت قبضة(شاكر)فوق سطح المكتب بقوة وصاح بغضب قائلا:

-لا أريد سماع مثل هذا الكلام مرة ثانية فأنت تعلم جيدا بأنني لا أعاملك كخادما لي أبدا، وثانيا أنت تعلم جيدا بأن زوجتي لا تستطيع فرض سيطرتها علي، ليس

الرجل الشرقي من يجعل زوجته تسيطر عليه وتتحكم به حتى ولو كانت أوربية الأصل فنحن الشرقيين العرب دمائنا حارة وليست باردة كدماء الفرنج الباردةمثل طقسهم البارد ونسائنا لا يملون علينا أوامرهم لقد خلقوا فقطللحرملكأليس كذلك يا رجل فقط.

هز (عبد الصمد) رأسه فهو يعلم تماما كم أن سيده صعب المراس له تفكير خاص ومع أنه قد تزوج بأفرنجية ولكن أفكاره الشرقية لم تتغير أبدا.

أخرج (عبد الصمد) من جيب الصدرية التي يلبسها تحت الجلباب حافظة نقود جلدية سمراء اللون ضخمة الحجم وفضها ليخرج منها مئات من الجنيهات الورقية فئة العشر جنيهات حمراء اللون وقد نقش عليها صورة جملين وناولهما لسيده.

أمسك(شاكر)بالنقود ونظر لها في تعجب شديد فلقد كانت تتجاوز ثمن المحاصيل بكثير فرفع بصره إلى (عبد الصمد) في تسألوقال له:

-ما كل تلك الأموال يا (عبد الصمد) لست أعتقد بأن محاصيل هذا العام قد حصدت كل تلك الأموال.

هز (عبد الصمد) رأسه نفيا قال في هدوء وزهو:

-بالطبع فلقد قمت ببيع محصول الكروم لأحد التجار.

قال (شاكر) في تعجب:

-ولكن ميعاد جني محصول الكروم لم يحن بعد على ما أعتقد فعلى حد علمي فما زالت عناقيد الكروم في بداية نموها أليس كذلك.

هز (عبد الصمد) رأسه قائلا:

-نعم يا سيدي لقد بدأت بشائر ظهور عناقيد الكروم في الظهور على أفرع الأشجار.

ذات تعجب (شاكر) وقال:

-أذن كيف قمت ببيع محصول الكروم قبل نضجه.

أجابه (عبد الصمد) قائلا:

-لقد وجدت أحد تجار محافظة الإسكندرية يبحث عن حدائق الكروم لشراء محصولها قبل أن يستطيع أي تاجر أخر الحصول عليه لأنه يقول بأن الإنجليز هذه السنة بالذات سيحتاجون أطنانا من محصول الكروم ليقومون بعصره للحصول على الخمر منه.

نظر إليه (شاكر) قائلا:

-يا لك من رجل أتذهب لإعطاء الخدم والمزارعين رواتبهم وتحضر أيراد العام الفائت فتقوم ببيع محصول العام القادم من الكروم.

هز (عبد الصمد) رأسه مبتسما ولم يجيب بينما نهض(شاكر) من خلف مكتبه واتجه لأحد أرفف المكتبة حيث وضع به زجاجات الخمر والويسكي بدلا من الكتب وعددا من الكؤوس الزجاجية فأحضر زجاجة خمر وكأسين فارغين وضعهما أمام (عبد الصمد) ثم ملئ نصف كلا منهما بالخمر وأمسك بكأسه وأشار به لذلك الأخير قائلا:

-آه كم أعشق تناول الخمر وخاصتا المعتق منه يا (عبد الصمد) لقد ذكرتني بها عندما تحدثت عن صناعتها ، هيا تناول كأسا واحدا فقط فلن تتسبب لك بأي ضرر.

ثم هز (عبد الصمد) رأسه في نفي قائلا:

-أنت تعلم جيدا بأنني لا أقرب الخمر أبدا يا سيدي فلقد حرم علينامعشر المسلمين تناوله يا باشا.

قهقه (شاكر) ضاحكا وقال:

-نعم ولكنك تبيع الكروم الذي يصنع منه الخمر إذن فأنت تشترك في تلك المعصية أيضا.

هز (عبد الصمد) رأسه نفيا مري أخرى قائلا:

-لا يا سيدي فأنا قمت ببيع الكروم كفاكهة وليست كخمر ومن يقوم بعصرها للحصول على خمرها فهو من يحمل الذنب على عاتقه بالكامل ولست أنا.

هز (شاكر) رأسه في سخرية وأفرغ محتويات كأسه داخل جوفه دفعة واحدة ثم قال مبتسما:

-لك كامل الحرية يا (عبد الصمد) فلن أرغمك على شرب الخمر ولكنني أعشقها عشقا أبديا.

هز (عبد الصمد) رأسه في أسف شديد وهو يرى سيده يفرغ الكأس الأخر داخل جوفه دفعة واحدة وقال له في حزن بالغ:

-أتعلم يا سيدي أنت تملك العديد من الصفات الحسنة ولكن تناولك للخمر هذا هو أسوأ شئ تفعله على الإطلاق.
أمسك (شاكر) زجاجة الخمر بقبضته وقال له:
-حسنا أذهب أنت الآن للنوم فأنا أعلم جيدا بأنك متعبا للغاية من تلك الرحلة الطويلة التي قطعتها من أسيوط إلى هنا ولنكمل حديثنا في الصباح لتخبرني بما فعلته بأسيوط وأحوال القصر والخدم والعزبة.
هز (عبد الصمد) رأسه متفهما فسيده يريده أن يتركه وحده ليعبأ الخمر حتى يثمل ويسقط مغشيا عليه كعادته الدائمة.
أسرعذلك الأخير بمغادرة حجرة المكتب على الفور بينما رفع (شاكر) زجاجة الخمر إلى فمه وأخذ يتجرع منها بنهم شديد.
توجه (عبد الصمد) لحجرته الخاصة وهو يعلم بأن صباح الغد سيكون صباحا كئيبا قاسيا فكلما أكثر (شاكر) من تناول الخمر طوال الليل ، ويأتي الصباح يستيقظ ذلك الأخير شاعرا بصداع هائل وغضب شديد بسبب ذلك الصداع ويطيح في الجميع بلا استثناء بما فيهم هو أيضا بل زوجته وأبناءه التوأم كذلك حتى يتناول ثلاثة أقداح من القهوة المركزة ويبدأ الصداع ومفعول الخمر في التلاشي فيعود إلى طبيعته الهادئة المتزنة شيئا فشيئا.
دخل (عبد الصمد) حجرته وأغلق بابها خلفه وهو يدعو الله العلي القدير بأن يمر يوم الغد بسلام ويمني نفسه بيوم هادئ بعد تلك الرحلة الشاقة التي قطعها من أسيوط.
ولكنه كان واهما فلن يمر يوم الغد بسلام أبدا كما يتمنى ليس في قصر سيده فقط بل في المنوفية بأسرها.
بل في مصر من أقصاها إلى أدناها فغدا يوما سيتحاكى عنه التاريخ كثيرا جدا.

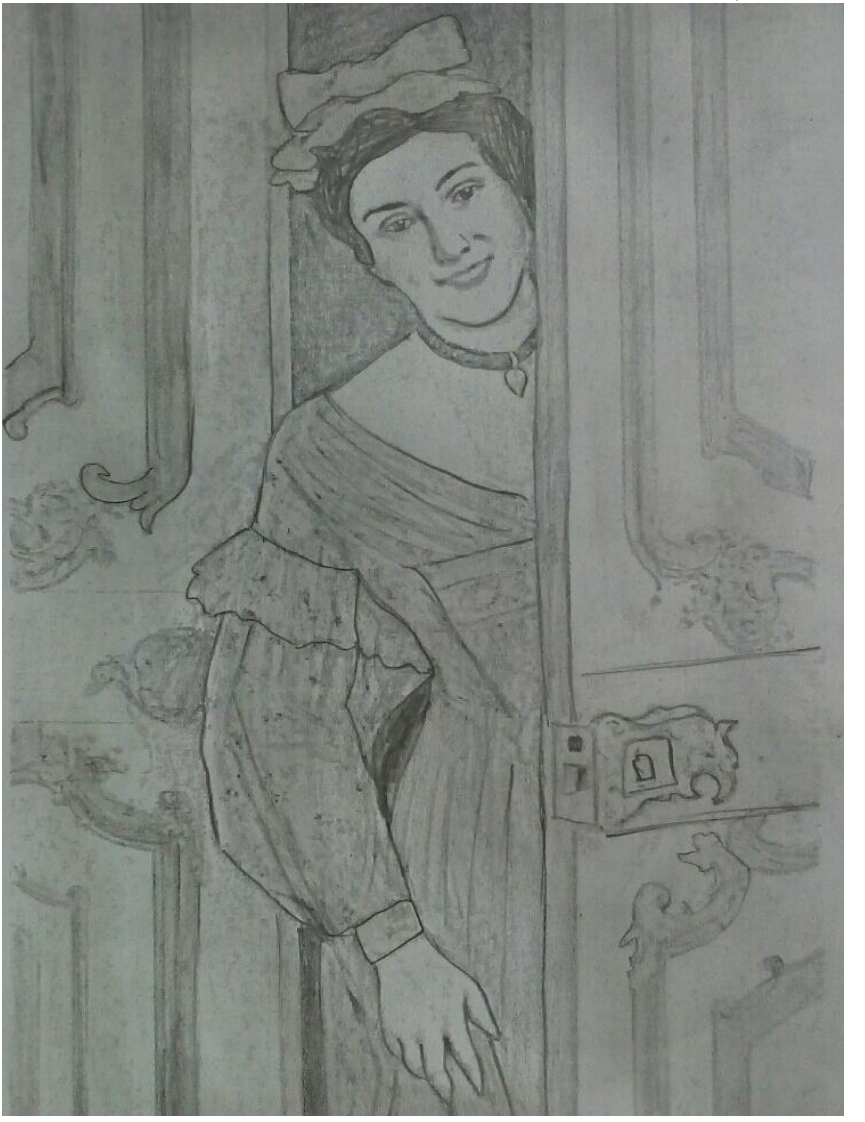

صوفيا تقتحم المكتب

(حادثة دنشواي)

(كل ما ورد ذكره في ذلك الفصل والفصول التي تتحدث عن حادثة دنشواي حقائق تاريخية وجميع الشخصيات والأحداث حقيقية مائة بالمائة).

*****

جلس (عبد المجيد سلطان بك) داخل ردهة داره الواسعة فوق وسائد حريرية محشوة بريش النعام مما يدل على ثراءه الشديد بالنسبة لأهلي قريته الفقيرة (دنشواي)الذين يعيشون في فقر مدقع وبالكاد يحصلون على قوت يومهم لإطعام أولادهم.

كان (عبد المجيد) بك قصير القامة ممتلئ الجسد بشكل ملحوظ ولكنه كان واسع العينان كثيف الشعر ممتلئ الوجه ذو شارب ضخم ، كان جالسا يدخن النرجيلة بتلذذ شديد ، وكانت ملامح وجهه تدل على الدهاء والمكر الشديد.

اعتدل(عبد المجيد) في جلسته عندما دخل القاعة أبن عمه (الشاذلي) وعمدة قرية (دنشواي)أيضا ، فلقد حضر بناءا على طلبه هو لذلك فلقد أزاح النرجيلة جانبا وأشار له بالجلوس بجانبه في ترحاب شديد.

كان عمدة دنشواي (الشاذلي) قريب الشبه جدا به.

جلس (الشاذلي) بجانبه وهو يمد قدمه أمامه وهو يبتسم قائلا:

-خيرا يا أبن العم لماذا طلبت حضوري في ذلك الوقت من الليل لقد فرغت للتو من صلاة العشاء وتوجهت إلداري لتناول طعام العشاء بصحبة عائلتي عندما حضر خادمك وأخبرني بأنك تريد رؤيتي في الحال فتركت الطعام وأسرعت بالحضور.

أجابه (عبد المجيد) قائلا في خبث شديد:

-لقد جاءني الحنين لرؤيتك يا أبن العم كثيرا وكنت أريد السمر معك تلك الليلة.

قهقه العمدة بصوت مرتفع وقال:

-لست أنت من يشتاق إلى أي شخصا يا رجل مهما كان هذا الشخص إنك رجلا بلا أي مشاعر تقريبا وكل ما تشتاق إليه هو جمع المال فقط.

تراجع (عبد المجيد) قائلا بابتسامة كبيرة:

-صدقت يا رجل.

(الشاذلي):

-أنني من أكثر الناس معرفة بك يا رجل ولا تنسى بأننا قد تربينا سويالذلك لا تردد الأكاذيب على مسامعي ، والآن لماذا طلبت حضوري في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

قال (عبد المجيد):

-بعض الحماية يا عمدة (دنشواي).

تعجب (الشاذلي) من ذلك الطلب وقال في تساءل:

-لماذا تطلب حمايتي يا (عبد المجيد) بك.

نظر (عبد المجيد) إليه في الجدية قائلا:

-لست أنا من يحتاج الحماية إنهم بعض الأصدقاء الذين سيحضرون غدا لصيد بعض طيور من سماء القرية ومن فوق أشجارها.

قال (الشاذلي) في تعجب:

-ولماذا تطلب حمايتهم أنت تعلم جيدا بأن جميع أهل القرية قوما مسالمين وأغلبهم يعملون لدينا في حقولنا مجرد مزارعين فلماذا إذن ذلك الخوف الذي لا مبرر له.

قال (عبد المجيد) بصرامة:

-لأن أصدقائي الذين سيحضرون في الصباح ضباط في الجيش الإنجليزي ولقد دعوتهم لرحلة الصيد تلك كما دعوتهم علي طعام الغذاء هنا في داري.

حدق (الشاذلي) في وجهه للحظات من هول المفاجئة ثم هتف قائلا:

-ماذا تقول يا رجل ضباط إنجليز؟ أنت تعلم مدى الكراهية التي يكنها شعب مصر بأكمله لجنود الاحتلال الإنجليز هؤلاء ، وليس أهالي قريتنا فقط وخاصتا بعد مجيئهم منذ عدة أعوام وقاموا بأخذ عدد كبير من رجال وشباب القرية للعمل بالسخرة في تلك القناة التي قاموا بحفرها منذ عدة سنوات مضت بدماء الشعب المصري حيث لم يعود للقرية إلا عددا قليلا منهم بعد أن مات الكثير أثناء عملية الحفر تلك.

قال (عبد المجيد) في سخرية وكأن الأمر لا يعنيه في شئ:

-إنني أعلم جيدا ما تخبرني به يا رجل ولا أريد سماعه فلا وجود لكلمة مشاعر في قاموسي يا رجل فلا يوجد غير مصلحتي الخاصة فقط ولقد دعوتهم لجني بعض تلك المصالح الخاصة.

(الشاذلي) في تساءل:

-وما الذي ستجنيه من حضورهم للقرية يا رجل.

(عبد المجيد):

-الكثير والكثير يا رجل فلو راقت لهم رحلة الصيد تلك سأطلب منهم أن أقوم بتوريد بعض الدواجن والماشية وبعض المحاصيل أيضا من مزارعي للكنب الإنجليزي.

اتسعت عين العمدة (الشاذلي) من ذلك الذكاء الرهيب الذي يتمتع به أبن عمهولكنه قال في طمع:

-حسنا سأطلب من شيخ الخفر هو ورجاله القيام بحماية الضباط الإنجليز ومراقبتهم من بعيد كما سأمر أهل البلدة في الصباح بالابتعاد عنهم ولو تعرض لهم أحدا بسوء سيلقي به في حجرة الحبس على الفور ولكن.....

نظر إليه (عبد المجيد) وقال متسائلا:

-ولكن ماذا.

(الشاذلي):

-ولكن كم ستمنحني مقابل تلك الخدمة الجليلة التي سأقوم بها لك.

أخرج (عبد المجيد) خمسة جنيهات ورقية كاملة من جيب الجلباب الذي يرتديه وناوله إياها لكن (الشاذلي) قلبها بين أصابعه في سخرية شديدةوقهقه ضاحكا وهتفقائلا:

-يا لك من شحيح خمسة جنيهات فقط.

قال (عبد المجيد) في سخط:

-كم تريد أذن أيها العمدة.

هتف (الشاذلي) في جشع بالغ:

-خمسون منالجنيهات الورقية.

اتسعت عين (عبد المجيد) في دهشة من ضخامة المبلغ وصاح في غضب هادر:

-خمسون جنيها كاملة يا لك من شخصا جشع.

قهقه (الشاذلي) قائلا:

-حقا ألست أبن عمك لا تنسي بأنك ستجني من ذلك الأمر المئات من الجنيهات دفعة واحدة.

زفر (عبد المجيد) في ضيق وأخرج من جيب الجلباب الذي يرتديه حافظة نقود مصنوعة من الجلد الأسود وأخرج منها أربع ورقات من فئة الخمس جنيات وناولهم له في تبرم وهو يقول له:

-خذ أيها الجشع عشرون جنيه أخرى وبذلك تكون قد حصلت على نصف المبلغ مقدما وعندما تنتهي تلك الزيارة بسلام ستحصل على باقي النقود.

أختطف (الشاذلي) العشرون جنية في طمع شديد وقال:

لاتقلق يا (عبد المجيد) سيمر كل شئ بسلام وسوف تحصل على لقب الباشاوية يا باشا.-

نطق الشاذلي تلك الجملة في ثقة كاملة دون أن يدري بأن ذلك الأمرلن يمر بسلام أبدا.

بل ستصبح من أكبرالحوادث بشاعة في مصرعلى مدار تاريخها بأكمله بسببه وبسبب ابن عمه (عبد المجيد).

في صباح اليوم التالي غادرخمسة من الضباط الإنجليز معسكرهم بقرية (سرسنا)المجاورة لقرية(دنشواي) وهم يحملون بنادقهم وبعض الذخيرة ويضعون زمزميات المياه بجانبهم الأيمن.

كان هؤلاءالضباط الإنجليز هم.

الميجور(بينكوفين) قائداللمجموعة والكابتن (بول) والملازم (بوثر) ،والملازم(سميث) وأخيراالطبيب البيطري (بوستك)حيث(انطلقوا على الفورصوب قرية دنشواي وكان بصحبتهم كلا من الأومباشي (أحمدحسين زقزوق) ،والترجمان (عبدالعال صقر) كان الضباط الإنجليز يرتدون ذلك الزى الشهيرلجنود الاحتلال البريطاني بسراويلهم القصيرة.

وكانوايضعون خوذا تحديدية لتقيهم أشعةالشمس الحارقةكانت ملامحهم واحدةتقريبابالنسبةللمصريين بوجههم شديد الاحمرار وشعرهم الذهبي وعيونهم الزرقاء.
وقدأمسك كلا منهم بندقية صيد كبيرة الحجم خاصة به وقدامتلأ ت جيوب ستراتهم بالذخيرة ،بينما وضع كلامنهم زمزميه مياه بجانبه الأيسر.
خرج(عبدالمجيد)من داره مرحبا بالضباط الإنجليز بحفاوة بالغة وهويمد يده مصافحا إياهم في حرارة.
ولكنهم لم يبادلوه المصافحة ونظرأكبرهم رتبه إليه بشئ من التعالي والاحتقار حيث قال شيئا كلاما ما بالإنجليزية التي لم يفهم(عبدالمجيد)منه حرفاواحدا
ولكن(عبدالعال)أسرع يقول له مترجما:
-إن الميجور (بينكوفين) يسألك عن أماكن تواجد الطيور في تلك القرية ، والحمام التي سيقومون باصطيادها.
أشار(عبدالمجيد)لهم في جميع أنحاء القرية وأخبرعبدالعال بأنهم يستطيعون الاصطياد في أي مكان شاءوا بالقرية.
نظر (عبدالعال)إلى الميجور (بينكوفين) وباقي الضباط وأشار إليهم في أنحاء القرية وأخبرهم بأن القرية بأكملها تحت أمرهم.
هزالميجور رأسه في استحسان شديد وهويصيح بسرور قائلا:
Good-.
تركالضباط الإنجليز (عبدالمجيد) واقفا أمام داره وانطلقوا للبحث عن الحمام والبط لاصطياده، بينماعاد ذلك الأخير للدار وأمر خدمه بإعداد طعام الغذاء لضيوفه الإنجليز وهو يزفر في ضيق من أسلوب قائدهم المتعالي ولكنه سيصبر على تلك المعاملة المتعالية من أجل المال التي ستأتي من الكنب الإنجليزي.
وفي ذلك الوقت كان الضباط الإنجليز يطوفون في أنحاء القرية وهم يتسابقون في اصطياد الحمام من فوق قمم الأشجار.
توقف ضباط الاحتلال الإنجليزي أمام أحد أبراج الحمام الموجودة داخل القرية وأخذوا يصوبون فوهاتب نادقه من حول الحمام الواقف أعلى البرج ويطلقون عليه رصاص بنادقهم ليتساقط الحمام مصابا أسفل البرج.

كان الضباط يطلقون نيران بنادقهم بغزارة ودون حذر
وكانوا يقفون بجانب أحد أجران التبن المتناثرة في أنحاء القرية والذي كان ملكا لمؤذن المسجد الشيخ (محمدعبدالنبي).
ودون سابق إنذار اشتعل التبن الموجود بالجرن بعد أن أمسك به البارود المتناثر من فوهة البنادق وفي دقائق معدودة أمسكت النيران بالجرن ليصبح شعلة من النيران.
شاهد مؤذن المسجد ماحدث داخل جرنه فانطلق مسرعا نحوهم وهويشيرلهم بالابتعادعن جرنه في الحال ولكن الميجور(بينكوفين)اعتقد بأن الرجل يحاول مهاجمتهم فأطلق عليه نيران بندقيته على الفور.
أخطأت طلقة البندقية الرجل ولكنها أصابت زوجة أخيه السيدة (أم محمد) لتسقط على الأرض وهى تنزف بشدة.
أسرع مؤذن المسجد يهجم على الميجور بشجاعة نادرة ويشتبك معه بالأيدي العارية وقداستطاع الإمساك ببندقيته وهويصيح بصوته المرتفع مناديا أهالي القريةقائلا: الخواجةقتل زوجة أخي ،الخواجةحرق الجرن النجدة يا أهل دنشواي النجدة.
كانفلاحينالقريةفيذلكالوقتيعملونبالحقلالمجاور للجرن فشاهدوا النيران وهى تشتعل بالجرن مصحوبا بصراخ مؤذن القرية طالبا النجدة فانطلقوا على الفور لمساعدة الرجل دون أن يعلمون ما يحدث بالضبط داخل الجرن.
ولكنهم عندما اقتحموا الجرن جن جنونه مبعد رؤيتهم لجسد أم محمد المسجي على الأرض ينزف الدماء بغزارة.
انطلق الفلاحين في ثورة عارمةل مهاجمة الضباط الإنجليز الذين تراجعوا في خوف هائل،بينما أسرع خفر القرية محاولين حماية الضباط الإنجليز كما أمرهم العمدة،ولكن عندما اقتربوامن الضباط محاولين حمايتهم من بطش أهل القرية اعتقد قائد الضباط ا بأن الخفر يحاولون القبض عليهم.
فماكان منه إلاأن أطلق نيران بندقيته نحوشيخ الخفرالذي سقط قتيلاعلي الفورمما ذات منثورة وهياج الفلاحين الثائرين بينما انضم الخفر للحشد الثائر بعدمقتل كبيرهم وبعضا من زملائهم أيضا أمام أعينهم برصاص الضباط الإنجليز.

تراجعالضباط الإنجليزمذعورين من ذلك الحشد الضخم من فلاحين القرية وأخذوا يحاولون الفرار ولكن الخفر وبعض الفلاحين هاجموهم بواسطة الطوب والنبابيت بينما أسرع باقي الفلاحين بإخماد النيران المشتعلة داخل الجرن.

استطاع بعض رجال القرية القبض على الميجور(بين كوفين) والضابطين (بورتر) و(سميث)، بينما تمكن الكابتن(بول) والطبيب (بوستك)من الهرب من أمام الفلاحين الثائرين والذين انطلقوا خلفهم حيث توجهوا صوب معسكرهم يلاحقهم بعض الفلاحين البسطاء في إصرار شديد بينما أسرع الخفر بتقيد الجنرال والضابطان بالحبال وقاموا بحبسهم داخل حجرة صغيرة بالجرن الذي تسببوا في احتراقه

كان باقي أهالي دنشواي يلاحقون الضابطان الإنجليزيان الآخرين في إصرار هائل وقد كانت الشمس في تلك اللحظة قد توسطت كبد السماء وارتفعت درجة الحرارة بشدة وكان ذلك الأمر بالنسبة للفلاحين المصريين شئ طبيعي فهم يعملون بزراعة الحقل في مثل ذلك الطقس شديد الحرارة والذي كان بالنسبةللضابطين الإنجليز يشبه الجحيم مقارنة بجو بلادهم شديد البرودة.

انطلق الضابطان لأكثرمن ثمانية أميال كاملة سيرا على الأقدام والفلاحين يطاردونهم في إصرارا كبير حتى أصابت حرارةالشمس الحارةالكابتن(بول) بضربةشمس سقطع على أثرها وسط الحقول يلفظ أنفاسه الأخيرة لكن زميله الطبيب (بوستك) بدلا من أن يحاول أن يمد إليه يد المساعدة تركه يلفظ أنفاسه الأخيرة وفر هاربا.

توقف بعض الفلاحين حول جثة الكابتن(بول) ينظرون له في حيرة من أمرهم وهم يرونه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وبالرغم مما فعله هو وزملاءه من أعمال وحشية بأهالي القرية لكن الشهامة والطيبة المصرية الأصيلة أرغمتهم على محاولة إنقاذه من الموت ، ولقد حاول البعض أن يضعوا على رأسه غطاء يقيه من حرارة الشمس الحارقة بينما أحضر أحدهم بعض الماء في إناء فخاري لكن كل ذلك قد ذهب هباء فلقد فاضت روح الضابط الإنجليزي بين أيديهم.

وفي تلك الأثناء وصل الضابط (بوستك) لمعسكرهالإنجليزي حيث صاح طالبا النجدة من الجنود المتواجدين بالمعسكر الذين هبوا سريعا لنجدته على الفور

فأخبرهم كذبا بأن الفلاحين المصريين قاموا بقتل الكابتن (بول) وقاموا بأسر الآخرون.
فطار صوابهم من ذلك الكلام الكاذب فانطلق الجنود الإنجليزحتى وصلوالمكان جسدالكابتن (بول) الممتدة أمامهم خالية من الحياة كما أخبرهم الضابط الطبيب (بوستك) بمكانه فأبصروا بالفلاحين البسطاءيحيطون بجثته وهم في حيرة من أمرهم بعد أن لفظ أنفاسه بين أيديهم.
أخذالجنود الإنجليز يطلقون نيران بنادقهم على الفلاحين الذين فروا هاربين على الفور بعيدا عن جثة الكابتن (بول)ولكن الجنود الإنجليز ا نطلقوا في أعقابهم علي الفور وهم يعتقدون أن الفلاحين هم من قاموا بقتل الكابتن (بول) كما أخبرهم الضابط (بوستك) بالكذب.
أخذالجنود الإنجليز يطلقون نيران بنادقهم على الفلاحين البسطاء محاولين الانتقام لمقتل الكابتن (بول) كما كانوا يعتقدون.
وقد نجح أغلب الفلاحين من الهرب والعودة لقريتهم ولكن الجنود الإنجليز استطاعوا الإمساك بأحد الفلاحين ويدعى(سيدأحمدسعيد)وكان مختبئا داخل طاحونة موجودة في ذلك الطريق الموجود بين المعسكر وقرية (دنشواي).
فقام الجنود الإنجليز بإخراجه بالقوة من داخل الطاحونة ثم انهالوا عليه طعنا وتمزيقا بأسلحة بنادقهم البيضاء التي توجد في مقدمة بنادقهم (السونكي) دون رحمة أوشفقة حتى مزقوه شرممزق ولم يعد يتبقى منه مايكفى لملئ قدح من الشاي.
وبعد أن فرغ الجنود من تمزيق جسدالرجل المسكين واصلواسيرهم في غضب هادر حتى وصلوا القرية (دنشواي)حيث قاموا بتحريرالميجور(بينكوفين) والضابطان (بوثر)و(سميث) من داخل الجرن الذين كانوا مقيدين داخله ثم عادوا لمعسكرهم بقرية (سرسنا) مرة ثانية.
بينما عاد أهالي القرية لمنازلهم وهم يشعرون بالحزن الهائل على قتلاهم على يد هؤلاء المحتلين حيث كانوا يعتقدون بأن ذلك الأمر قدانتهى عند ذلك الحد ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن كل ما حدث داخل قريتهم ليست النهاية لكنها كانت مجرد البداية.

البداية لشئ رهيب سيحدث داخل قريتهم شئ سيكون وصمة عارعلى صدركلامن قوات الاحتلال البريطاني تحت قيادة المعتمد البريطاني في مصر اللورد (كرومر).
نعم فسوف يدفع أهالي قرية (دنشواي) ثمن جريمة الضباط الإنجليز القتلة بمساعدة القضاء المصري النزيه...الغضب.
كانت الساعة تشير للثانية ظهرا عندما نهض(شاكر) من نومه على أصوات غريبة كأصوات صراخ وعويل مصحوبة بطلقات بنادق متتاليةورغم ذلك الصداع الهائل الذي يشعر به داخل رأسه من كثرة تناول الخمر بالأمس لكنه اعتدل جالسا في الفراش وهو ينصت السمع جيدالكن تلك الأصوات اختفت فأعتقد بأنه كان يحلم ولكن ما لبثت تلك الأصواتأن عادت لتخترق مسامعه بدوى هائل.
فتحامل على نفسه وهبط من فوق الفراش وانحنى يبحث عن خفه فوجده أسفل الفراش فأسرع يرتديه على الفور وانطلق يغادر حجرته هابطا للطابق الأول حيث ألقى بجسده المتعب فوق أقرب أريكة قابلته فور هبوطه من فوق درجات السلالم وأسرع يصيح مناديا على الخادمة التي جاءت مسرعة ووقفت أمامه في احترام شديد قائلة:
-هل أقوم بإعداد طعام الإفطار لسيدي.
هز (شاكر) رأسه بالنفي وسألها قائلا:
-أين سيدتك (صوفيا) والبشوات الصغار.
الخادمة:
-إنهم يجلسون في حديقة القصر يا سيدي منذ الصباح الباكر بعد تناولهم لطعام الإفطار.
تنهد (شاكر) في ارتياح وقال لها:
-هل تعرفين شيئا عن تلك الصرخات وطلقات البارود التي تصك مسامعي وتسبب باستيقاظي.
هزت الخادمة رأسها بالنفي قائلة:

-إن تلك الصرخات تنطلق منذ ساعة كاملة من داخل القرية المجاورة لبلدتنا تدعى (دنشواي) ولكننا لا نعلم سبب تلك الصرخات بعد.

نظر إليها (شاكر) لحظات في تفكير ثم قال لها:

-حسنا أذهبي فأعدي لي قدح من القهوة المركزة وابعثي أحد من الخدم لينادي (عبد الصمد) على الفور.

وقفت الخادمة وقد ارتسمت على وجهها علامات التردد عند ذكر أسم (عبد الصمد) فلاحظ (شاكر) ذلك فصاح بحدة قائلا:

-ماذا حدث لكي هل طلبت شيئا غريبا.

أجابت الخادمة على الفور:

-لا يا سيدي ولكن (عبد الصمد) بيه أخذ أحد الجياد من الحظيرة وانطلقفور سماعنا تلك الأصوات محاولا معرفة سببها.

أشار لها(شاكر)بالذهاب قائلا:

-حسنا أذهبي لإعداد قدح القهوة على الفور.

أسرعت الخادمة لإعداد القهوة لسيدها بينما أخذ (شاكر) يتساءل عن سر تلك الصرخات وطلقات البارود.

كان (شاكر) قد فرغ من تناول ثالث قدح من أقدح القهوة المركزة عندما اقتحم(عبد الصمد) المكان وهو يلهث بشدة من شدة التعب ويبدو بأنه قد بذل مجهودا شديدا.

اعتدل(شاكر) في جلسته وهو ينظر إلى(عبد الصمد) الذي وقف يلهث ولا يقوى على الحديث من شدة التعب.

نادي(شاكر) على الخادمة التي حضرت على الفور فطلب منها ذلك الأخير إحضار كوب من الماء ل(عبد الصمد) ثم نظر له وأمره بالجلوس فوق المقعد المواجه له حتى يستطيع أن يلتقط أنفاسه ثم يخبره بما يجري في الخارج فألقى(عبد الصمد) جسده فوق الأريكة في تعب شديد بينما أحضرت الخادمة كوب من الماء وأعطته إياه وأسرعت بالانصراف بينما اقتحمت(صوفيا) الردهة في لهفة تريد أن تعرف أمر تلك الصرخات وأصوات البارود الذي يصك مسامعها منذ الصباح.

انتهى (عبد الصمد) من تجرعقدح الماء وقد أستطاع التقاط أنفاسه قليلا فسأله (شاكر) في لهفة شديدة قائلا:

-ما الذي يحدث في القرية المجاورة يا (عبد الصمد) وما سر تلك الصرخات وأصوات طلقات البارود التي تصك أسماعنا.
هم (عبد الصمد) بأن يقص ما لديه ولكنه تنبه لوجود الليدي(صوفيا) فتردد قليلا بإخبار (شاكر) بما شاهد ووقع في قرية (دنشواي) من أحداث.
نظر (شاكر)إليه وصاح في غضب:
-ماذا هل ألتهم القط لسانك ،هيا أخبرني بما حدث يا رجل.
نظر (عبد الصمد) لليدي (صوفيا) بعض الوقت ذلك الأمر الذي أدهشها هي و(شاكر) ثم حسم أمره وقال:
-لقد حضر خمسة ضباط إنجليز لقرية (دنشواي)المجاورة في الصباح الباكر بغية اصطياد الحمام والبط بدعوى من أحد أعيان القرية وبالفعل بدأ الضباط بإطلاق بارود بنادقهم على الحمام الموجود بكثرة فوق أبراج حمام القرية.
سكت (عبد الصمد) قليلا ليلتقط أنفاسه بينما قال (شاكر) بسخط شديد:
-ولكن هذا الحمام ملك لأهل القرية ولا يحق للإنجليز اصطياده فهو ليس حمام بري ليفعلوا ذلك.
هز (عبد الصمد) رأسه موافقا على كلام سيده بينما تنهت حواس (صوفيا) بشدة عند ذكر الضباط الإنجليز في الأمر.
أكمل (عبد الصمد) قائلا:
-وفي أثناء قيامهم باصطياد الحمام من داخل أحد أجران التبن الذي يملكه مؤذن المسجد تساقط البارود المشتعل والمنطلق من فوهة البنادق لتشعل النيران بالتبن الموجود بكثرة بالجرن ، وعندما حاول مؤذن المسجد أن يمنعهم قاموا بإطلاق رصاص بنادقهم عليه ولكنهم لم يصيبوه هو بل أصاب نيران بنادقهم زوجة أخيه فصاح الرجل مستنجدا بأهالي القرية الذين هرعوا لداخل الجرن على الفور ليجدوا النيران بدأت تنتشر داخل الجرن بسرعة هائلة والسيدة ملقاة على الأرض تنزف بشدة فهجم بعضهم على الضباط في غضب هائل محاولين الإمساك بهم بينما أسرع باقي أهل القرية من رجال ونساء بمحاولة إطفاء تلك النيران ولكن الخفر تدخل لحماية الضباط الإنجليزالذين اعتقدوا بأنهم يحاولون ألقاء القبض

عليهمفأطلقوا بارود بنادقهم على الخفراء فسقط شيخ الخفر قتيلا هو وبعض الخفر.
سكت (عبد الصمد)عندما قاطعته (صوفيا) قائلة في غضب:
-ماذا تقول أيها الفلاح الوقح إن جنود وضباط جيش بريطانيا العظمى لا يفعلتلك الأفعال البشعة بالتأكيد هؤلاء الفلاحين الهمج هم من هاجموهم أولا لذلك فق.....
ابتلعت(صوفيا) باقي جملتها ولم تستطيع تكملتها عندما حدجها (شاكر)بنظرة غاضبة لتدخلها في الحديث بتلك الطريقة السخيفة في محاولة منها لتبرير أفعال ضباط بلادها القتلة.
عاد (شاكر) ينظر إلى (عبد الصمد) قائلا بصرامة:
-أكمل يا (عبد الصمد) باقي الأحداث.
أبتلع(عبد الصمد) ريقه وأكمل قائلا:
-اشتعل غضب أهالي القرية لأبعد حد وهاجموا الضباط بالنبابيت والأحجار بمساعدة باقي الخفرالذين انضموا إليهم بعد مقتل شيخهم وبعض زملائهم أمام أبصارهمواستطاعوا القبض على ثلاثة منهم ولكن نجحاثنان منهم من الهروب ولكن أهل القرية أسرعوا باللحاق بهم على الفور بينما قام الباقون بتقيد الضباط الذين استطاعوا الإمساك بهم بالحبال داخل الجرن ولقد انطلق الضابطان لبلوغ معسكرهم الموجود بقرية مجاورة لقرية (دنشواي) وكان ذلك تحت أشعة الشمس الحارقة فسقط أحدهم على الأرض وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة دون أن يمسه أحد بسوء ويبدو أنه المجهود الذي بذله في الهرب قد قضى عليه.
هز (شاكر) رأسه بالنفي قائلا:
-ليس هذا السبب بالتأكيد يبدو أنه قد أصيب بضربة شمس حادة فاليوم شديد الحرارة وأجساد هؤلاء الإنجليز لا تحتمل حرارة شمس بلادنا.
هز (عبد الصمد) رأسه أكمل قائلا:
-ولكن زميله بدلا من أن يحاول مساعدته تركه يحتضر وفر هاربا حتى وصل لمعسكره ونادي بالجنود الذين حملوا بنادقهم وانطلقوا خلف الفلاحين الذين كانوا يلاحقون الضباط وأخذوا يطلقون عليهم نيران بنادقهم

ولكن الفلاحين فروا هاربين وعادوا لقريتهم ولكن الجنود الإنجليز استطاعوا الإمساك بأحد الفلاحين فقاموا بتمزيقه بأسلحة البنادق
البيضاء شر ممزق ثم انطلقوا لدنشواي وقاموا بتخليص الضباط الثلاث الآخرين من الأسر وعادوا بهم للمعسكر..
بعد أن أنهى (عبد الصمد)قصته ارتسمت علامات الغضب جليه على ملامح (شاكر) وهب واقفا من فوق الأريكة التي يجلس عليها وصاح قائلا له:
-أذهب لإعداد الكارته وعلقها في جوادا قويا.
قال (عبد الصمد) متسائلا:
-لماذا تريد أعداد الكارته يا سيدي.
قال (شاكر) بصرامة شديد:
-سوف أذهب لدنشواي لمشاهدة كل شئ على الطبيعة قبل أن أقوم بمكالمة صديقي العزيز (مصطفى كامل باشا) ذلك الثائر الذي لن يقبل أبدا بما فعله ضباط الاحتلال الإنجليزي بأهالي قرية (دنشواي).
هز (عبد الصمد) رأسه متفهما وأسرع مغادرا المكان لإعداد الكارته كما أمره سيده بينما ارتسمت علامات الغضب على ملامح (شاكر) وهو يصيح بصوت عالي:
-أيها الإنجليز الملاعين هل دماء المصريين بلا ثمن لديكم.
ثم التفت يبحث عن زوجته لينفث بها غضبه لدفاعها عن قومها لكنه لم يجدها داخل الردهة بأسرها لقد فرت من غضبه.
وبعد نصف الساعة وقفت الكارته أمام باب القصر حيث كان (شاكر) يقف ينتظرها ،فأسرع يصعد إليها على الفور وأمسك الكرباج وألهب به ظهر الجواد الذي انطلق من فوره بسرعة هائلة حتى أن (عبد الصمد) لم يستطيع الصعود للكارته فقز يعتلي صهوة الجواد الذي كان يمتطيه في الصباح ليلحق بسيده لقرية (دنشواي).

وقف (شاكر) داخل الجرن يتطلع لأثار الحرق التي قام فلاحين القرية بإغماده فلقد كانت رائحة الدخان والمياه التي تملئ المكان خير دليل على صدق كلام (عبد الصمد) الذي ذهب لإحضار عمدة القرية كما أمره سيده هرع العمدة على الفور لتلبية

نداء (شاكر) حيث وقف أمامه في توتر وركبتيه تتخبطان في بعضهم البعض من شده الخوف فهو يعلم تماما مكانه (شاكر) داخل المحافظة بأكملها فهو من أغنى الإقطاعيين ويحمل لقب الباشا كما أنه يعلم كالجميع بأنه صديقا خاصا للثائر (مصطفى كامل باشا) العدو اللدود للإنجليز الذينكانوا في حمايته هذا اليوم المشئوم.

أطلت نظرة صارمة من عين (شاكر) وهو يقول بصوت جمد الدم داخل عروق الرجل:

-من الذي سمح لهؤلاء الضباط الملاعين بالدخول للقرية والقيام باصطياد طيور أهالي القرية ولماذا لم يحاول رجالك الخفر منعهم من القيام بهذا.

قال العمدة في صوت أقرب للبكاء:

-سيدي الباشا حضرتك تعلم تمام العلم بأن قوات الاحتلال الإنجليزي يحق لهم أن يفعلوا ما يشاءون فوق أرض مصر بأسرها ولا نملك حق منعهم البتة.

قال (شاكر) بغضب هائل:

-ماذا تعني بأن لهم الحق بأن يفعلون ما يريدون داخل بلادنا يا رجل.

العمدة:

-سيدي إنهم جنود بريطانيا العظمى ولا.....

قاطعه (شاكر) قائلا في ثورة:

-خطأ يا رجل فليس معنى أنهم يحتلون بلادنا أن يحق لهم فعل ما يشاءون على أرض بلادنا فنحن لنا جيشا أيضا وعسكر وخفرا لحماية شعبنا.

هز العمدة رأسه بالموافقة دون أن ينطق حرفا واحدابينما حدجه (شاكر) بنظرة أكثر صرامة وقال:

- من الذي قام بدعوتهم للصيد داخل القرية.

قال العمدة في ضراعة:

-إنه (عبد المجيد بك)كبير القرية يا سيدي الباشا.

قال (شاكر) للعمدة وهو يصعد فوق الكارته:

-أصعد هنا بجانبي وأرشدنيلمنزل ذلك الحقير هيا.

العمدة في تردد:

-لا يصح يا باشا سوف أتبعك فوق ظهر حماري و.....

حدجه (شاكر) بنظرة غاضبة جعلته يبتلع عبارته على الفور ويصعد بجانبه على الكارته التي أطلق لها (شاكر) العنان على الفور قاصدا بيت (عبد المجيد)ذلك الرجل الذي تسبب في تلك المذبحة منذ البداية.

كان (عبد المجيد) جالسا يدخن النرجيلة في ردهة دارهوكأن شيئا لم يحدث هذا الصباح وكان هو السبب فيه وقد كان ينفث دخان النرجيلة في تلذذعندما اقتحم (شاكر) المكان في غضب وصاح قائلا له في صرامة:

-هل أنت ذلك الحقير الذي تسبب في تلك المجزرة التي حدثت اليوم .

هب (عبد المجيد) واقفا من مكانه وصاح في غضب:

-كيف تجرأ على اقتحام داري بتلك الطريقة الوقحة وتنعتني بالحقير.

كان (عبد المجيد) يهم بمهاجمة(شاكر) ولكن العمدة دخل القاعة في تلك اللحظة قائلا بصوت عاليا ومحذرا إياه من ذلك الأمر الذي ينوعي فعله:

-إنه (شاكر باشا الأسيوطي) يا رجل عين أعيان محافظة المنوفية وأسيوط أيضا.

بهت (عبد المجيد) وتراجع للخلف في توتر واضح بعد أن عرف بمكانة (شاكر) فسمعته تسبقه حيثما ذهب فتراجع في توتر هائل وصاح قائلا:

-سيدي الباشا لقد شرفت دارنا المتواضع بحضورك إليه ترى أي رياحطيبة.....

انقض عليه (شاكر) وأمسك عنق جلبابه بقوة هائلة مما سبب له الاختناق وهذا الأخير يصيح في غضب هائل:

-لقد تسببت في قتل العديد من أهل قريتك أيها الحقير وحرق محصول العام ثم تجلس هنا لتدخن النرجيلة وتنفذ دخانها وكان شيئا لم يحدث أيها الحقير.

قال (عبد المجيد) بصعوبة بالغة:

-أنا لم أقتل أحدا يا باشا.

ضغط (شاكر) أكثر وأكثر على عنق الجلباب مما سبب ل(عبد المجيد) الاختناق أكثر وأكثر وقد خرج لسان ذلك الأخير للخارج وخرجت عيناه من محجريهما بشكل بشع فلم يعد يستطيع التنفس وقال (شاكر):

-أليس أصدقائكالإنجليزالذين دعوتهم لصيد طيور أهل القرية هم من قاموا بقتل الفلاحين البسطاء أيها الخائن.

أسرع (عبد الصمد) يحاول انتزاعقبضة (شاكر) التي تضغط على عنق الرجل الذي بدأ جسده يتراخي وقد شارف على الموت.

وأخيرا نجح (عبد الصمد) من تخليص الرجل من قبضة (شاكر) وهو يقول بتوتر:

-سوف تقتله يا سيدي.

أفاق (شاكر) من ثورته و بصق في وجه (عبد المجيد)وهو يشير إليه قائلا:

-أنه حيوان يستحق القتل مثل الأبرياء الذي تسبب في موتهم هذا الصباح.

زحف (عبد المجيد) مبتعدا من أسفل أقدامهم وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغةوأسرع العمدة لمساعدته على النهوض بينما غادر (شاكر) و(عبد الصمد) الدار عائدين للقصر.

*****

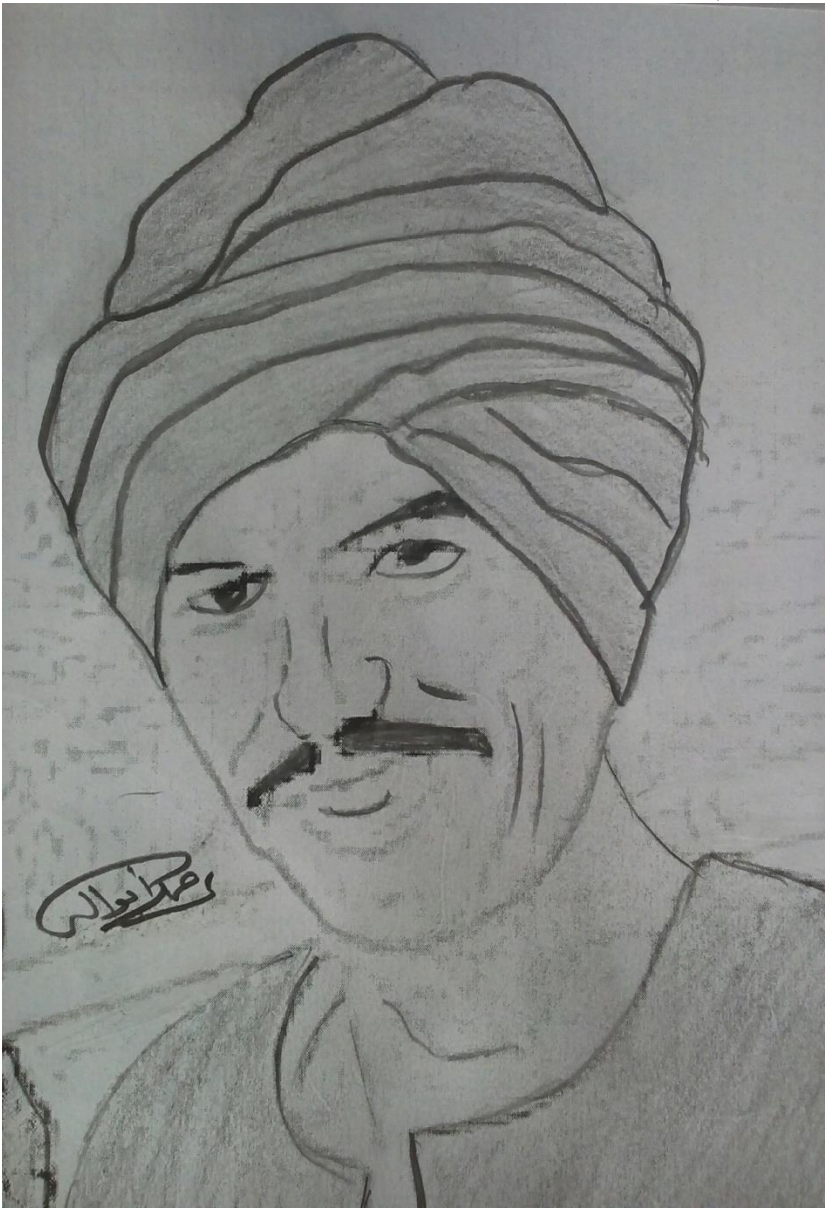

(عبد الصمد)

المؤامرة الانجليزية.

هوت قبضة اللورد (كرومر)المعتمد الإنجليزي السامي في مصر فوق سطح مكتبه في غضب هائل مما تسبب في تحطيم اللوح الزجاجي الموجود فوق سطح المكتب وهب واقفا وهو يقول لثلاثة من الجنرالات الإنجليزكانوا يجلسون أمامه:

-كيف يجرئ فلاحين مصريين همج على قتل ضابط في الجيش البريطاني السامي.

قال أحد الجنرالات الثلاثة الجالسين أمامه:

-ولكن يا سيدي اللورد لقد مات ضابطنا الإنجليزي بسبب ضربة شمس قوية كما أخبرنا الطبيب الذي قام بتشريح الجثة ليعرف سبب الوفاة وليس على يد الفلاحين المصريين مثلما كنا نعتقد في البداية.

نظر إليه اللورد (كرومر) في سخط وصاح قائلا:

-أتعرف معنى قولك هذا أيها الجنرال.

هز الجنرال رأسه نفيا فأكمل اللورد (كرومر) حديثه قائلا:

-إن ذلك يعني بأن مجموعة من الفلاحين الهمج الذين لا يملكون سوى العصا استطاعوا الإمساك بثلاثة من ضباط بريطانيا العظمى يحملون بنادق حديثةوقاموا بتقيدهم بينما فر اثنان آخرون منهم مثلما يفعل النعاج أمام الذئاب ومات أحدهم أثناء فراره منتهى المذلة والهوان للجيش البريطاني العظيم أيها القادة العظماء.

لم يجرؤ أحدا منهم على التفوه بحرف واحد فكلام اللورد صحيح تماما وستصبح فضيحة عالمية بكل المقاييس للجيش الإنجليزي العظيم.

شبك اللورد (كرومر) يده خلف ظهره وأخذ يزرعحجرة مكتبه ذهابا وإياباوهو يفكر في عمق شديد.

مرت عدة دقائق من التفكير العميق على وجه اللورد (كرومر) ثم ما لبث أساريره أن تهللت وهو ينظر إلى الجنرالات قائلا:

-يجب أن تنعقد محاكمة على الفور لتأديبهؤلاء الفلاحين الهمج الذين هاجموا ضباط دولتنا العظمى وتسببوا في موت أحدهم.

قال أحد الجنرالات:

-نعم محاكمة عسكرية إنجليزية.

نظر له اللورد(كرومر) في سخط وهتف قائلا:

-يا لك من جنرال أحمق ولا يستحق تلك الرتبة التي تحملها فوق أكتاف حلتك العسكريةبل ستكون محاكمة عادلة ويرأسها القضاءالمصري أيضا.

ارتسمت علامات الدهشة جليه على وجوه الجنرالات الثلاثة وهم يتساءلون عن كيفية تولي القضاء المصري لتلك المحاكمة التي من المفترض بأنها ستبرأ الضباط الإنجليز من كل ما نسب إليهم من اتهامات وفي نفس الوقت تدين فلاحين (دنشواي).

رفع اللورد (كرومر)سماعة الهاتف وقال لسكرتير مكتبه عبر الهاتف:

-أبعث أحد الجنود لإحضار صديقي العزيز (أحمد فتحي زغلول) وأخر لإحضار (بطرس غالي) ولكن بمنتهى الاحترام وأخبرهم بأنني أريد مقابلتهم على وجه السرعة لأمر شديد الأهمية.

هم اللورد (كرومر) بوضع سماعة الهاتف ولكنه تذكر شيئا ما فعاد يرفعها قائلا لسكرتيره:

-أريد منك البحث أيضا عن أشهر محامي مصري للدفاع عن ضباطناالإنجليز.

أتاه صوت سكرتيره:

-(الهلباوي) هو أشهر محامي مصري يا سيدي اللورد ولكنه يتقاضي خمسمائة من الجنيهات المصرية دفعة واحدة لتولي أي قضية.

برقت عين اللورد (كرومر)في ظفر وصاح قائلا:

-حسنا أرسل لذلك الهلباوي مندوبا إنجليزيافي الحال يمنحه مظروفا يحتوي على ألف جنيه مصرية كاملة فئة العشر جنيهات مقابل توليه قضية (دنشواي) للدفاع عن ضباطنا الإنجليزولكن أخبره بأن يقول لكل من يسأله عن أتعابه أن يخبرهم بأنه قد حصل منا على ثلاثمائة جنيه مصري فقط مقابل توليه تلك القضية.

وضع اللورد (كرومر)سماعة الهاتف والتفت ينظر للجنرالات الثلاثة وأخذ يتطلع لوجوههم وقهقه ضاحكا بصوت مرتفعوهتف بهم قائلا:

-والآن القضاة مصري والمحامي الذي يدافع عن ضباطنا الإنجليزمصري هو الأخر والحكم لصالحنا في النهاية.

وضحك اللورد والجنرالات الثلاثة في ظفر

وضحك الشيطان هو الأخر.

جلس (شاكر) خلف مكتبه وهو في أشد حالات الغضب بسبب هذه المجزرة التي حدثت في قرية (دنشواي) المجاورة ، وأخذيفكر عما يستطيع أن يفعله لمساعدة أهل تلك القرية المنكوبة. وبعد تفكير عميق أمسك شاكر سماعة الهاتف وطلب رقما وانتظر حتى أتاه صوت عامل التحويله فقال له:

-أريد تحويلي للقاهرة يا رجل.

عامل التحويله:

-حسنا يا سيدي الباشا على الفور.

وضع (شاكر) سماعة الهاتف منتظرا رنينها بضيق صدر ، وبعد مرور عشر دقائق كاملة أرتفع صوت رنين الهاتف فأسرعذلك الأخير يلتقط سماعة الهاتف على الفور فأتاه صوت عامل الهاتف يخبره بأن معه تحويلة القاهرة العمومية.

اختفى صوت عامل الهاتف قليلا ثم سمع صوت عامل أخر يقول له:

-معك تحويله القاهرة العمومية يا سيدي.

قال (شاكر) بلهفة شديدة:

-أريد طلب رقم قصر(مصطفى كامل باشا).

عاملا الهاتف:

-دقائق ويتم تحويلك لذلك الرقم الذي طلبته يا سيدي.

ارتفع صوت رنات متتالية من سماعة الهاتف وبعد ثلاثة رنات رفع السماعة وجاء صوت رجلا يسأل عن الطالب.

(شاكر):

-إنني (شاكر باشا الاسيوطى) صديق (مصطفى كامل باشا) وأريد التحدث معه في أمرا شديد الأهمية.

أتاه الصوت على الجانب الأخر وهو يقول:

-عذرا سيدي الباشا ولكن (مصطفى باشا) ليس موجودا الآن.

(شاكر):

-حسنا أخبره عند عودته بأنني أريده لشئ هام.

قال المتحدث على الجانب الآخر:

-عذرا فلن أستطيع أخباره الآن يا سيدي.

تعجب (شاكر) وقال متسائلا:

-ولم يا رجل.

الرجل:

-لقد سافرسيدي للعلاج بفرنسا.

(شاكر):

-منذ متى.

الرجل:

-منذ أسبوعان يا باشا.

شكره (شاكر) ثم وضع سماعة الهاتف في قلق على صديقه العزيز لأنه هو الوحيد الذي كان يستطيع جلب حقوق أهلي قرية (دنشواي) ولكن الرياح تأتي دائما بما لا تشتهي السفن.

اللورد (كرومر)

المحاكمة الهزلية.

غدا الأحد الموافق الرابع والعشرون من شهر يونيو.

سوف تنطلق السفينة التي تحمل على متنها هيئة المحكمة وهى تشق مياه النيل من القاهرة متوجهة لمدينة شبين الكوم حيث تقرر عقد المحاكمة بتلك المدينة.

ولقد علمنا من مصادرنا بأن هيئة القضاء تتكون من:

(بطرس غالي فيروز) باشا ناظر الحقانية.

(أحمد فتحي زغلول) المستشار القضائي بالنيابة

و(جودنفاهيتر) ووكيل محكمة الاستئناف الدولية(مستر بوند).

والقاضي العسكري الكولونيل(لادلو).

وسكرتير المحكمة هو (عثمان بك مرتضى).

بينما تتكون هيئة الدفاع عن المتهمين من.

(أحمد لطفي السيد) و(إسماعيل حافظ)و(محمد بك يوسف).

و(عثمان بك يوسف).

وأخيرا محامي الادعاءوهو المحامي الكبير محبوب الشعب(إبراهيم الهلباوي).

ومع إننا لا نفهم حتى هذه اللحظة كيفية موافقة المحامي المصري الكبير (الهلباوي) على أن يكون هو المدعي على الفلاحين المصريين ومدافعا عن الضباط الإنجليز القتلة.

ولكن هذه المعلومات عن هيئة المحكمة صحيحة وحقيقية مائة بالمائة تماما.

انتهى (شاكر) من قراءة تلك الإخبار الموجودة بداخل جريدة (اللواء) المصرية التي يمتلكها صديقه العزيز (مصطفى كامل باشا).

وما لبث أن قام بطيها ووضعها جانبا فوق سطح مكتبه في ضيق ثم صاح مناديا على أحد الخدم.

بعد لحظات ارتفعت دقات خفيفة على باب المكتب وما لبث أن دخل منه خادمه الأمين (سعيد) الذي انحنى في احترام قائلا:

-أوامر الباشا.

فنظر له (شاكر) قائلا:

-اذهب يا عم للبحث عن (عبد الصمد) بك وأخبره بأنني أريدهعلى وجه السرعة في مكتبي دون تباطأ.

تراجع الرجل للخلف وقال وهو يهم بمغادرة الحجرة:

-على الفور سيدي الباشا.

أغلق (سعيد) باب الحجرة خلفه وانطلق يبحث عن (عبد الصمد) في أرجاء القصر بينما نهض (شاكر) واقترب من أحد أرفف المكتبة وأخذ يتطلع لمجموعة من كتب القضاء ومد يده والتقط أحد كتب القضاء الشهيرة وعاد ليجلس خلف مكتبه عندما ارتفع صوت طرقات على باب الحجرة وما لبث أن انفتح الباب ودخل (عبد الصمد)وأغلق الباب خلفه ثم تقدم من مكتب (شاكر) الذي أشار إليه بالجلوس فوق المقعد المواجه لمكتبه فأسرع (عبد الصمد) بالجلوس.

نظر إليه (شاكر) قائلا:

-أريد منك بان تقوم بإعداد الكارته غدا في الصباح الباكر وتربط بها أقوى جواد لدينا لأننا سنقوم برحلة لمدينة شبين الكوم غدا.

زوي (عبد الصمد) مابين حاجبيه وقال له في تسائل:

-ولكن لماذا سنذهب غدا لمدينة شبين الكوم هل هناك شيئا ما.

(شاكر):

-نعم فغدا ستنعقد المحاكمة لمحاكمة فلاحين دنشواي ويجب أن نذهب لحضورها.

قال (عبد الصمد) في دهشة :

-أتقصد محاكمة الضباط الإنجليز القتلة وليس الفلاحين.

(شاكر):

-لست أدري حقا ولكن هيئة المحكمة لا توحي بالارتياح نهائيا.

(عبد الصمد):

-ماذا تعني يا سيدي.

نهض (شاكر) من خلف مكتبه وعقد ساعديه خلف ظهره قائلا:

-هيئة المحكمة تتكون من كلا من (بطرس غالي فيروز)و(أحمد فتحي زغلول)وكلا منهم معرفين بميلهم الشديد للإنجليز بل أن(فتحي زغلول)نفسه صديقامقربا

للورد(كرومر) ولقد أحضر الإنجليز المحامي المصري الشهير (إبراهيم الهلباوي) كمدافع عن الضباط الإنجليز ضد فلاحين دنشواي.
اتسعت عين (عبد الصمد)في دهشة بالغة من تلك المعلومات التي أخبره بها (شاكر)ثم قال في حنق:
-اللعنة ماذا هل انقلبت موازين الكون.
قال (شاكر) في حزم:
-يبدو ذلك لهذا يجب أن نذهب لأشاهد تلك المحاكمة بنفسي لأخبر صديقي (مصطفى كامل باشا) بتفاصيلها.
نهض (عبد الصمد) من فوق مقعده واتجه نحو باب الحجرة وهم بالخروج لإعداد الكارته على الفور ولكنه وقف مترددا فلقد كان يريد قول شيئا ما لسيده ولكنه كان خائفا من غضب سيده لما يريد قوله له ولكن صوت (شاكر) قطع تردده عندما أتاه قائلا:
-هل تريد قول شيئا ما يا (عبد الصمد).
نظر إليه ذلك الأخير وقال بتردد:
-سيدي رجاءا خاصا لا تحاول معاقرة الخمر تلك الليلة حتى تستطيع الاستيقاظ باكرا صحو الذهن.
أبتسم(شاكر) قائلا:
-أقسم لك يا (عبد الصمد) بأنني كنت أعلم بأنك ستطلب مني ذلك الطلب.
(عبد الصمد):
-سيدي أنني لم أقصد الإساءة لكن.....
قاطعه (شاكر) قائلا:
-لا تقول شئ فأنا أعلم تماما مقصدك يا رجل ، ولقد قررت أن أذهب لتلك المحكمة وأنا صافي الذهن تماما أذهب أنت لإعداد الكارته ولا تشغل بالك بشئ ونم أنت أيضا مبكرا لتستيقظ باكرا.
هز(عبد الصمد) رأسه في ارتياح فهو يعلم تماما بأن (شاكر) عندما يعده بشئ ينفذه ولا يحنث بوعده أبدا لذلك فلقد أسرع بمغادرة حجرة المكتب على الفور لتنفيذ أوامره.

نهض (شاكر) من فوق فراشه في صباح اليوم التالي بكامل نشاطه وحيويته وأسرع يأخذ دشا باردا لينعش به جسده الذي يغمره العرق من حرارة الليلة الماضية.
وعندما فرغ من حمامه المنعش أسرع يرتدى قميصا حريرا أبيض اللون لبس فوقه حلة زرقاء ومن أسفلها برز رباط عنق بنفس لون الحلة وأمسك عصا خشبية مصنوعة من الأبنوس الأسود ذات مقبض من الذهب الخالص حقا أنه لم يكن بحاجة إليها ولكنها كانت تكملة الأناقة وأخيرا وضع طربوشه فوق رأسه بميل مدروس ثم هبط للطابق الارضى حيث توجه لحجرة مكتبه وقام بفتح خزينته الحديدية التي تكدست بالأوراق النقدية وأخذ منها رزمتين من الأموال ووضعه داخل محفظته الجلدية ثم خرج وأغلق حجرة المكتب بالمفتاح وتوجه لباب القصرالذي كان مفتوحا على مصراعيه ليجد (عبد الصمد) يقف بجانب الكارته في انتظاره.
صعد (شاكر) للكارته وبادل (عبد الصمد)تحية الصباح الذي صعد بدوره ليجلس بجانبه ثم أمسك بلجام الجواد بيده اليسرى وجذبه بشدة بينما هوى بالسوط الذي باليد الثانية علي ظهره لينطلق الجواد على الفور متوجها لمدينة شبين الكوم حيث تنعقد المحاكمة.
كانت الكارته تنطلق في طريقها لشبين الكوم حيث مرت في طريقها على قرية (دنشواي) ليفاجئوا الاثنان بشئ رهيب جمد الدم في عروقهم بحق وأثبت ل(عبد الصمد) بأن كلام سيده (شاكر) كان صحيحا تماما فأمام المنازل نصبت المشانق وأماكن تصلح لربط الرجال تمهيدا لجلدهم بالسياط.
تبادل (شاكر) و(عبد الصمد) نظرات حزينة صامتة دون أن يتبادلوا أي كلمةأو حرف واحدا.
وعندما صلوا لمدينة (شبين الكوم) بعد حوالي الثلاث ساعات من مغادرتهم للقصر وجدوا أن المحاكمة قد انعقدت بالفعل وبدأت أول جلساتها في الانعقاد.
دخل (شاكر) إلى قاعة المحكمة كأحد بشوات محافظة المنوفية حيث جلس فوق أحد المقاعد التي تتوسط القاعة.

كان هيئة الدفاع التي تم اختيارها للدفاع عن الفلاحين يترافعون بشكل واهن ضعيف دون حماسة بينما كان (الهلباوي) يجلجل بصوته الجهوري في أنحاء المحكمة دفاعا عن الضباط الإنجليز القتلة.

انتهت جلسات هذا اليوم بقاعة المحكمة دون أن تحكم هيئة القضاء بشئ يذكر وأمرت باستكمال جلسات المحاكمة في اليوم التالي.

غادر الجميع قاعة المحكمة على أمل العودة غدا لاستكمال وقائع تلك المحاكمة.

لكن (شاكر)بدلا من العودة لقصره أمر(عبد الصمد) بالتوجه لأحد البنسيونات الموجودة بشبين الكوم للمبيت بها حتى صباح اليوم التالي لحضور الجلسات التالية من المحاكمة وبالفعل أدار ذلك الأخير لجام الجواد صوب أحد البنسيونات القريبة من المحكمة.

أخذت (صوفيا) تدور في أرجاء الحديقة في قلق بالغ وهى تزرع المكان ذهابا وإيابا.

في تلك اللحظة جاء خادم زوجها (سعيد) مهرولا بأقصى ما يملك من سرعة ثم وقف أمامها وقال بصوت خفيض:

-أوامر سيدتي (صوفيا).

هتفت به تلك الأخيرة قائلة:

-أين ذهب سيدك الباشا أيها الخادم.

ورغم استياء الرجل من مناداته بالخادم حيث تعود من سيده (شاكر) ومنها هى أيضا على مناداته بعم (سعيد) لكنه لم يظهر هذا الاستياء وهو يجيبها قائلا:

-لا أعلم يا سيدتي لقد طلب مني بالأمس قبل نومي بأن أبحث عن (عبد الصمد) بك لأنه كان يريده لأمرا شديد الأهمية وبالفعل بحثت عنه داخل القصر بأكمله حتى عثرت عليه داخل حجرته فأخبرته بأوامر (شاكر) باشا ثم تركته وذهبت لتناول عشائي مع باقي الخدم كالمعتاد وبعد ذلك توجهت لحجرتي حيث غلبني النعاس ولم أستيقظ حتى الصباح وفي الصباح علمت بأنه قد ذهب هو و(عبد الصمد) بالكارته دون أن يخبرا أحدا من الخدم بوجهتهم.

سكت الرجل عندما لم يجد كلاما أخر يخبرها به فنظرت إليه (صوفيا) في سخط وقالت له:

-كيف لم يخبرك سيدك بوجهته وأنت خادمه الخاص أتسخر مني يا رجل.

قال لها (سعيد) في هدوء أثار غضبها:

-سيدي لا يخبر أحدا عما ينتوي فعله أبدا يا سيدتي منذ كان صغيرا ولو كان يفعل لأخبرك أنتي قبلنا.

همت (صوفيا) أن تنفجر في وجهه بسبب تلك الطريقة التي تحدث بها معها لكنها أبصرت أبنائها قادمون ناحيتها فقالت ل(سعيد) في غضب عارم:

-انصرف أيها الخادم وعندما يعود الباشا سوف أجعله يعاقبك على وقاحتك أثناء الحديث معي.

لم يجيبها (سعيد) لكنه أطاعها على الفور واستدار عائدا لداخل القصر بينما أخذت (صوفيا) تسب بالإنجليزية لأن زوجها قد منعها من معاقبة أحد من الخدم قبل الرجوع إليه.

وفي تلك اللحظة وصل إليها أبنائها حيث وقفوا بجانبها وسألها أبنها (أحمد) قائلا:

-أين بابه يا مامه.

هزت صوفيا رأسها في نفي قائلة:

-لقد ذهب لرؤية المحاصيل يا (أحمد) وسيعود على الفور.

ولكن قلبها كان يخبرها بأنه لن يحضر اليوم.

توجه (شاكر) في اليوم التالي لقاعة المحكمة بعد تناوله طعام الإفطار بصحبة (عبد الصمد) على الفور بينما انتظره ذلك الأخير داخل الكارته كما حدث بالأمس تماما فلقد منع العامة حضور تلك المحاكمة.

وفي ذلك اليوم ألقى (إبراهيم الهلباوي) خطبة كبيرة يصف فيها وحشية أهل (دنشواي) ضد الضباط الإنجليزالأبطال الذين كانوا يشاهدون أبراج الحمام فقط بالقرية ، وهو يتجولون في أنحائها للتمتع بمناظر الحقول والمزروعات ولكن أهالي القرية الأغبياء هاجموا الضباط بوحشية لكرههم لهم الذي لا مبرر له وكيف يقومون بفعل ذلك والقوات البريطانية العظيمة جاءت مصر لمساعدة المصريين في التقدم والرقي.

ولقد زعم (الهلباوي) بأن أهالي(دنشواي) هم من قاموا بإشعال النيران داخل الجرن ليخفوا تعديهم على الضباط الإنجليز وكان حجته في ذلك الأمر هو سرعة أهالي (دنشواي) في إخماد ذلك الحريق المتعمد..
ومع كل ذلك الدفاع العظيم من (الهلباوي) كان الدفاع في الجانب الأخر واهن ضعيف لا يتكلم إلا فيما ندر.
وكما حدث بالأمس تم تأجيل المحاكمة لليوم الثالث على التوالي.
حيث غادر الجميع قاعة المحكمة لليوم الثالث والأخير.

بدأت المحاكمة لليوم الثالث على التوالي وجلس (شاكر) على مقعده الذي اعتاد الجلوس عليه في الأيام الماضية.
بدأت الجلسة بمرافعة (الهلباوي) الحماسية لصالح الضباط الإنجليز كالمعتاد بينما جلس محامين أهل (دنشواي) مكتفين بالسماع مثل باقي الحاضرين لحديث (الهلباوي).
أمر القاضي أحد الضباط الخمس الذي كان موجودا في (دنشواي) وكان يدعي بالضابط(بول)وقد قبض عليه الفلاحين أثناء تلك الحادثة بأن يقف بين يدي هيئة المحكمة.
وقف الضابط(بول) أمام القضاة الذين آخذو يسألونه بعض الأسئلة حول ملابسات الحادث.
فأخذ الضابط يدافع عن نفسه هو وزملاءه الضباط وقال بأنهم لم يكونوا يقصدون سوءا بأهل تلك القرية ولقد أشار لأحد المتهمين وأخبر القاضي بان ذلك الفلاح قد قام بحمايته هو وبعض الرجالالأخريين من غضب باقي أهل القرية وقدم له المياه أيضا للشرب بعد أن كاد يموت عطشا.
أشار القاضي للرجل الذي قال الضابط بأنه هو من قدم له المياه بالتقدم من منصة المحكمة فتقدم الرجل في خوف ووقف في خوف ورهبة وأقدامه ترتجفن بشدة من مهابة الموقف الذي لم يعتاد عليه من قبل فسأله القاضي قائلا:
-ما أسمك أيها الرجل.
الفلاح:

-(عبد المطلب محفوظ) يا سيدي القاضي.

القاضي وهو يشير للضابط (بول) :

-هل قمت بحماية ذلك الضباط هو وزملاءه من ذلك العدوان الذي قام به أهل قريتك نحوهم وأعطيتهم المياه يا (محفوظ).

(محفوظ):

-نعم يا سيدي القاضي لقد فعلت ولكن أهل قريتي كانوا يدافعون عنها فلقد أخذ هولاء الضباط يطلقون علينا البارود من بنادقهم كما قاموا بحرق الجرن لشيخ المسجد.

تجاهل القاضي عبارة الرجل الأخيرةونظر للضابط (بول) وسأله مرة أخرى قائلا:

-هل هناك شخصا أخر قدم لك المياه.

الضابط:

-نعم يا سيدي إنه أبن أمودة القرية.

كان الضابط ينطق الحروف العربية مكسرة ولكن القاضي فهم بأنه يقصد أبن عمدة القرية.

صاح القاضي بصوت جهوري قائلا وهو ينظر للأوراق التي أمامه:

-نادي على الشاهد الثاني (فتح الله الشاذلي) أبن عمدة قرية دنشواي.

أسرع حاجب المحكمة ينادي على (فتح الله) الذي هرع على الفور ليقف بين يدي القاضي الذي سأله نفس السؤال الذي سأله للمتهم (محفوظ)من قبل وكان الرد بنفس الإجابة تقريبا.

فأشار له القاضي بالعودة لمقعده مرة ثانية بعدما أن انتهى من استجوابه وعندما هم (فتح الله) بالعودة لمقعده هب (الهلباوي) على الفور واقفا وهو يطلب من القاضي أن يسمح له بسؤال الضابط والشاهد بعض الأسئلة.

هز القاضي رأسه بالموافقة فأسرع (الهلباوي) يقول للضابط(بول):

-هل أنت متأكد تماما من ذلك المدعو (محفوظ) هو من قام بإعطائك المياه لتشرب أنت وزملاءك وليس (فتح الله) أبن العمدة هو الفاعل.

الضابط(بول):

-نعم يا سيدي إنني أعتقد أنه هو من جاء لي بالمياه أنا وباقي زملائي بالإضافة وهذا الفتى.
وقارن قوله بأن أشار لأبن العمدة الذي كان به الكثير من الشبه بالفلاح (محفوظ) الفقير الذي بلى جلبابه من ذلك الفقر المدقع الذي يعاني منه كباقي أهل دنشواي تماما فتلك البلد ملكا للإنجليز والأغنياء فقط ولنهم مجرد عبيد في بلادهم.
فأستغل (الهلباوي) ذلك التشابه وصاح بالضابط قائلا:
-تذكر جيدا أيها الضابط من أعطاك المياه لتشرب فهناك تشابه بين ذلك المجرم وأبن العمدة ويبدو أنه قد اختلط عليك الأمر لذلك الشبه بينهم.
وقف الضابط ينقل بصره بين أبن العمدة و(محفوظ) في تردد ثم ما لبث أن حسم أمره وهو يشير لأبن العمدة قائلا:
-نعم لقد اختلط علي الأمر فهذا الشاب هو من إعطاني الماء وليس ذلك القاتل.
ذادت حماسة (الهلباوي) وهو يمدح ضباط الجيش الإنجليزي وفي نفس الوقت يلعن الفلاحين المصريين المتوحشين الذين أساءوا لمصر عند أصدقائهالإنجليزالذين عاشوا معهم ودافعوا عنهم لمدة خمس وعشرون سنة كاملة من أي احتلال فرنسي أخر.
وبعد مرافعة استمرت لأكثر من ثلاث ساعات كاملة.
ارتسمت علامات الانتصار فوق وجه (الهلباوي) وعاد يجلس فوق مقعده في ظفر بعد أن أخذ إذن القاضي بالجلوس.
كان مقعد (الهلباوي) قريب من مقعد (شاكر) الذي نظر إليه قائلا بغضب:
-يا لك من خائن للمصريين أتبيع أهل بلدك من أجل المال يا (هلباوي).
نظر إليه (الهلباوي) في غضب قائلا:
-كيف تجرأ يا رجل لتنعتني بذلك الكلام ألا تعرف مع من تتحدث يا رجل.
هز(شاكر) رأسه قائلا:
-نعم إنني اعلم تماما مع من أتحدث، إنني أتحدث مع جلاد (دنشواي).
أنتفض(الهلباوي) واقفا من فوق مقعده في غضب وهم بسب (شاكر) عندما ارتفع صوت القاضي (أحمد فتحي زغلول) وهو يقول في غضب موجها كلامه (لشاكر):

-من أنت يا رجل وكيف تجرأ على أهانة محامي كبير مثل (الهلباوي) بداخل المحكمة وأمام هيئة القضاء

نظر(شاكر) له في تحدي واضح:

-أنا (شاكر باشا الأسيوطي) كبير أعيان مدينة أسيوط والمنوفية وصديق (مصطفى كامل باشا) شخصيا وأحد أعضاء الحزب الوطني وتلك المحكمة ليست سوى مسرحية هزلية اشتركتم جميعا في كتابتها، فلقد شاهد ناظر عزبتي كل ما حدث داخل قرية (دنشواي)في ذلك اليوم.

سكت الجميع عندما عرفوا بمكانة (شاكر) الكبيرة وقال له القاضي (أحمد زغلول):

-حسنا ولماذا لا يحضر ناظر عزبتك ليخبر هيئة المحكمة بما شاهده ذلك اليوم فربما تغير من الأمر شيئا يا (شاكر) باشا.

ابتسم(شاكر) في سخرية وقال:

-حقا لست أعتقد بأن شهادته قد تغير من الأمر شيئا فالمشانق نصبت بالفعل داخل(دنشواي) منذ أول يوم للمحاكمة.

نعم فلن يتغير من الأمر شيئا يا (شاكر) أبدا فما رتب له اللورد (كرومر) سينفذ بكل حذافيره بمساعدة قضاة فاسد ومحامي مصري باع ضميره للمال للأسف كلهم مصريين البرئ والجلاد ، الضحية والقاتل ، الشانق والمشنوق.

الحكم الجائر.

انتهت حلقات الاستماع إلى الشهود والمدانين ومرافعات الدفاع وأخيرا جاء النطق بالحكم النهائي.

نظر القاضي (أحمد فتحي زغلول) للحاضرين بتمعن شديد وعندما التقت نظراته بنظرات (شاكر) القوية الثابتة خفض وجهه في سرعة ينظر لتلك الأوراق التي سجل فيها الحكم الذي سينطق به بعد قليل.

تنحنح ثم رفع رأسه ينظر للحاضرين بنظرات ثاقبة وقال بصوت جهوري سمعه كل من كان داخل القاعة:

-حكمت المحكمة على كلا من (حسن علي محفوظ) و(يوسف حسني سليم) و(السيد عيسى سالم)و(محمد درويش زهران) بالإعدام شنقا لقيامهم بقتل أحد الضباط الإنجليز أثناء ملاحقته.
اتسعت عين (شاكر) ذهولا من قسوة الحكم الجائر بينما أكمل القاضي حكمه قائلا:
وبالإشغال الشاقة المؤبدةلكلا من.
(محمد عبد النبي)و(أحمد عبد العال محفوظ) والسجن خمسة عشر عاما للمتهم (أحمد السيسي).
ولم يكتفي (فتحي زغلول) بذلك القدر من تلك الأحكام الجائرة بل لقد حكم على ستة من أهالي (دنشواي) بالسجن سبع سنوات كاملة كما أمر بجلد ثمانية من الرجال خمسون جلدة لكل منهما دفعة واحدة.
غادر الجمع قاعة المحكمة حيث توجهوا جميعا صوب قرية (دنشواي)لتنفيذ تلك الإحكام الجائرة بهؤلاء الفلاحين البسطاء الذي أوقعهم حظهم العاثر بين يدي قضاه مرتشون فقدوا الضمير والإنسانية وكل الصفات البشرية في محاولة لإرضاء أسيادهم الإنجليز وللأسف فلقد تقرر تنفذ تلك الأحكام الظالمة داخل (دنشواي)وأمام ذويهم دون رحمة أو شفقة.
صعد (شاكر) إلى الكارته وجلس بجانب (عبد الصمد) وأمر ذلك الأخير بأن ينطلق بها إلى (دنشواي) على الفور.
وبالفعل أطلق ذلك الأخير العنان للجواد الذي يجر الكارته ليسابق الجنود الذينيحيطون بالمحكوم عليهم كالسوار الذي يحيط بالمعصم.
عندما وصل (شاكر) و(عبد الصمد) للقرية شاهدوا المشانق وقد نصبت أمام بيت كل محكوم عليه بالإعدام ليكون عبره لأهله ولأهل القرية بأكملها.
وعندما وصل الجنود بعد ساعة كاملة لقرية (دنشواي) وهم يحيطون بالمحكوم عليهمإحاطة السوار بالمعصم ثم أخذوا يقومونبتوزيعهم على المشانقوالأماكن المخصصة لتنفذ عملية الجلد بها تمهيدا لتنفيذ تلك الأحكام الصادرة.
صعد كلا من المحكوم عليهم لمنصة الإعدام حيث وضع الجلاد أنشوطه المشنقة حول رقبة أول المحكوم عليهم وأوقفه ذلك الأخير فوق المكان الذي يفتح من أسفله

ليهوى المحكوم عليه من حالق والانشوطة تلتفت حول رقبته في نفس الوقت لتحطم ترقوته بصوت مسموع ويموت على الفور.
ارتفعت أصوات الصراخ والعويل من نساء القرية بينما يهوى الرجالواحد تلو الأخر من أعلى المشنقة ويبقى متعلقا يتأرجح من رقبته حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة.
وبعد أن فرغ الجلادون من تنفيذ حكم الإعدام في الأربعة رجال بدأ الجنود بربط الرجال الذين قد حكم عليهم بالجلد.
وما لبثوا أن انهال عليهم الجنود بضربات السياط ذات الأطراف الحديدية المتعددة لتدمي ظهورهم وقلوب الحاضرين وأهالي (دنشواي)معهم من شدة قسوتها البالغة.
عندما عاد (شاكر) إلى قصره كان حزينا شديد الغضب من فظاعة ما حدث أمامه اليوم من قسوة وظلم ووحشية حيث أغلق حجرة مكتبه عليه بالمزلاج وجلس يتطلع لصورة والده الزيتية في حزن هائل وكأن موت والده كان هذا اليوم.
كان (شاكر) يتذكر كلمات والدهالأخيرة قبل موته وهو يوصيه بالفلاحين البسطاءخيرا الذي لم يستطيع إنقاذهم اليوم من حبل المشنقة أو الجلد.
وكان والده يطلب منه دوما منح الفلاحين العاملين لديهم في الحقول حقهمبالكامل دائما بما يرضي الله ويزيدهم في العطاء من أجل أهل بيته وأولاده ولكي يبيت الفلاح ليلته سعيدا داعيا لهم بالخير والرحمة ، ويحافظ على مالهمولا يحاول مد يده لسرقتهم أبدا.
توقفت تلك الذكريات داخل رأس (شاكر) عندما ارتفعت دقات خفيفة على باب الحجرة فصاح هذا الأخيرمتسائلا عن من يكونالطارق.
أتاه صوت زوجته (صوفيا) تطلب منه فتح الباب لها لتستطيع الدخول فنهض من خلف مكتبه وفتح البابلها ووقف ينظر لها بنظرة خاوية لا تنم عن شئ ما.
أفسح (شاكر) الطريق لها فأسرعت تدخل حجرة المكتب وتغلف بابها خلفها على الفور فسألها عن سبب مجيئها الآن.
فقالت له:
-لقد طال غيابك عني يا (شاكر) ولقد قلقت عليك أين ذهبت تلك الأيام دون حتى أن تخبرني بعزمك على الرحيل.
صاحبها (شاكر) في ثورة مفاجئة:

-لقد كنت أشاهد جرائم شعبك العظيم ضد فلاحين مصر البسطاء يا زوجتي المصون يا حفيدة القتلة الملاعين يا شعب قاتل حقير.
همت(صوفيا)بالدفاع عن شعبها ولكن (شاكر) حدجها بنظرة قاسية جعلتها تبتلع الكلمات في حلقها على الفور.
وقد حاولت أن تواسيه لكنه نهرها على الفور وقام بطردهاخارج حجرة مكتبه.
أسرعت (صوفيا)تصعد لحجرتها وهى تبكي في حرقة وقد سالت الدموع فوق وجنتيها رغما عنها بسبب تلك المعاملة القاسية التي فلم تعتادها تلك من زوجها من قبل.
بينما عاد (شاكر) يغلق باب حجرته بالمزلاج ثم اتجه للرف الذي يوجد فوقه زجاجات الخمر وأمسك بزجاجة من الخمر المعتق وحملها لمكتبه وقام بفتح غطاء الزجاجة وأخذ ينهل منها بلا توقف حتى أنه قد أغرق ملابسه بالخمر المتساقط من جانبي فمه فلقد أراد أن ينسى ما شاهده اليوم داخل (دنشواي) أمام بصره دون أن يستطيع فعل شئ.
ولكن هل يمنع احتساء الخمر القدر هل؟

مرت عدة أيام على تلك الأحداث وما زال (شاكر) يحتسي الخمر بلا توقف حتى يسقط فاقدا للوعي كل ليلة من كثرة ما تجرعه من خمر فكان (عبد الصمد)يأتي كل يوم ليحمله لحجرة نومه بمساعدة خادمه (سعيد) وهو فاقد الرشد ويضعه فوق فراشه بملابسه.
ولكن (شاكر) فور استيقاظه في اليوم التالي يسرع بالهبوط لحجرة مكتبه ليعاود احتساء الخمر.
وفي أحد الأيام وكالعادة هبط (شاكر) لحجرة مكتبه فور استيقاظه وجلس خلف مكتبه كالمعتاد وهو يهم بفتح زجاجة خمر جديدة عندما دفع(عبد الصمد)باب حجرة المكتب بيده وهو يمسك بجريدة اللواء ويشير بها في
-سيدي لقد جئت لك بخبر جيد سوف يسعدك بشدة .
قال (شاكر) في فتور واضح:

-وما هو ذلك الشئ الذي سيسعدني بعد الذي شاهدناه في (دنشواي) منذ بضعة أيام قليلة.
اقترب (عبد الصمد) من المكتب الذي يجلس خلفه (شاكر) وقام بفض الجريدة على سطحه أمام بصره وهو يشير لخبر أعلى الصفحة الثانية قائلا:
-أنظر لذلك الخبر الموجود أعلى تلك الصفحة.
نظر (شاكر) لذلك الخبر الذي يشير إليه (عبد الصمد) في فتور ثم ما لبث بأن اتسعت عيناه فرحا.
فلقد كان الخبر يشير بأن صديقه(مصطفى كامل باشا) قد قرر قطع رحلة علاجه بفرنسا في القريب العاجل ليتوجه لإنجلترا بسبب ما حدث في (دنشواي) ليقوم بفضح اللورد (كرومر) أمام الأمة الإنجليزية بأسرها.
أشرق وجه (شاكر) وارتسمت على محياه علامات السرور والفرح وهو يقول:
-يا لك من رجلا وطنيا يا صديقي الغالي لقد أهملت علاجك برغم مرضك الشديد لتتفرغ لقضية فلاحين (دنشواي).
قال (عبد الصمد) بلهجة معاتبة:
-أنظر يا سيدي لصديقك وما قد قرر فعله برغم مرضه الشديد بينما أخذت أنت تحتسي كؤوس الخمر بلا حساب محاولا أن تنسى ما حدث.
نظر إليه (شاكر) في صمت مطبق ، فبرغم قسوة كلامه لكنهكان على حق فها هو صديقه المريض يترك علاجه بفرنسا ويذهب لبريطانيا رغم المرض الذي يعانيه ليحاول أن يجيء لأهالي (دنشواي) حقوقهم التي نهبت بينما غرق هو في شرب الخمروبلا حساب.
قال (عبد الصمد) عندما طال صمت (شاكر):
-عذرا يا سيدي أن كانت عبارتي قد أغضبك.
قال (شاكر):
-لا تعتذر فأنت على حق في كل حرف نطقت به ولكن أريد الجلوس وحيدا لبعض الوقت.
غادر (عبد الصمد) حجرة المكتب وقد شعر بأن سيده قد غضب منه بسبب كلامه القاسي ولكنه يجب أن يعود لرشده يجب أن يعي ما يفعله كل يوم.

عاد (شاكر) يطالع الخبر للمرة ثانية وقد لاحظ بأن أغلب مقالات الجريدة تتحدث عن مجزرة (دنشواي) التي وقعت منذ عدة أيام مضت.
في تلك اللحظة اقتحمت (صوفيا) الحجرة ووقفت أمام مكتب زوجها في تردد فرفع (شاكر)بصره إليها قائلا:
-هل تريدين شيئا يا (صوفيا).
جلست (صوفيا) على المقعد المواجه له وهى تكاد أن تبكي قائلة:
-نعم أريد السفر لإنجلترا عند والدي لأريح أعصابي المتعبة بعض الوقت.
قال (شاكر) في سخرية لاذعة:
-وما الذي يتعب أعصابك يا (صوفيا) هل قتل الإنجليز أهل مدينتك ثم قلموا بإعدام البقية.
فتجاهلت (صوفيا) عبارات السخرية تلك وقالت له:
-لم يعد الخدم يعاملونني كما كانوا من قبل فبرغم كونهم يقومون بخدمتي كما يفعلون دائما لكنهم لم يعودون كسابق عهدهم معي ودائما ما أجدهم ينظرون لي بنظرات يملأها الغضب والحقد الشديد كما تفعل أنت أيضا.
كان (شاكر) يود أن يخبرها بأنها تتخيل هذا الأمر ولكنه يعلم تماما بأنها على حق فالخدم مصريين بالطبع وبالتأكيد أن حادثة (دنشواي) قد جعلوهم يمقتون بني جنسها بشدة لكنه آثر الصمت.
فأكملت (صوفيا) قائلةفي ضراعة شديدة:
-أرجو منك بالموافقة على سفري لإنجلترا حيث سأمكث هناك بضعة أشهر لأريح فيها أعصابي المتعبة ويكون جميع الخدم قد نسوا ما حدث خلالها.
رمقها (شاكر)بعض الوقت في صمت وهو يقلب فكرةسفرها من جميع جوانبه داخل رأسه ولكن فجأة برقت عيناه بشدة عندما خطرت له فكرة جيدة وهمس لنفسه قائلا:
-نعم ولما لا.
ثم نظر إليها وهز رأسه بالموافقة قائلا لها:

-حسنا أذهبي أنتي لتقومي بإعداد حقائبك وحقائب الأولاد وأنا سأقوم بالاتصال بالميناء لمعرفة موعد قيام أول سفينة متجهة للجزر الإنجليزيةفربما أصطحبكم في تلك الرحلة فأنا متعب الأعصاب أيضا.

تهللت أساريرها على الفور وهبت واقفة من فوق مقعدها قائلة:

-حقا يا (شاكر) هل ستأتي معنا. قال (شاكر):

-ولما لا يا زوجتي العزيزة.

دارت (صوفيا) حول المكتب وأسرعت تحتضنه وتقبله في سعادة بالغة وهرولت مسرعةلتخبر أبنائها بأن والدهم قد وافق على سفرهم لإنجلترا في أقرب فرصة متاحة لرؤية جدهم الذين يحبونه بشدة. بينما همس(شاكر) لنفسه قائلا في خبث:

-نعم ولما لا أنها فرصة سانحة لمقابلة صديقه العزيز (مصطفى كامل) في إنجلترا ومحاولة تقديم يد المساعدةوها قد جاءته الفرصة لجلب حقوق فلاحين (دنشواي) على طبق من فضة فيجب أن يغتنمها سريعا تلك المرة.

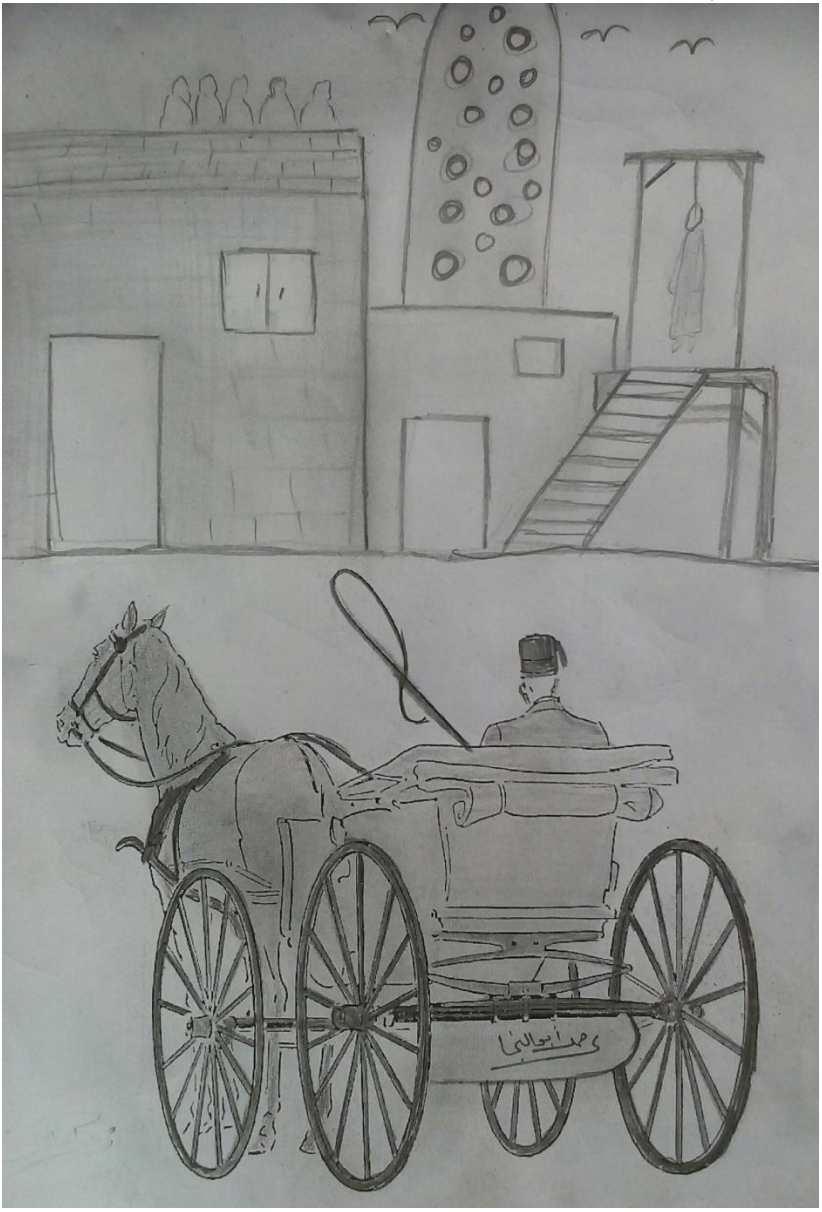

(شاكر) على الكارتة يشاهد تنفيذ الحكم

السفر لإنجلترا.

في عدة أيام علم (شاكر) بأن إحدى السفن الإنجليزية ستغادر ميناء الإسكندرية بعد ثلاثة أيام فقط في طريقها للجزر البريطانية.
وبالفعل قام بحجز ثلاثة أماكن له ولزوجته و(عبد الصمد) أيضا فلقد قرر اصطحاب خادمه معه في تلك الرحلة وذلك بخلاف أبناءه التوأم.
لم يكن (شاكر) متحمسا لتلك الرحلة بهدف زيارة السير (توماس) كما أوهم زوجته (صوفيا) أو ليريح أعصابه هو الأخر مثلها بل كان له هدفا مختلفا تماما فلقد قرر اللحاق بصديقه (مصطفى كامل).
في تلك اللحظة تقدم (عبد الصمد) لداخل الحجرة ووقف أمام شاكر قائلا في تساؤل:
-سيدي لقد جاءني رئيس الخدم منذ قليل وأخبرني بأنك تريدني على وجه السرعة.
هز (شاكر) رأسه بالإيجاب قائلا:
-نعم لقد طلبت حضورك لشئ شديد الأهميةوأريد منك قبوله وبلا مناقشة.
ارتسمت علامات الاهتمام الشديد على وجه (عبد الصمد) وهو يسأله قائلا:
-خيرا يا سيدي أن جميع أوامرك مطاعة ما دامت لا تغضب الله.
أبتسم (شاكر) في أمتنان ورجع بظهره للخلف حيث أستند على ظهر مقعده الجلدي قائلا:
-أنني أعلم ذلك يا (عبد الصمد) فمنذ كنا صغارا ونحن كنا أصدقاء أو أشقاء وكنت دائما خيرصديق وخير ناصح كما كنت دائما مطيعا لي في جميع قراراتي ولقد اعتبرتك دائما المرآة التي أنظر إليها لاشاهد نفسي بها فأبصر عيوبي وأعلم بأن شربي للخمر شئ يحنقك وترفضه بشدة.

قال (عبد الصمد) وقد بدأ يشعر بشئ من القلق يتسلل إلى قلبه من حديث (شاكر) له:
-سيدي هل هناك خطب ما.
(شاكر):
- لا يا (عبد الصمد) ولكنني قد اتخذت قرارا بالسفر لإنجلترا أنا وباقي العائلة لأقضي هناك بعض الوقت في ضيافة السير (توماس) والد زوجتي.

(عبد الصمد):

-إنني أعلم بذلك الأمر يا سيدي منذ بدأت سيدتي في أعداد حقائبها منذ عدة أيام ولكنني لم أكن أعلم بأنك ستسافر بصحبتهم.

نهض (شاكر) من فوق مقعده وشبك أصابع يده خلف ظهره ونظر له بتمعن شديد ثم قال بهدوء:

-نعم سوف أسافر أنا الأخر ولقد قررت أن تكون بصحبتي في تلك الرحلة.

اتسعت عين (عبد الصمد) في دهشة عارمة وقال:

-سيدي ماذا تقول كيف أصطحبك لإنجلترا ومن سيهتم بشئون الأرض والعزبة والقصر والخدم.

(شاكر):

-لا تشغل بالك بتلك الأمور فلقد قمت بالاتصالبعمي (محمد الأسيوطي) وطلبت منه الاهتمام بتلك الأمور كلها وسوف يحضر للمنوفية بعد عدة أيام ليتابع أعمالي هنا بينما يقوم أبنه الأكبر (عادل) بمتابعة الأمور هناك في أسيوط.

(عبد الصمد):

-ولكن يا سيدي لا يمكنني الذهاب معك فأنا لم أسافر خارج حدود مصر من قبل ثم أنني.....

سكت (عبد الصمد) عندما لم يجد شيئا يقوله ليبرر به رفضه فكرة السفر لإنجلترا ولكن (شاكر) قال له:

-أنني أعلم كرهك الشديد للشعب الإنجليزي مثلي تماما أنا وباقي الشعب المصري وهذا هو سبب عدم موافقتك على السفر معي ولكن صدقني أن سفري هذا لشئ شديد الأهمية.

(عبد الصمد):

-سيدي أنني لا أكره الشعب الإنجليزي أو الفرنسي فأنا أعتبر كل البشر سواسيةأمام الله فالدين لله الواحد القهار والأرض لجميع البشر والشعوب ولكنني أكره لغتهم الاستعمارية البغيضة ومما ساد الأمر سوءا على سوء ما حدث في (دنشواي) منذ

بضعة أيام فقط وإعدامهم للفلاحين الأبرياء دون ذنب جنوه سوا إنهم حاولوا حماية قريتهم من العدوان عليها من بعض الضباط المحتلين لبلادهم.
هز (شاكر) رأسه موافقا على كلام (عبد الصمد) وقال في أسى واضح:
-كلنا هذا الرجل.
قال(عبد الصمد) في توسل:
-أرجوك أعفني من فكرة مجيئي معك لإنجلترا.
قال (شاكر):
-أنصت جيدا يا (عبد الصمد) أنني لست مسافرا لإنجلترا لمجرد الحصول على المتعة أو الاستجمام بل إنني مسافرا للقيام بشئ وطني وأريدك أن تصطحبني لتقوية عزيمتي ومساندتي في ذلك الأمر.
قال (عبد الصمد) متسائلا:
-وما هو ذلك الأمر الوطني الهام يا سيدي.
(شاكر):
-كما تعلمت وكما قرأت يا (عبد الصمد)بأن صديقي (مصطفى كامل باشا) قدقرر قطع رحلة علاجه بفرنسا والتوجه لإنجلترااللتقدم بشكوى ضد المعتمد البريطاني اللورد (كرومر) للحكومة البريطانية والشعب الإنجليزي الذي لن يرضيه أفعال ذلك اللورد الحقير وسوف يفضح أعماله الوحشية داخل مصر ليس في إنجلترا فقط بل في دول أوربا بأسرها ولست أقل منه وطنية يا رجل فأنا أحد أعيان محافظة المنوفية ويجب أن أكون بصحبته عند قيامه بذلك الأمر وأريدك أن تكون مرافقا لي.
برقت عين (عبد الصمد) عند سماعه لذلك الأمر وقال بحماس هائل:
-بالطبع سوف أذهب معك إن كان هذا هو السبب.
برقت عين (شاكر) بدوره وهو سعيدا بموافقة (عبد الصمد) على الذهاب معه لأرض أعداء بلادهمالإنجليز.

وقف (شاكر) أمام باب القصر في انتظار مجيء الكارته وقد كان يرتدي حلة جديدة رمادية اللون وأسفلها قميص حريري أبيض اللون بينما وضع طربوشهالأحمر فوق

رأسه بشكل مائل وهو أمسك بيمناه عصاه الأبنوسية وهو يداعب شاربه الكث بأصابعه وهو يبتسم كلما تخيل منظر وجه زوجته (صوفيا) عندما تفاجئ بوجود (عبد الصمد) معهم في تلك الرحلة فهو لم يخبرها بشأن مجيئه معهم فهو يعلم بأنها تغار من (عبد الصمد) لحبه الشديد له.

كان (عبد الصمد) قد استيقظ في الصباح الباكروتوجه لمدينة شبين الكوم التي شهدت تلك المحاكمة الظالمة لأهالي (دنشواي) من قبل حيث قام بشراء تذاكر السفر بالقطار المتجه للإسكندرية كما أخذ معه أغراض (شاكر) وعائلته وحقيبته الشخصية هو الأخرى داخل الكارته الثانيةوقام بشحنها داخل عربات القطار.

في تلك اللحظة خرجت الليدي(صوفيا) هي وأبنائها ووقفوا جميعا بجانب زوجها وسألته قائلة:

-أين الكارته يا زوجي العزيز.

أجابها (شاكر) وهو يخرج ساعته الذهبية المعلقة بسلسة ذهبية بعروة الحلة وقد وضعها داخل جيب صغير بالحلة ورفع غطاء الساعة لينظر لعقاربها ليجدها تمام التاسعة صباحا.

-لقد ذهب الحوذي لإحضارها من داخل الإسطبل منذ قليل.

قالت (صوفيا) وهي تنظر حولها متسائلة:

-ولكن أين الحقائب إنني لا أراها في الجوار.

أجابها (شاكر):

-لقد سافر (عبد الصمد) في الصباح الباكر بالحقائب وحده بالكارته الثانية حيث سيضعها داخل مقصورتنا وسيقوم بشراء تذاكر القطار المتجه للإسكندرية وسينتظرنا في محطة القطار حتى نلحق به هناك.

قالت (صوفيا):

-هل قمت بالتنبيه عليه عدم العودة وترك الحقائب بالقطار قبل ذهابنا إليه.

نظر إليها (شاكر) قائلا في هدوء شديد:

-لن يعود (عبد الصمد) فلقد قررت بأن يصطحبنا في تلك الرحلة.

قالت (صوفيا) ولم تفهم ما يعنيه زوجها جيدا:

-أتعني بأنه سيصطحبنا لميناء الإسكندرية ليقوم بتوديعك وأنت فوق سطح السفينة.
هز (شاكر) رأسه بقوة وهو يقول:
-بل سيذهب معنا لإنجلترا.
ارتسمت علامات الدهشة البالغة على ملامحها ممزوجة بعلامات الاستياء الشديد وهى تقول:
-ماذا تعنى بأنه سيصطحبنا لإنجلترا إنك لم تخبرني بذلك الأمر من قبل.
لم يجيبها (شاكر) إنما أشار للكارته القادمة في اتجاههم وقال لها بحزم:
-هيا لقد حضرت الكارته فيصعد إليها الجميع سريعافيجب اللحاق بميعاد القطار.
توقف الكارته أمامهم مباشرتا فأسرعت (صوفيا) بالصعود وقد ارتسمت علامات الغضب الشديد على ملامحها الجميلة لذلك الأمر المفاجئ الذي لم يخطر لها على بال وتبعها أولادها بينما أخذ (شاكر) يتأمل حوائط القصر بضع لحظات ثم صعد للكارته وأمر سائقها بالانطلاق على الفور دون تباطأ للحاق بالقطار.
أسرع الحوذي يلهب ظهر الجواد بسوطه الذي أطلق صهيلا عاليا قبل أن ينطلق صوب محطة القطار الكائنة بمدينة شبين الكوم.

توقف (عبد الصمد) داخل إحدى عربات القطار في الدرجة الأولى حيث كانت مقسمة لكبائن منفصلةفقام بوضع الحقائب والإغراض الخاصة بسيده وعائلته داخل عربة الحقائب بعد أن حصل على تذاكر خاصة بها .وكان مرتديا قميص ناصع البياض مصنوعا من الكتان وسروالا أسود اللون كانت تلك من المرات القليلة التي يرتدي فيها قميص وسروال فهو لا يشعر بالارتياح إلا في ارتداء الجلباب ولكنه لا يعتقد بأن سفره لإنجلترا بالجلباب سيكون شيئا جيدا...جلس فوق المقعد الجلدي بداخل الكبينة وقام بفتح النافذة يتطلع لباب المحطة في انتظار (شاكر) وعائلته وهو يضع يده على قلبه خوفا من عدم لحاق سيده بميعاد قيام القطار الذي شارف على مغادرة المحطة...كان (عبد الصمد) شديد الإعجاب بذلك الاختراع المسمى بالقطار البخاري الذي أخترعه الإنجليز ويعتقد بأن السكة

الحديدية التي قاموا بإنشائها في أنحاء مصر هى من أهم انجازات الإنجليز داخل بلاده حقا.

(فلقد قام الإنجليز بمحاولة إنشاء السكك الحديدية في مصر عام (١٨٣٤)م حيث مدت قضبان السكة الحديدية بالفعل بين مدينتي السويس والإسكندرية ، ولكن فرنسا العدو الأكبر لإنجلترا استطاعت إيقاف ذلك المشروع العظيم خوفا من ازدياد قوة إنجلترا داخل أفريقيا ولكن تلك الأخيرة استطاعت بعد حوالي سبعة عشر عاما من القيام بوضع أول لبنة في إنشائها في الثاني عشر من شهر يوليوعام ١٨٥١م وبدأ تشغيلها بالفعل عام ١٨٥٤م لتصبح مصر تملك ثاني سكة حديدية في العالم بعد إنجلترا نفسها وكان المشرف علي بناء السكة الحديد آنذاك المهندس (روبرت ستيفنسون) وهو ابن مخترع القاطرة البخارية المهندس الشهير (جورج ستيفنسون)). (معلومات تاريخية صحيحة)

كان (عبد الصمد) يقد قرأ تلك المعلومات من الكتب التي يحصل عليها من داخل حجرة مكتب (شاكر) فيقرئها ويعيدها مرة أخرى بعد أن حصل على أذن من ذلك الأخير فلقد كان شديد العشق للقراءة والمطالعة هو الأخر.

في تلك اللحظة أبصر (عبد الصمد)(شاكر) وعائلته وهى تدخل من باب المحطة فأسرع يخرج رأسه من نافذة القطار مناديا على سيده ليعرف مكان العربة التي سيجلس بها وبالفعل فلقد أبصرهذلك الأخير وهو يطل من نافذة برأسه ويلوح له ليرشده لمكان العربة فأتجه لتلك العربة علي الفور..أسرع (عبد الصمد) بالخروج من باب العربة حيث أسرع يساعد الصغار على الصعود لداخل القطار حيث أدخلهم المقصورة التي سيجلسون داخلها حتى وصول القطار لمحطة الإسكندرية وفي ذلك الوقت لحق به (شاكر) وزوجته حيث جلست تلك الأخيرة وهى ترمقه بنظرات حاقدة ناقمة وأخذت تتساءل كيف ستتحمل ذلك الفلاح معها في تلك الرحلة لإنجلترا ويبدو بأن زوجها قد قرر معاقبتها بصحبة (عبد الصمد) لهم.

وكأنما كان القطار في انتظار صعودهم إليه فلقد بدأ في التحرك بالفعل بعد جلوسهم فوق مقاعدهم بلحظات قليلة..أخرج (عبد الصمد) تذاكر القطار الخاصة بالكابينة وناولها لسيده (شاكر) تحسبا لقدوم محصل التذاكر وأحتفظ بتذكرته وتذاكر الحقائب معهفشكره (شاكر) وطلب منه الجلوس معهم داخل الكابينة ولكن

(عبد الصمد) أعتذر بأدب جم وأسرع يغادر الكابينة ونظرات الغضب والحقد تلاحقه من عين (صوفي).

لقد كان (عبد الصمد) يعلم تمام العلم كميةالحقد والكره الذي تكنه (صوفيا) له واستياءها الشديد من اصطحابه لهم في تلك الرحلة.

وفي الخارج كان القطار ينطلق بين الحقول والمنازل الريفية البسيطة الموجودة على جانبي الطريق وهو يطلق من أعلاه دخان كثيف بسبب احتراق الفحم الذي يدور به

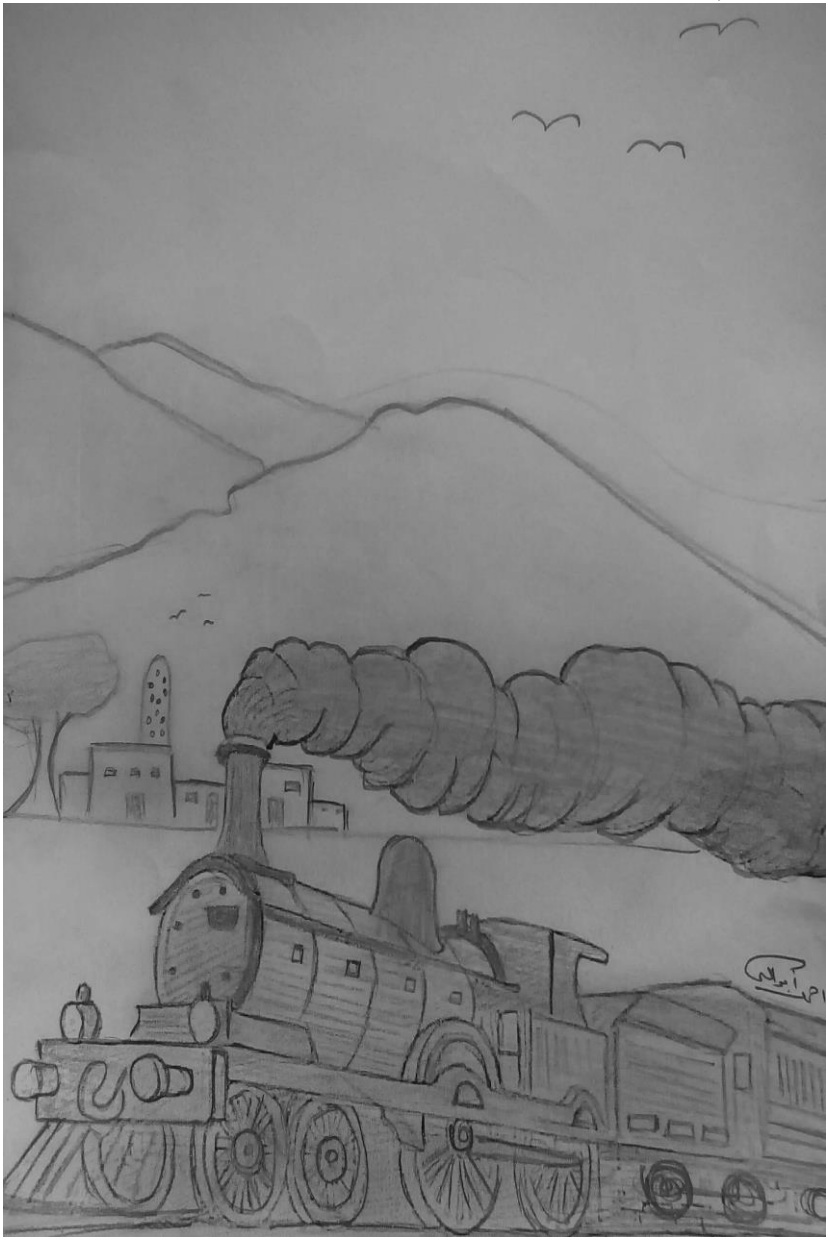

فوق سطح السفينة.

وصل القطار لمحطة الإسكندرية بعد مرور عدة ساعات من مغادرته محطة (شبين الكوم) وأسرع (عبد الصمد) ينادي على اثنان من الحمالين الذين هرعا على الفور لحمل الحقائب عندما شاهدوه يخرجها من عربة القطار المخصصة للحقائب.

حمل الرجلين الحقائب وتبعا (عبد الصمد)لخارج المحطة الذي أخذ يبحث عن حنطور يوصلهم لميناء الإسكندرية وإذا به يبصرزوج من عربات الحنطور يقف على مرمى البصر فأشار إليهم وعندما اقتربوا منه طلب منهم توصيلهم للميناء على وجه السرعة.

كان (شاكر) وعائلته قد خرجوا من المحطة في تلك الأثناء فأشار(عبد الصمد) لهم بركوب الحنطور الأول بينما وضع الحقائب بالحنطور الأخر وصعد بجانبها معه لينطلق الحنطور متوجها للميناء يتبعه الحنطور الذي يقل (شاكر).

نصف ساعة كاملة حتى وصل ذلك الركب للميناء حيث كان العمل يدور على قدم وساق داخل الميناء استعدادا لمغادرة السفينةالإنجليزية.

كانت السفينة تبعد عن رصيف الميناء بمسافة ليست بالقليلة داخل الماء وذلك بسبب قيام أعمال الترميم برصيف الميناء.

لذلك كان لزاما على المسافرين ركوب قوارب خشبية صغيرة لنقلهم لسلم السفينة الخشبي.

بحث عبد الصمد عن زوج من الحمالين لحمل الحقائب ووضعها داخل قارب من تلك القوارب التي تحمل المسافرين لسلم السفينة.

وبالفعل هرع زوج من الرجالالأشداء حيث قاموا بحمل الحقائب لأحد القوارب بينما ركب (شاكر) وعائلته بقارب أخر قام بتوصيلهم لسلم السفينة حيث صعد هو وعائلته لسطحها ووقف ينتظر وصول (عبد الصمد) بالحقائب.

غادرت السفينة (أس.أس فاليتا)الإنجليزية الصنع ميناء الإسكندرية وهى تتهادى فوق مياه البحر الأبيض المتوسط في نعومة وانسيابية شديدة بطريقها لعرض البحر.

وعلى سطح السفينة وقف (شاكر) ينظر لميناء الإسكندرية وهو يبتعد عن بصره رويدا،رويدا.

كانت ملابسه تدل على ذلك الثراء الكبير الذي يتمتع بهمما قد جذبت إليه أنظار المسافرين،كذلك زوجته التي يحيط كتفها بذراعه الأيمن في حنان كبير فالإنجليز أخذوا يتساءلون عن العلاقة التي تربط فاتنة إنجليزية تدل طريقتها وحركاتها وملابسها وخاصتا باروكة الشعر الصفراء التي تخفي بها شعرها الحقيقي يدل على أنها من عائلة إنجليزية أرستقراطية عظيمة.

استند (شاكر) على حاجز السفينة بيده اليسرى بينما وضع يده اليمنى فوق كتف زوجته (صوفيا) التي وقفت بجانبه هوأبناءها التوأم (أحمد) و (مصطفى)الذين قد تجاوزوا عامهم العاشر منذ بضع أشهر فقط بجانبه.

نظر (شاكر) لزوجتهقائلا:

-هل أنتي سعيدة الآن يا زوجتي العزيزة.

نظرت (صوفيا) بطرف عيناها نحو (عبد الصمد) الذي كان يداعب أبناءها وأجابته في استياء شديد:

-كانت سعادتي ستتحقق إذا كنا صعدنا للسفينة وحدنا دون وجود خادمك هذا.

تجاهل (شاكر) قولها وأبتسم قائلا:

-أنظري لجمال السماء الصافية وروعة المياه ونسمات البحر الندية.

كانت (صوفيا) تعلم بأن زوجها يغير دفة الحديث عن عمد فتظاهرت بالنظر لمشهد أمواج البحر وهى ترتطم بجوانب السفينة وهزت رأسها وابتسمت ابتسامة باهته.

قام (عبد الصمد) بإدخال الحقائب لغرفة سيده (شاكر)،ثم حمل حقائب الأولاد إلى داخل حجرته التي قام شاكر بحجزها له بثلاث أسره لينام الأولاد معه.

دخل (شاكر) دورة المياه الملحقة بغرفته حيث اغتسل بماء بارد أنعش جسدهمن عناء السفر وبعد أن فرغ من الاستحمام عاد لحجرته حيث أبصر زوجته قد قامت بخلع فستانها الأزرق الذي كانت ترديه ووقف تمشط شعرها أمام المرآة الموجودة بالحجرة.

كان يود لو قام بمعانقة ذلك الجسد البض وممارسة حقه الشرعي الآن ولكنه كان متعبا بشدة فألقى جسده المنهك فوق الفراش وما لبث أن راح في ثبات عميق.

نظرت إليه (صوفيا) في سخط فلقد كانت تريد أخذ حقها كزوجة فمنذ تلك الحادثة المشئومة ولم يقترب منها أبدا حتى تلك اللحظة.

وما لبثت أن هزت رأسها في حنق ودارت حول الفراش حيث توجهت بدورها لتحصل على دشا منعشا وبعد فرغت من الاستحمام ارتدت قميص نوم خفيف أسود اللون وألقت بجسدها المتعب فوق الفراش بجوار زوجهاوما لبثت أن راحت في ثبات عميق هىالأخرى..

تنبهت حواس(شاكر) على صوت طرقات ملحة على باب حجرته فاعتدل جالسا فوق طرف الفراش ونظر للناحية الأخرى فأبصر زوجته تغفو بجواره بذلك القميص الأسود المثير.

فسأل عن الطارق فأتاه صوت (عبد الصمد) قائلا:

-سيدي لقد حان موعد العشاء على سطح السفينة.

قال (شاكر):

-حسنا يا (عبد الصمد) خذ الأولاد وأجلسهم فوق مائدتناوسوف نلحقبك بعد قليل.

تعالت صوت أقدام (عبد الصمد) وهو يبتعد عن باب الحجرة بينما نظر(شاكر)لجسد زوجته البض وانحنى يداعب خصلات شعر زوجته ويتحسس وجهها برفق حتى أفاقت من نومها فقال لها:

-هيا لقد حان موعد العشاء يبدو أننا قد غلبنا النوم كثيرا.

تثاءبت (صوفيا) ثم نهضت في كسل لترتدي فستانا نظيف. ..

لم تكد (صوفيا) تخطو داخل قاعة الطعام الواسعة وهي تتعلق في ذراع زوجها حتى التفتت إليها جميع عيون المسافرين فيدهشة وقد تدلت فككوهم السفلية ذهولا من جمالها وحسنها الأخاذ وقد ذاتها الفستان الأسود الذي ترتديه جمالا وفتنه.

كانت تتجه هي وزوجها لتلك المائدة التي يجلس عليها (عبد الصمد) والأولاد الذين جلسوا بانتظارهم استعدادا لطلب طعام العشاء عندما صاح صوت جهوري من خلفهم قائلا بالإنجليزيةونشئ من المرح:

-مرحبا بالصديق الذي لم يحاول البحث عن صديقه الذي طالما اشتاق إليه ألم نأكل عيش وملح معا كما تقولون في مصر.

التفت (شاكر) على الفور لقائل تلك العبارة وقد عرف صوته على الفور إنه قبطان السفينة.
مد (شاكر) يده يصافح قبطان السفينة قائلا في مودة:
-مرحبا عزيزي (جيمس) كيف حالك.
أسرع القبطان (جيمس) يصافحه بحرارة قائلا:
-مرحبا بك ياباشا على متن سفينتي المتواضعة.ابتسم (شاكر) قائلا:
-لقد اشتقت إليك حقا يا صديقي فنحن لم نلتقي منذ أكثر من عامان كاملا. غمز (جيمس) (لشاكر) بطرف عيناه قائلا:
-نعم أعلم يا صديقي منذ تلك السهرة الماجنة عندما كنا بصحبة تلك الفتاتان الفرنسيتان النارتان داخل حانة (بنايوتي).
تنحنح (شاكر) في حرج بعد أن كشف (جيمس) مجونه أمام زوجته (صوفيا) دون أن يدري.

تنبه(جيمس) في تلك اللحظة لوجود (صوفيا) فأسرع يغير لب الموضوع قائلا:
-أنت لا تدري مدى سعادتي عندما قرأت اسمك في كشوف المسافرين.
ثم التفت القبطان إلساليديي(صوفيا) وخلع قبعته وانحنى يلتقط كفها الرقيق يضعه ويطبع عليه قبلة ثم اعتدل ثانيتا وهو يقول لها:
-اعذريني يا سيدتي فلقد ألهاني لقاء صديقي عن آداب اللياقة وفي استقبالك الاستقبال اللائق فوق سطح سفينتي المتواضعة.
هزت (صوفيا) رأسها في شموخ دون أن تنطق حرفا واحدا وهى تحدج في عين زوجها في استياء شديد بعد أن علمت بأمر تلك الليلة الماجنة التي قد قضاها بصحبة فتاة غانية وليت الأمر اقتصر على ذلك بل لقد كانت الفتاة فرنسية أيضا وداخل حانة وضيعة أيضا.
قال (شاكر) محاولا تلطيف الجو الذي تكهرب بحديث (جيمس):

-يا لك من مجامل ماذا تقصد بعبارة سفينة متواضعة إن (أس . أس فاليتا) من أعظم السفن الإنجليزية التي تجوب البحار وهى أول سفينة يتم بناءها ببدن محاط بهيكل من الفولاذ ومن أوائل السفن التي استخدمت الإضاءة الكهربائية في إنارتها.

قال القبطان في زهو:

نعم إنك محق في قولك هذا فلقد تم بناء هذه السفينة العظيمة عام (١٨٨٩)م وها نحن في عام ١٩٠٦م اى منذ أكثر من ثمانية أعوام كاملة وها هى تجوب البحار بلا انقطاع. (المعلومات عن السفينة الإنجليزيةأس.أس. فاليتا حقائق تاريخية صحيحة)

قال (شاكر) مبتسما:

-نعم وهى أيضا من أفخم وأعظم السفن وأكثرها راحة لذلك فانا لا أسافر إلا على متنها دائما.

هم القبطان بقول شئ ما عندما جاءه مساعده وانحنى في أدب وقال له:

-سيدي القبطان إنني أعتذر بشدة لمقاطعتك ولكننا نريدك داخل قمره السفينة لشئ شديد الأهمية.

التفت (جيمس) إلى(شاكر)وهتف قائلا:

-حسنا سوف أذهب لتفقد طاقم السفينة ثم نلتقي بعد تناولك للعشاء لنكمل حديثنا.

وبعد أن فرغ من عبارته حتىأسرع يغادر المكان متوجهالقمرة السفينة.

بينما أسرع (شاكر) يزيح أحدمقاعد المائدة التي سيجلس إليها لتناول طعام العشاء قليلا للخلف لتجلس فوقه زوجته التي حدجت (عبد الصمد) بنظرة مستاءة الذي لم يكن يحتاج لتلك النظرة ليغادر المكان.

وبعد أن فرغ الجميع من تناول طعام العشاء أمر (شاكر)زوجته بالعودة لحجرتها بينما أمر أبناءه بالذهاب لحجرتهم وإطاعةعمهم (عبد الصمد).

ثم غادر هو أيضا قاعة الطعام حيث ذهب لقمرة القبطان ليقومان بالشئ الوحيد الذي يشتركان به منذ سنوات وكان ذلك الشئ هو الذي قد جمعهم على تلك الصداقة وهو احتساء الخمر.

مرت ثلاثة أيام على تلك الليلة و(شاكر) يذهب كل ليلية بعد تناول طعام العشاء لاحتساء الخمر مع قبطان السفينةذلك الأمر الذي كان يغضب زوجته بشدة فلقد أهملها هى وأبناءهابشكل واضح فهو يحتسي الخمر بإسراف طوال الليل ولا يستيقظ إلا وقد أنتصف النهار.

وفي ذلك اليوم نهض(شاكر)من نومه متأخرا كعادته وجلس فوق أحد المقاعد الموجودة فوق سطح السفينة بينما ذهب (عبد الصمد) لإحضار قدح القهوة المركز لسيده والذي يتناوله كل صباح ليزيل عنه ذلك الصداع الهائل الذي يصيبه من أثر تناول الخمر بإسراف.

كان أبناء (شاكر)يلعبان فوق سطح السفينة حيث يقومان بملاحقة بعضهم البعض بالقرب من حاجز السفينة بينما جلست (صوفيا) تتحدث مع سيدة إنجليزية لتتعرف منها على أخبار بلادها.

كان (مصطفى) يلاحق أخيه في إصرار شديد وعندما هم بالإمساك به قفز (أحمد) جالسا فوق حاجز السفينة قائلا:

-لقد فزت بعدما جلست فوق حاجز السفينة قبل أن تستطيع الإمساك بي كما اتفقنا من قبل.

قال (مصطفى) في حنق وهو يجذب يد أخيه:

-أنزل يا أخي لقد سئمت اللحاق بك محاولا الإمساك بك سنغير ذلك الأمر تلك المرة وستقوم بملاحقتي أنت تلك المرة.

ولكن (أحمد) جذب يده من قبضة (مصطفى) بقوة وهم بقول شيئا ولكن لم ينطق حرفا واحداواتسعت عيناه رعبا فعندما تراجع بجسده للوراء جاذبا يده من قبضة أخيه بقوة أختل توازنه فجأة وهوى من فوق حاجز السفينة مرتطما بمياه البحر الباردة في قوة وهو يطلق صرخة مدوية انقطعت عندما ارتطام جسده بالماء.

كان (عبد الصمد) قادما بقدح القهوة عندما شاهد (أحمد)وهو يهوي من فوق حاجز السفينة الذي كان يجلس فوقه منذ لحظات قليلة ويسقط في مياه البحر المالحة.

ألقى (عبد الصمد) قدح القهوة من يده وأطلق لساقيه العنان حتى وصل لحاجز السفينة وأسرع يقفز بلا تردد ليلحق به.
أرتطم جسد (عبد الصمد) بمياه البحر الباردة وغاص بداخلها للحظات قبل أن يطفوا فوق سطحها وشعر بمذاق الماء المالح يملأ فمه وأنفه ولكن ذلك الأمر لم يكن يعنيه في شئ فلقد كان همه الأكبر هو العثور على الطفل قبل أن تبتلعه مياه البحر.
آخذ (عبد الصمد) يتلفت حوله يمينا ويساراًفي قلق هائل وهو يمسح سطح الماء ببصره بحثا عن الطفل ولكن الأمواج العالية منعته من رؤيةأي شئ ولكن جاءه صوت (شاكر)الذي يصرخ بأعلى صوته من فوق السفينة من أعلى.
فرفع (عبد الصمد) بصره للأعلى فأبصر(شاكر) يشير بيده اليمنى لمكان خلف ظهره فاستدار بكيانه بأكمله فأبصر جسد الطفل ومياه البحر تتلاعب به في قوة وهو يحاول جاهدا البقاء على سطح المياه دون جدوى.
أسرع (عبد الصمد) يجدف بذراعيه القويتان بكل ما يملك من قوة سابحانحو الطفل.
وبالفعل استطاع الوصول إليه سريعا وقبض على خصره بقوة هائلةفلقد كانت فاقدا للوعي وغارت قواه من كثرة ما تجرع من مياه البحر المالحة.
انطلق (عبد الصمد) يسبح باتجاه السفينة وهو يحمل الطفل الفاقد للوعيبيده اليسرى بينما آخذ يضرب الماء بساعده الأيمن.
في تلك اللحظة ألقى أحد البحارة طوقا للنجاة من أعلى السفينة ليستقر فوق سطح المياه بالقرب منهم فأسرع (عبد الصمد) يتعلق به بكل قوته بينما تدلى أحد البحارة من أعلى السفينة بواسطة حبل متين حيث تناول الفتى من(عبد الصمد)وصعد به لأعلى السفينة بينما أسرعبحارا أخر يجذب الحبل الذي تتعلق به تلك العوامة الممسك بها (عبد الصمد)حتى وصلت العوامة لسطح السفينة فأسرع ذلك الأخيريتعلق بحاجز السفينة ويقفز لسطحها ليطمئن على الفتى الذي كان ممددا بلا حراك فوق سطح السفينة والمسافرين يحيطون به من كل جانب بينما أبصر طبيب السفينة وهو يحاول إنعاشه بشتى الطرق ولكن بلا فائدة فلقد

كان جسد الفتى ساكنا لا يتحرك قيد أنملة ولكن الفتى سعل بقوة وهو يبصق مياه البحر من جوفه.
أسرع(عبد الصمد) يبعد الحشد ويحتضن الفتى بقوة سعيدا بنجاته من الموت المحقق فلقد كان يحب ذلك الفتى بشدة لأنه قد ورث عن أبيه ذلك الطابع المصري الأصيل عكس أخيه (مصطفى) الذي كان نسخة من والدته الإنجليزية تماما بطبعها المتكبر.
في تلك الأثناء كان (شاكر) يقف يشاهد ما حدث وهو غير مصدق لنجاة ولده بعدما شاهده يسقط من أعلى السفينة.
لكنه تنبه لوجود زوجته بجانبه في تلك اللحظة وهى تبكي فرحا بنجاة ولدها فنظر لها بنظرة قاسية ثم ما لبث أن هوى على وجهها بصفعة مدوية جعلت الدماء تسيل من طرف شفتيها وهو يقول لها في غضب هادر:
-لقد كدنا أن نفقده أيتها الأم الحانية بسبب إهمالك وجلوسك تتحدثين اليوم بأكمله مع هولاء النساء الإنجليزيات دون أن تنتبهي لأولادك.
نظرت إليه (صوفيا)غير مصدقة بأنه قام بصفعها أمام جميع المسافرين
رفع (شاكر) يده الأخرى عاليا وهم بصفعها على الجانب الأخر من وجهها عندما أمسك (عبد الصمد) يده بقوة ليمنعه مما يريد فعله وهو يقول له:
-سيدي لقد نجا الفتى بحمد الله ثم هى ليست السبب فيما حدث كما تعتقد فلقد كان الأولاد يلعبون سويا ،ثم ليس من اللائق أنتضرب زوجتك أمام جميع المسافرين حتى ولو كانت هى مخطئة.
حدجه (شاكر) الذي كان الخمر ما زال يتلاعب برأسه ويؤثر على كلامه وصاح في غضب هائل:
-كيف تجرأ أيها الخادم الوقح على مخاطبتي بتلك الطريقة أنت لست سوى خادم تعمل لدي في مقابل المال و.....
توقف (شاكر) عن الاسترسال في كلامه عندما رأى تلك النظرة الحزينة التي تطل واضحة من عين (عبد الصمد) صديقه المخلص الذي كاد أن يضحي بحياته من دقائق معدودة لينقذ ولده (أحمد) فنبه لما يقول بدون وعيا منه فقال متأسفا:
-أعذرني يا (عبد الصمد) لقد كنت غاضبا فقط ولم أكن أعي ما أنطق به.

نظر إليه(عبد الصمد) نظرة خالية من أي تعبير على الإطلاق ثم قال له بصوت ملئ بالحزن والأسى:
-سيدي لا تعتذر فأنا مجرد خادما لك ولقد أخطأت بالفعل لتدخلي السافر في خصوصياتك كان يجب أن أعرف مكانتي أولا قبل أن أتفوه بحرف فأنا مجرد خادما يعمل لديك ، عذرا يا سيدي فملابسي مبتلة بشدة ويجب أن أقوم بتغيرها على الفور وحمد لله على سلامة الباشا الصغير.
ودون أن يتفوه بكلمة أخرى استدار متوجها لحجرته على الفور ليقوم بتغير ملابسه المبتلة بينما احتضنت (صوفيا) أبنها داخل صدرهاوأمسكت كفه الصغير تساعده على النهوض ثم أخذته بين ذراعيه وطبعت على خده قبلة حانية واستدارت وهى تحضنه في صدره وتوجهت لحجرتها على الفور وأغلقت بابها خلفها والدموع تنهمر فوق وجنتيها أنهارا.
وها هو (شاكر) يقف حائرا بين حجرة (عبد الصمد) وحجرة زوجته وهو يتساءل في داخله:
ما الذي جعله يقوم بتلك الحماقة التي أرتكبها من دقائق مع زوجته ومع صديقة (عبد الصمد) الذي أنقذ ولده منذ قليل.

بعد عدة أيام من تلك الأحداث المؤسفة رست السفينة الإنجليزية عند سواحل جزيرة (مالطا) للتزود بالمؤن والوقود وهبط منها بعض الركاب لمشاهدة الجزيرة وكان من بينهم(صوفيا)التي قامت باصطحاب أبناءها معها الاثنان بينما بقى (شاكر) جالسا فوق سطح السفينة يستمتع بأشعة الشمس الساطعة.
ولقد لحق بهم(عبد الصمد) وتبعهم عن قرب خوفا من أن يصب أحدهم سوءا.
كان أبناء(شاكر)يتقافزون في مرح حول والدتهم وهم سعداء بجمال الجزيرة يتبعهم (عبد الصمد) كظلهم عن قرب حرصا علي سلامتهم ومرت أكثر من ساعتين والسفينة تتزود بالوقود والمؤن اللازمة لإتمام باقي الرحلة.
كانت الليدي(صوفيا) في هذه الأثناء قد ابتعدت عنهم بمسافة كبيرة وهى تشتري بعض الحلي التي تصنع من أصداف وقواقع البحر النادرة والتي اشتهرت بصناعتها سكان تلك الجزيرة.

كانت (صوفيا) ترتدي الكثير من الحلي المصنوع من الذهب كما كانت تملك الكثير من النقود المصرية التي كانت تعادل أكثر من خمسة أضعاف النقود الإنجليزية وهذا ما لاحظه اثنين من القراصنة الأشرار التي تمتلئ بهم أرض الجزيرة فأخذوا يتبعونها كظلها حتى وصلت إلى مكان شبه خالي من المارة فأحاطا بها وقد شهر كل منهم خنجرا حادا وطلبا منها إعطائهم كل ما تملك من مال وحلي.

كانت (صوفيا)تعلم تمام العلم إنها بمجرد إعطائهم كل ما تملك سوف يقومون باغتصابها ثم قتلها بعد ذلك فهذا شيم جميع القراصنة وفجأة لمحت شخصا يمشي علي مقربة منها فأخذت تستنجد به بصوت مرتفع لكنه عندما لمح تلك الخناجرالتي يحملهم هؤلاء القراصنة فر هاربا على الفور.

أقترب أحد القراصنة من (صوفيا) وهو يلوح بخنجره الحاد في وجهها ثم يأمرها أن تقوم بخلع كل شئ حتى ملابسها فحاولت الهرب لكنها فوجئت بالقرصان الأخر يقف خلفها ليمنعها من الفرار وقام بوضع طرف خنجره الحاد فوق عنقها في تهديد واضح بينما هجم عليها القرصان الأخر من الأمام محاولا تمزيق ملابسها بعد أن راقت له وأيقنت (صوفيا)بأنها هالكة لا محالة.ولكن فجأةسقط القرصان الذي كان يقيدها من الخلف وسط بركة من الدماء وقد فاضت روحه للأبد بعد أن أنغرس منجل (عبد الصمد) الحاد في منتصف ظهره تماما...التفت القرصان الأخر ينظر لذلك الشخص الذي قام بقتل صديقه وتهللت أسارير (صوفيا) عندما أبصرت منقذها إنه (عبد الصمد) خادم زوجها الأمين.الذي كان قريبا من المكان يقوم بشراء بعض الألعاب للفتيان عندما تناهى إلى مسامعه صوت سيدته وهي تستنجد بأحد من المارة فهرول مسرعا نحو مصدر الصوت لنجدتها وقد أيقن بأنها في مأزق شديد وعندما وصل للمكان رأى ما يحدث فأخرج منجله الحاد الذي لا يفارقه أبدا وقذفه فيظهر القرصان الذي يقيد سيدته (صوفيا) من الخلف فانغرس حتى مقبضه في منتصف ظهره تماما ليسقط قتيلا على الفور ولكنه وقف أعزلا في مواجهة القرصان الأخر فمنجله مغروس في ظهر القرصان الأول.

ولم يعد يملك سلاحا بحوزته للدفاع عن حياته وهذا ما لاحظه القرصان الأخر فهجم عليه وطعنه في كتفه الأيمن بعد أن كان يريد طعنه في مكان القلب لولا تراجع (عبد الصمد) ما تسبب في إصابته في كتفه إصابة بالغة وأسرعت (صوفيا)

تطلق صرخات استغاثة عالية علها تجذب انتباه بعض المارة وهى تشاهد القرصان يحاول غرز خنجره الحاد في صدر(عبد الصمد) الذي أنقذ حياتها منذ قليل والذي يحاول أن يتفادى خنجر القرصان متراجعا للخلف لكنه تعثر وهو يتراجع للخلف وسقط على الأرض وانتهز القرصان تعثره وهجم عليه محاولا غرز خنجره داخل صدره...ولكن فجأة دوى صوت رصاصة من غدارة (شاكر) الذي انشقت الأرض عنه في تلك اللحظة لتستقر في منصف جبهة القرصان تمامافهوفوق صدر (عبد الصمد)جثة هامدة على الفور بكل ثقله ودماءه الحارة تغمر وجه ذلك الأخير...أزاح (عبد الصمد)جثة القرصان من فوقه ونهض وهو يتحامل على نفسه وممسكا بكتفه المصاب والذييسيل منه الدماء بغزارة شديدة في ألم هائل.

بينما أسرع (شاكر) يطمئن على زوجته التي سألته عن كيفية معرفته بما يحدث فأخبرها بأنهقد لحق بهم لأنهمقد تأخروا بعض الوقت فنزل من السفينة ليبحث عنهم خوفا من مغادرة السفينة دونهم فتناهى إلى مسامعه صوت صرخاتها فهرع لمصدر الصوت وشاهد القرصان وهو يهم بغرس خنجره داخل صدر (عبد الصمد)فأسرع بإخراج غدارته من تحت إبطه وأطلق نيرانها على القرصان فقتله في الحال..هم (شاكر) بأخذ زوجته بين ذراعيه لكنها أزاحته على الفور وهرولت نحو (عبد الصمد) المصاب لتطمئن عليه بعد أن أنقذها وأنقذ شرفها من القراصنة كما أنقذ طفلها منذ عدة أيام من الغرق.

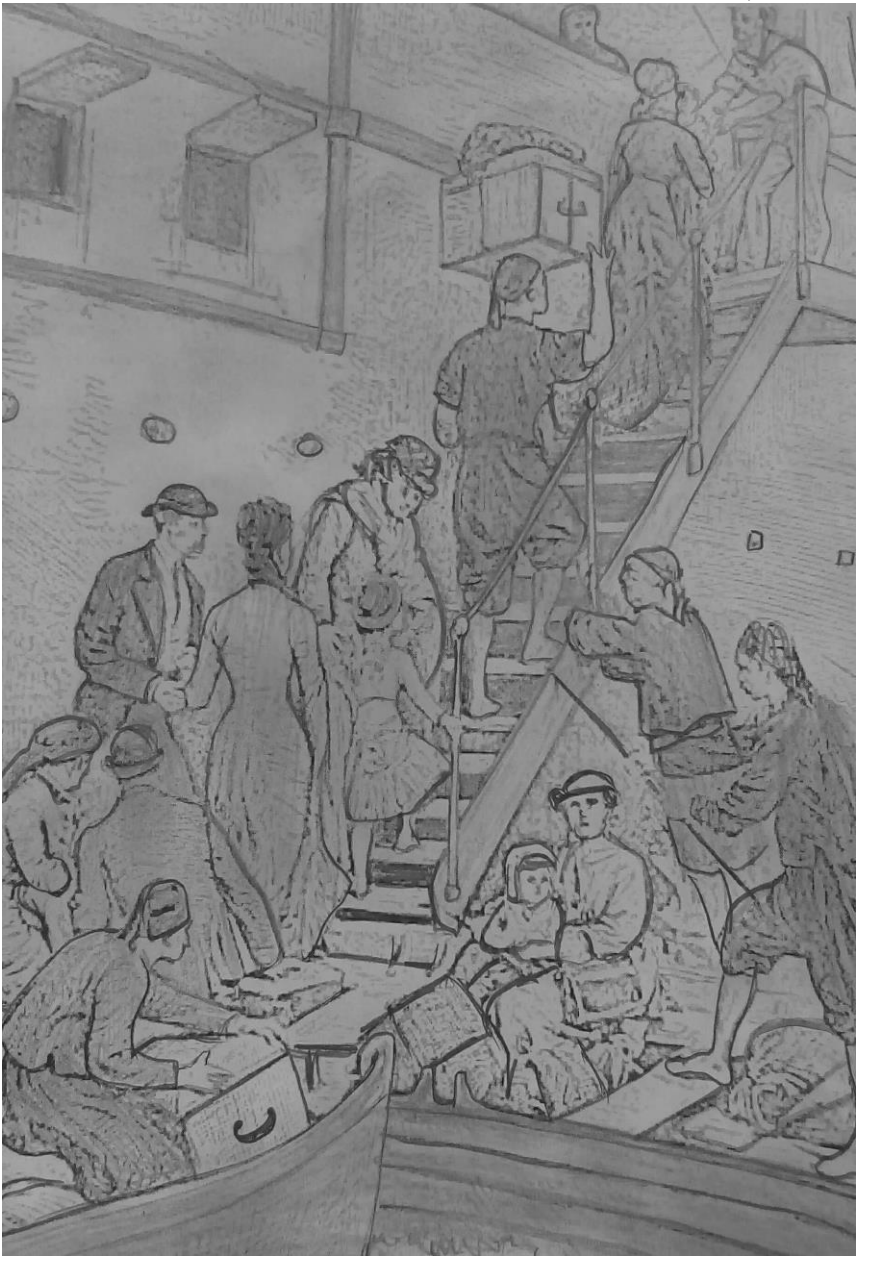

الوصول للجزر الإنجليزية.

عندما عاد (شاكر) لسطح السفينة كان يحمل (عبد الصمد) فوق ظهره بمساعدة أبنائه الصغار وزوجته (صوفيا) حيث كان (عبد الصمد) فاقد الوعي من كثرة الدماء التي فقدها في ذلك الصراع مع القرصان.

أسرع طبيب السفينة لمعالجة ذلك الأخير حيث قام بتنظيف الجرح سريعا بمواد مطهرة ثم قام بكي الجرح وبدون مواد مخدرة حيث كان من الضروري إيقاف تلك الدماء التي تنزف منه بشدة حتى لا يتسبب ذلك له بالموت.

وعندما انتهى طبيب السفينة من مداواة (عبد الصمد) جاء اثنان من بحارة السفينة حيث قاموا بحمله حتى حجرته التي كان يتشارك مع أبناء (شاكر) بها حيث قاموا بوضعه على الفراش برفق وكان هو ما زال غائبا عن الوعي تماما بينما خرج الجميع من الغرفة تاركين إياه يستريح.

كان (شاكر) حزينا عما أصاب خادمه العزيز الذي كاد أن يموت ليحمي (صوفيا) زوجته ومن قبلها قام بإنقاذ ولده (أحمد) الذي كاد أن يموت غرقا لولا (عبد الصمد) الذي قام بأهانته أمام المسافرين رغم كل شئ.

كما تعجب (شاكر) من زوجته (صوفيا) التي كانت تذهب كل يوم للاطمئنان على (عبد الصمد) وهى تحمل معها الكثير من الطعام لأجله.

فلقد شعرت (صوفيا) بأنها قد أخطأت في حق (عبد الصمد) ذلك الرجل الذي كاد أن يفقد حياته لأجلها ولأجل ولدها من قبل ، فلقد دافع عن شرفها وحياتها رغم علمه بأنها لا تطيق رؤيته أبدا ولكنه يملك تلك الشهامة المصرية العريقة تلك الشهامة التي أحبت (شاكر) لأجلها..

كان (عبد الصمد) قد بدأ يتعافى للشفاء تماما بعد أن التئم جرحه عندما رست السفينة الإنجليزية فوق رصيف الميناء الإنجليزي.

أسرع الحمالون يحملون حقائب المسافرين من فوق سطح السفينة هابطين بها لرصيف الميناء حيث حضرت أقارب المسافرين وبدأ الجميع في الرحيل عن الميناء بينما وقف قبطان السفينة يودع (شاكر) وأسرته فوق سطح السفينة وهو يقول لذلك الأخير:

- سوف تغادر السفينة الميناء بعد ثلاثون يوما من الآن لرحلة العودة لمصر وذلك للعلم فقط لو أحببت العودة لمصر خلال تلك الفترة.

هز (شاكر) رأسه وهو يصافحه مودعا.

فقال له القبطان وهو يشير(لعبد الصمد):

- انى أحسدك بسبب خادمك هذا وأتمنى يوما أن أجد خادما بنفس إخلاصه وتفانيه في خدمتك.

كان (عبد الصمد) قد سبق الجميع للهبوط من فوق سطح السفينة وهو يحمل حقائب سيده ثم وقف فوق الرصيف بجانب الحقائب في انتظارهبوط سيده الذي نظر إليه من أعلى السفينة وقال لقبطان السفينة:

-إنه صديقا غاليا وليس مجرد خادم يا عزيزي (جيمس) ولقد أخطأت في حقه ويجب أن أطلب منه الصفح.

بعد أن ودع (شاكر) القبطان (جيمس) هبط هو وزوجته وأبناءه ووقفا بانتظار العربة التي بعثه بها السير (توماس) والد (صوفيا)إليهم لتقلهم لقلعته. وبالفعل ما هى إلا دقائق قلية وتقدم منهم رجل ذو شعر أصفر ووجه مستدير مائل للاحمرار يملك زوج من الأعين الزرقاء وأنف معقوف وفم واسع وقد ترك العنان لشعر ذقنه الذهبي ، كان يرتدي بلطوا أزرق اللون يصل لنتصف فخذه يخفي به جسده بالكامل وحذاء أسود ذات رقبة عالية

كانهذا الرجل هو حوذي العربة الذي جاءت لتصطحبهم لقلعة السير (توماس).

انحنى الرجل في احترام شديد لسيدته (صوفيا) وهو يقول بترحاب شديد:

- سيدتي الليدي(صوفيا) خادمك المخلص (ألكسندر) يرحب بكي في وطنك إنجلترا سيدة العالم.

هز (شاكر) رأسه في سخرية من عبارة الرجل لم تخفى عن زوجته والتي

هزت رأسها في وقار شديد وقالت:

- أشكرك يا (ألكسندر)على ذلك الترحاب الشديد هل حضر والدي بصحبتك أم إنه قد بعثك بك لاصطحابنا للقصر.

قال (ألكسندر) في هدوء:

-لا يا سيدتي لقد بعث بيالسير (توماس) لجلبكم من هذا الميناء وهو بانتظاركم على أحر من الجمرداخل تلك القلعة التي قد ورثها عن والده الدوق منذ بضعة أشهر ،

ولقد كان قادما لاستقبالكم بنفسه لولا حضور أحد الأمراء لتهنئته على تلك القلعة.
ارتسمت علامات السرور البالغ على ملامح(صوفيا)التي هزت رأسها متفهمة وسألته قائلة:
-أتعني بأن والدي قد ورث تلك القاعة الضخمة الموجودة في مدينة (ويلز).
صاح (ألكسندر) في حماس شديد:
-نعم يا سيدتي ونحن سنذهب إليها على الفور وليس إلى قصر (لندن) الذي يملكه السير.
تهللت أسارير (صوفيا) وأسرعت تنادي أبنائها لتخبرهم بأمر تلك القلعة التي ورثها جدهم.
أسرع(عبد الصمد)يحمل الحقائب هو و(ألكسندر) وأتجه ناحية العربة الفخمة المصنوعة من خشب الزان المطلي باللون الأسود.
وعندما وصل(عبد الصمد) للعربة قام بوضع الحقائب بجوار العربة ووقف يتأملها في أعجاب شديد.
كانت العربة تختلف كثيرا عن تلك العربات التي يعرفها في مصر فليست تشبه تلك الكارته التي يملكها سيده (شاكر)ولا عربات الحنطور التي يركبها الناس في مصر فلقد كانت ضخمة الحجم ذات سقف يغطيها ولها باب من كل جانب به عدة نوافذ زجاجية أيضا وكانت مغطاة بستائر حريره حمراء اللونمن الداخل لتمنع أي شخص من التلصص على من يجلس بداخلها،وكان يوجد في الداخل مقاعد جلدية فاخرة مقعدان في اتجاه معاكس لتسمح للجالسين داخلها بالنظر والتحدث مع بعضهم البعض.
وكانت العربة يجرها أربعة من الجياد الأقوياء شديد السواد تلك الجياد الإنجليزية المعروفة بالشعر الغزير الذي يغطي نهاية أقدامهم من الأسفل بينما تم قص ذيولهم بشكل أنيق منمق.
أسرع (ألكسندر) يصعد لأعلى العربة بينما أخذ (عبد الصمد) يناوله الحقائب ليقوم بوضعها فوق سقف العربة وبعد أن انتهى (ألكسندر)قام بربط الحقائب بحبل متين ليمنعها من السقوط أثناء انطلاق العربة.

كان (شاكر) وعائلته قد صعدوا للعربة وأغلقوا عليهم أبوابها حيث جلسوا على مقاعدها الجلدية الوثيرة، بينما صعد (عبد الصمد) ليجلس بجانب (ألكسندر) الذي رفع سوطه وهوى به فوق ظهر الجياد التي في المقدمة لتنطلق على الفور وسط منازل تلك البلدة ولقد أعجب (عبد الصمد) كثيرا بتلك الأحجار السوداء التي تستخدم لتغطية أرضية البلدة الترابية في شكل بديع وقد ساعدت تلك الأحجار أيضا العربة في زيادة سرعتها.

مرت ساعة كاملة قبل أن تغادر العربة المدينة وتنطلق وسط الوديان الشاسعة والمروج الخضراء يقودها (ألكسندر) بمهارة شديدة وهو يتحكم بالجياد بشكل أعجب به (عبد الصمد) بشدة.

كانت الشمس بدأت تتوسط كبد السماء فمد (ألكسندر) يده لأسفل المقعد إلي يجلس فوقه وأخرج قبعة عالية ذات أطراف مستديرة ناولها (لعبد الصمد) ليريديها ذلك الأخير ثم أخرج له قبعة هو الأخر قام بوضعها على رأسه وأخذ يشير لذلك الأخير ليفعل مثله بلغة الإشارات والإيماءات معتقدا بأن (عبد الصمد)لا يجيد الإنجليزية ولكنه فوجئ به يبتسم له قائلا بإنجليزية جيدة:

-شكرا لك يا (ألكسندر).

صاح (ألكسندر) في دهشة قائلا:

-أتتحدث الإنجليزية أيها المصري.

هز (عبد الصمد) رأسه بالإيجاب.

فهتف(ألكسندر)قائلا بحماس شديد:

-إذن فحدثني عن مصر وأهلها فمنذ عودة سيدي السير (توماس) منها بعد وفاه صديقه العزيز(محمد باشا الأسيوطي) والد (شاكر) باشا وأنا مشتاق لها فلقد كان سيدي يصطحبني معه دائما.

أحس (عبد الصمد) بالفخر وهو يستمع لتلك الكلمات من رجل إنجليزي عن بلده الحبيبة مصر لذلك انطلق يخبره بكل شئ عن أخبارها بكل حماس حتى بدأ يقص عليه ما حدث في (دنشواي)في صوت غلب عليه الحزن البالغ.

وضع (ألكسندر) عيناه في أرضية العربة في إحراج شديد وقال معتذرا:

-تقبل شديد أسفي يا رجل في أفعال اللورد (كرومر) فسيدي يقول دائما بأن (كرومر) هذا سيتسبب في مشكلة كبيرة يوما ما بين مصر وإنجلترا ويبدوا إنه كان صادقا في إحساسه هذا.

هز (عبد الصمد) رأسه في أسى قائلا:

-هو أو غيره لماذا تقوم بلادكم باحتلال مصر منذ البداية ؟

لم يجد (ألكسندر) جوابا لسؤال (عبد الصمد) فهو لا يعلم ماذا يقول فكلام ذلك المصري صادق تماما.

أنقضت أكثر من عشر ساعات كاملة والجياد تنهب الأرض نهبا حتى وصلت لمكان يمتلئ بمستنقعات عديدة على جانبي الطريق وقد لاحت القلعة التي يملكها السير (توماس)في الأفق.

كانت السماء قد أظلمت بالفعل وبدأشعاع القمر في البزوغفأخذ (عبد الصمد) ينظر لذلك المستنقع الموحش الذي تقطعه الجياد في طريقها للقلعة حيث أنتشر غاز الميثان الخارج من مياه المستنقعات ليصنع ضبابا كثيفا.

وفي داخل العربة استيقظ(شاكر)من نومه وتثاءب في قوة مما تسبب في استيقاظ زوجته وطفليهفسألته (صوفيا) قائلة:

- هل وصلنا للقلعة.

هز (شاكر) رأسه علامة عدم المعرفة ثم أزاح الستائر وهو يتطلع إلى الطريق ليجد العربة تنطلق في طريق ترابي غير ممهد نحو قلعة السير (توماس) وعلى جانبي الطريق أبصر (شاكر) مستنقعات يخرج منها ضباب كثيف يكاد يخفى معالم الطريق تماما.

كان المنظر يلقى الرعب في قلوب أشجع الرجال بحق فأسرع(شاكر) يغلق الستائر مرة ثانية ونظرلزوجته وهم بقول شيئا ما عندما أرتفع صوت صرخة مدوية مزقت سكون الليل في الخارج وما لبثت تلك الصرخة أن تحولت إلى صرخات عديدة ملأت أرجاء المستنقعات.

أسرع (شاكر) يزيح الستائر وهو يحاول اختراق ذلك الظلام الدامس الذي يحيط بالعربة من كل جانببصره لعله يبصر من يطلق هذه الصرخات ولكن بلا جدوى

فلقد كان الظلام حالك خارج للعربة برغم سطوع القمر بسبب الضباب الرمادي الخارج من مياه المستنقعات.
أعطى(ألكسندر)(عبد الصمد)لجام الجياد وأشار له بقياده العربة بينما أسرع هو بإخراج أربعة مصابيح تعمل بالكيروسين من أسفل مقعده وضعها أمامه وأخرج من جيب سرواله علبة من الثقاب وأشعل الأربعة مصابيححيث حمل زوج منهم لخلف العربة وقام بتعليقهم في طرف كل جانب منها في حلقات مخصصه لتعليقهم ثم عاد فقام بتعليق المصبحين الباقيين في مقدمة العربة على ليصبح المكان المحيط بها شديد الإنارة.
عاد (ألكسندر) لمقعده وأخذ لجام الجياد من (عبد الصمد) مره ثانية وفي داخل العربة أخذ (شاكر) يحملق في أرجاء المستنقع في شغف شديد فلقد كان أبصر جسد ضبابي يشبه البشر في تكوينه وهو ينطلق بمحاذاة العربة تماما ولكنه كان بعيدا بمسافة مناسبة فتعجب لذلك الشئ الضبابي.
وفي أعلى العربة شاهد (عبد الصمد) أيضا ذلك الجسد الضبابي الذي يلاحق العربة من مسافة ليست بعيدة ولكنه غير واضح الملامح على الإطلاق.
وفجأة دوت صوت صرخة مدوية قريبة جدا من العربة لتبدد سكون الليل وجعلت الجياد تنطلق مسرعة في رعب بينما أصبح ذلك الجسد الضبابي الذي يلاحق العربة جسدان وليس جسد واحدا وتعالت أصوات صرخات متتابعة متوالية بشكل مرعب فالتفت (عبد الصمد) يسأل (ألكسندر) وهو يشير لتلك الأشياء التي تلاحق العربة قائلا:
-ما هي تلك الأشياءالتي تلاحق العربة يا رجل ؟
رسم (ألكسندر) علامة الصليب فوق صدره في خوف هائل وأجابه قائلا:
-إنها أشباح يا فتى.
زوي(عبد الصمد) ما بين حاجبيه في تساءل وقال:
-ماذا تعني كلمة أشباح تلك.
أجابل (ألكسندر) وهو يزيد من سرعة العربة قليلا:
-الأشباح هى أرواح الموتى ألا يوجد في بلادكم مثلها.

حدق(عبد الصمد)في تلك الأجساد الضبابية برعب شديد وقد أصبحت خمسة أجساد ضبابية وليس واحد قائلا:
-لا يوجد في بلادي ما يسمى بالأشباح ولكننا نطلق عليهم أسم الجن أو المردة ولكنهم ليسوا أرواح الموتى بل هم كائنات أخرى خلقهم الله قبل الإنسان يعيشون في باطن الأرض ومنهم الشيطان ولقد شاهدت بعضه بالفعل وهى تجوب حقول الذرة في إحدى الليالي المظلمة حيث كانت تطلق صرخات مماثلة وقامت بخطف أحد الرجال وغاصت به في مياه الترعة ونحن نطلق عليه أسم النداهة.
قال (ألكسندر) في تساءل.
-ماذا تعنى كلمة ترعة هذه.
أشار(عبد الصمد) لمياه المستنقع قائلا:
-إنها مجرى مائي ولكنها لا تشبه تلك المستنقعات فمياهها نظيفة تماما ونحن نقوم بالشرب منها وري المزروعات بمياهها أيضا.
هز (ألكسندر) رأسه متفهما ثم تذكر شيئا ما فقال متسائلا:
-ولكن ماذا حدثلذلك الرجل الذي اختطفته تلك النداهة.
هز (عبد الصمد) رأسه في حزن شديد وقال:
-لقد وجدناه في صباح اليوم التالي مقتولا في أعماق الترعة وقد امتصت دماءه لأخر قطرة منه حيث كان جسده مملوءا بثقوب صغيرة ويبدو أنها تملك أشواكا بجسدها بالكامل وتمتص بواسطتها دماء ضحاياها.
كان (عبد الصمد) يتحدث عندما أبصر سيدة ترتدي فستان أبيض يضئ في ظلام الليل وهى تعبر أمام الجياد في سرعة خاطفة وتطلق صرخة مدوية أثناء عبورها فهاجت الجياد وأخذت تضرب الهواء بأقدامها وقد أصابها رعب هائل كالذي أصاب (عبد الصمد) و(ألكسندر) أيضا فلقد كان مبعث رعبهم إن تلك السيدة التي عبرت أمام الجياد لتختفي في ظلام المستنقع تسير بدون رأس مجرد عنق مبتور فقط بينما تحمل رأسها بين راحتيها.
أسرع (ألكسندر)يرسم الصليب فوق صدره وهو يقول:
-أحمنا يا (يسوع)الابن من تلك الأشباح المرعبة.

وفي داخل العربة أخذ (شاكر) الذي لم يتيح له الجلوس داخل العربة مشاهدة تلك السيدة التي تحمل رأسها بين كفيها يحدق في تلك الأجساد الضبابية التي تزيد تدريجيا حتى أصبحت تزيد عن عشر أجساد فقام بإغلاق ستائر العربة في سرعة حتى لا تصاب زوجته وأبناءه الذين قد استيقظوا في تلك اللحظة.

كانت العربة قد تجاوزت المستنقعات بالفعل ووصلت لبداية غابة صغيرة ممتلئة بأشجار الصنوبر وما أن تجاوزت العربة تلك الغابة حتى أبصر (عبد الصمد) على ضوء القمر قلعة هائلة الحجم تشبه إلى حدا ما قلعة الإسكندرية التاريخية الشهيرة التي قد زارها من قبل بصحبة سيده (شاكر)ولكنها كانت تختلف عن قلعة الإسكندرية بعض الشئ فلقد كان لها عددا كبيرا من الأبراج الاسطوانية الشكل شديدة الارتفاعوالتي تشبه الطابية الموجودة في لعبة الشطرنجالتي يلعبها دائما مع سيده ، ولها نوافذ كثيرة شديدة الارتفاع مستطيلة الشكل بغرض السماح لضوء الشمس بالنفاذ لداخل القلعة،بينما أحاطت المياه بجوانب القلعة المبنى جدرانها من أحجاز البازلت الضخمة شديدة الصلابة من جميع الجوانب بينما أمتد جسرا خشبي كبير الحجم حتى باب القلعة الضخم كانت الجياد تعبر فوق ذلك الجسر الخشبي في طريقها لباب القلعة وتعالت أصوات طقطقة أخشاب الجسر تحت عجلات العربة الخشبية.

وما أن وصلت العربة لباب القلعة حتى صاح (ألكسندر) ينادي على حراس البوابة وعلى الفور تعالى صوت نفير حاد من داخل القلعة ليبدد

سكون الليل فأسرع(عبد الصمد) يسأل (ألكسندر)عن سر ذلك النفير.

فإجابة ذلك الأخير بأن الحراس في الداخل ينهون السير (توماس) وباقي الخدم بوصول الليدي (صوفيا) وعائلتها للقلعة.

هز (عبد الصمد) رأسه متفهما بينما بدأ باب القلعة الضخم يفتح ببطئ شديد حيث كان الباب ثقيلا على الحارسان الذين يقومون بجذبه للخلف بغرض فتحه.

كان باب القلعة قد فتح على مصراعيه فأسرعت الجياد بالدخول للقلعة على الفور وكأنها قد تعبت من عناء السفر وتطلب الراحة في الداخل.

توقفت الجياد عن السير وهبط من فوقها (عبد الصمد) بينما مكث (ألكسندر) فوقها ليناوله الحقائب.

بينما فتحت (صوفيا) الباب المجاور لها وهبطت من العربة ووقفت تتطلع لأرجاء القلعة من الداخل مشدوهة بضخامتها البالغة.

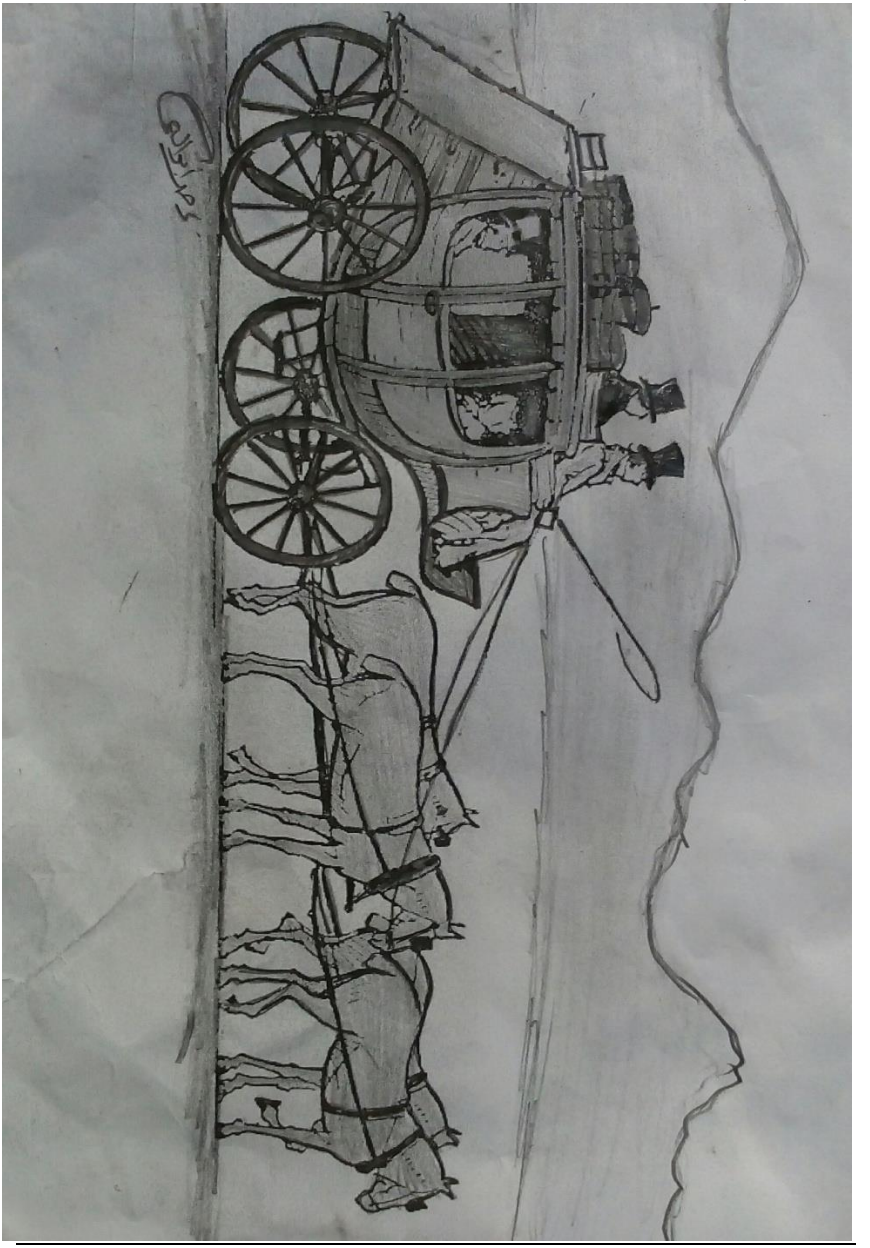

داخل أسوار القلعة.

وقف خدم القصر على جانبي الطريق المؤدى لداخل القلعة وقد لبس الجميع ملابس استقبال الضيوف الهامة احتفالا بقدوم الليدي (صوفيا) التي تخلتعن وقارها وانطلقت تعبر بين صفوف الخدم حتى وصلت لوالدها فألقت بنفسها باكية بين ذراعيه الحانيتين وهي تلثم جبهته في اشتياق شديد بينما أخذ هو يضمها إلى صدره في حنان أبوي.

تبعها أولادها وزوجها مجتازين الخدم ومتجهين نحو السير (توماس) بينما حمل (عبد الصمد) الحقائب بمساعدة بعض الخدم للداخل.

بعد أن أنهى السير (توماس)معانقة ابنته مد يده يصافح (شاكر) في حرارة هائلة قائلا:

-مرحبا بزوج ابنتي العزيز داخل قلعتي المتواضعة.

قال (شاكر) مبتسما:

-إنما آنت المتواضع يا سير (توماس) فتلك القلعة أقل بأن توصف بالعظمة.

قال السير (توماس) في خيلاء:

-لقد ورثتها بعد موت والدي منذ عدة أشهر ولكنني انتقلت للعيش بها منذ بضعة أيام فقط فلقد كنت رافضا للعيش بها لبعدها عن (لندن) حيث القصر الذي أمتلكه وأعمالي الخاصة هناك.

هز (شاكر) رأسه متفهما بينما أسرع السير (توماس)يحتضن أحفاده في سعادة بالغة قائلا:

-لقد كبرتم يا أحفادي الأعزاء وأصبحتم شبابا يافعا.

هتف (أحمد) قائلا:

-قصرك كبير جدا يا جدي.

قهقه السير (توماس) من قول حفيده بينما أسرعت (صوفيا) تحتضن كبيرة الخدم مدام (سوزان) التي قامت بتربيتها والاعتناء بها بعد موت والدتها مباشرة.

انتهت مراسم استقبال عائلة (صوفيا) دخل الجميع لداخل القلعة حيث توقفوا داخل ردهة فسيحة وقد وضعت المشاعل المضيئة على جدرانها لتضئ المكان

بأكملهوكانت هناك مائدة شديدة الضخامة عامرة بالأطعمة المختلفة من لحوم ودواجن بالإضافةلأنواع عديدة من الفاكهة الطازجةأعدت خصيصا لهم.
كان الجوع ينهش معدة الجميع بشدة بعد تلك الرحلة الطويلة التي قطعوها من الميناء حتى القلعة لكن (صوفيا) أصرت على أن يقوم الجميع بغسل أيديهم ووجوههم من ذلك التراب الذي علق بهم من أثر السفر قبل جلوسهم لتناول الطعام.
وعندما فرغ الجميع من غسل أيديهم عادوا للجلوس حول المائدة وأخذوا يلتهمون الطعام التهاما.
ذهب (عبد الصمد) بصحبة (ألكسندر)لحجرة الخدم حيث قام أحد الخدم بتقديم الطعام لهم الذي كان يتكون من اللحم المجفف وذلك الخبز الإنجليزي غريب الشكل والطعم المدعو بالبسكويت المملح والذي لم يكن يشبه الخبز المصري والذي تعده له والدته بأي حال من الأحوال.
بعد أن فرغ(عبد الصمد) من تناول الطعام نهض(ألكسندر)سريعا وأحضر زجاجة من الخمر المعتقة حيث صب كأسا لكل منهما لكن (عبد الصمد) رفض تناولها رفضا قاطعا وطلب مكانا ليقضي به ليلته فلقد كان متعبا بشدة ويريد أخذ قسطا من الراحة بعد تلك الرحلة الشاقة بعد كل ما مر به من أهوال وأحداث جسام.
أصطحبه(ألكسندر) لحجرة كبيرة الحجم بها فراش كبير يتسع لثلاثة أشخاص دفعة واحدة على الأقل وقال له:
-هذه الحجرة ستكون مكان إقامتك طوال وجودك بالقلعة يا مستر (عبد الصمد).
(عبد الصمد) متسائلا:
-هل هذه حجرتك يا (ألكسندر).
ألكسندر:
-لا أن حجرتي في نهاية هذا الممر إنتلك الحجرة كانت تخص (مارشيكا) الخادمة الخاصةللأميرة (مارجريت)الجدة الكبرى للسير (توماس)والتي أمرت ببناء تلك القلعة في ذلك المكان المقفر.
(عبد الصمد) في تعجب:
-ولكن أليست تلك الحجرة كبيرة وشديدة الفخامة على خادمة

أجابه(ألكسندر) قائلا:

-ولكنها لم تكن مجرد خادمة عادية فقط ، فلقد كانت من أصول أفريقية وكانت تمارس السحر الأسود وتحضير أرواح الموتى وقراءة الطالع ولقد كانت الأميرة (مارجريت)تأخذ مشورتها في كل شئ تقريبا ولقد كان جميع الخدم يهابونها بشدة حتى بعد موتها فلم يجرأ أحد من الخدم على سكن تلك الحجرة بعد أنأنتقل خوف سكنها للخدم المتعاقبة في القلعة جيلا بعد الأخر.

أبتسم (عبد الصمد) وقال مازحا:

-أتعنى بأن جميع الخدم قد رفضوا العيش في تلك الحجرة على مدار أجيال متعاقبة وأنت تريدني قضاء عدة أيام بها.

ألكسندر):

-إنني لم أقصد أخافتك يا رجل لكنني لم أجد لك حجرة ملائمة أكثر من تلك الحجرة ولا أعتقد بأنك تود أن تشارك أحد خدم القلعة في أحدى الحجرات.

شكره (عبد الصمد)حيث توجه للفراش وأخذ يتحسسه فوجده نظيف

بينما غادر (ألكسندر) الحجرة ليتركه يأخذ قسط من الراحة بعد تلك الرحلة الشاقة وأغلق باب الحجرة خلفه بينما توجه (عبد الصمد) لمصباح الكيروسين الموضوع فوق المائدة المجاورة للفراش وقام بإغلاقه وألقى بجسد المنهك فوق الفراش وما لبث أن راح في ثبات عميق.

بعد أن فرغ الجميع من تناول الطعام وذهبت (صوفيا) وأبنائها لغسل أيديهم بالماء الفاتر بينما توجه السير (توماس) لحجرته مكتبه بصحبة(شاكر) حيث جلسا سويا فوق مقاعد جلدية فاخرة وقد طلب السير (توماس) من أحد الخدم قدحين من الشاي الإنجليزي الشهير.

أخذ السير (توماس) يسأل عن أحوال مصر والمصريين وكيف يعامل اللورد (كرومر) الشعب المصري وما هى حقيقة ما حدث في قرية (دنشواي)؟

تطلع (شاكر) لوجه السير (توماس) قليلا وهو يتذكر أحداث تلك المجزرة التي وقعت في قرية (دنشواي) ثم انطلق يقص عليه ما حدث هناك بالتفاصيل الدقيقة

ثم قص عليه تلك التمثيلية الهزلية التي وقعت أحداثها في المحكمة التي انعقدت لمحاكمة أهل القرية البسطاء وأخيرا قص عليه ذلك الحكم القاسي الذي نفذ في أهالي دنشواي أمام بصره.

تراجع السير (توماس) في مقعده وقال في غضب:

-اللعنة كنت أعلم بأن الشعب المصري سيتذوق الهوان من (كرومر) فهو رجلا قاسيا ولكنني لم أكن أتخيل يوما ما بأنه سيقدم علي ارتكاب تلك المذبحة البشعة.

سكت (شاكر) ولم يجيب فسأله السير (توماس) قائلا:

-ولكن ما هو السبب الحقيقي لقدومك لإنجلترا يا (شاكر) فلست أعتقد بأنك قد جئت إلى هنا لطلب الراحة والنسيان بعد كل ما قصصته على مسامعي منذ قليل.

أجاب (شاكر) بكل صراحة:

-بل جئت لملاقاة صديقي (مصطفى كامل باشا) الذي قطع رحلته العلاجية في فرنسا وقدم خصيصا لإنجلترا لمقابلة رئيس وزراءها ليقدم شكوى رسمية ضد اللورد (كرومر)بما يرتكبه من فظائع في مصر ، وبما إنني من أعيان محافظة المنوفية فيحق لي تقديم شكوى أنا الأخر لما حدث وسوف أكون مرافقا لصديقي أثناء تلك المقابلة.

قال السير (توماس) بحزم:

-سوف أذهب معكم أثناء ذلك اللقاء فرئيس الوزراء صديقا شخصيا لي.

شكره(شاكر) ونهض من مقعده حيث أستأذنه ليذهب للنوم بعد أن بلغ منه التعب مبلغا هائلا وبدأ النوم يداعب عينه وغادر حجرة المكتب متوجها لحجرة نومه التي قد خصصت له ولزوجته(صوفيا) حيث أخبره السير (توماس) عن مكانها.

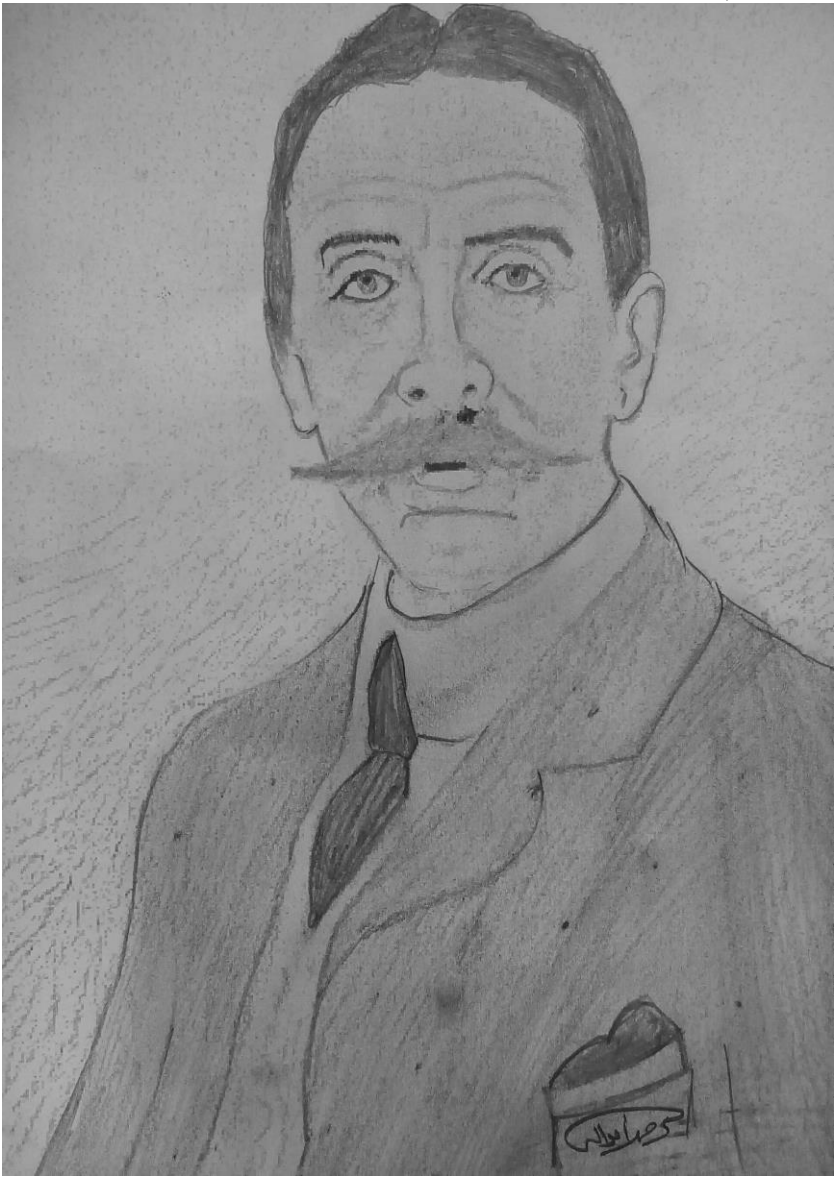

(السير توماس)

صعد (شاكر) درجات السلم المؤدية للطابق الثاني حيث توجد حجرته التي أمر السير (توماس) الخدم بإعدادهاله هو وزوجته (صوفيا)..

انتهت درجات السلم بممر طويل وعلى جانبيه عددا كبيرا من الحجرات وفي منتصف الممر كانت توجد حلة معدنية من تلك الحلل التي كان يرديها الفرسان الإنجليز قديما أثناء الحروب وقد وضع بجانب الحلة سيف حاد.

عبر (شاكر) بجانب تلك الحلة في طريقه لحجرته عندما لاحظ تحرك تلك الحلة مصحوبا بصوت صليل معدني قوي ليؤكد له بأن رؤيتها تتحرك ليس مجرد تهيأت..

فالتفت ينظر لها في شئ من الخوف والرهبة ولكنه وجدها ثابتة لا تتحرك فأعتقد بأنه كان يتخيل ذلك الأمر فأبتعد عنها وهم بالتوجه لحجرته عندما أبصر الحلة تتحرك بالفعل في خطوات بطيئة وصوت تحرك المعدن الثقيل يصك مسامعه بشكل جمد الدماء داخل عروقه.

تراجع (شاكر) في خوف بعد أن تأكد تماما من تحرك تلك الحلة المعدنية ومما أكد ظنونه أنها كانت مستندة على الحائط في أول الأمر ولكنها والآن تقف في منتصف الممر بعد أن تحركت بضع خطوات للأمام.

فأسرع يجري بكل قوة نحو باب الحجرة التي قد أعدت له داخل القلعة والتي كانت قريبة منه ، وما أن ولجها حتى أسرع يغلقبابها خلفه في سرعة بالمزلاج وذهب فجلس على طرف الفراش بجانب وهو يلتقط أنفاسه في صعوبة بالغة زوجته التي كانت تغط في نوم عمق.

بعد أن هدأ (شاكر) قليلا واستردرباط جأشه نهض من فوق الفراش حيث قام بخلع حلته ثمارتدى ملابس النوم خاصته وأسرع يندس تحت الأغطية الثقيلة بجانب زوجته في الفراش وما لبث أن أغلق عيناه وراح في ثبات عميق.

استيقظ (عبد الصمد) في منتصف الليل تقريبا وهو يشعر بوجود شخصا معه داخل الحجرة وبالفعل أبصر شخصا يتحرك داخل الحجرة بالقرب من الفراش الذي يتمدد فوقه.

كان الظلام الحالك الذي يسود الحجرة لكنه أبصر عجوز قبيحة الشكل تتحرك في أرجاء الحجرة وهى تحدجه بنظرات ملؤها الحقد والغضب الهائل وأخذت تدمدم بكلمات غريبة وعلى ما يبدو بأن ٠نومه فوق الفراش يغضبها بشدة.
أعتقد (عبد الصمد) في بداية الأمر بأن تلك العجوز قد دخلت الحجرة عن طريق الخطأ فربما كانت تعتقد بأن تلك الحجرة تخصها.
وعندما هم بالجلوس والتحدث لتلك العجوز ليخبرها بأنها قد ضلت الطريق ولكنه فوجئ بها تتوقف فجأة عن السير وتحدجه بنظرة بشعة وهى تقترب من الفراش.
أخذت العجوز تقترب منه رويدا ، رويدا حتى شعر (عبد الصمد) بأنفاسها الباردة تغمر وجهه فحاول أن يصرخ أو يستنجد بأحد من الخدم ولكنه لم يستطيع التفوه بحرف واحد بعدما أبصر ذلك التجويف الرهيب الذي أتخذ مكان عيناها وقد ارتسمت على ملامحها البشعة ابتسامة مرعبة تكشف عن فم خاليا تماما من الأسنان.
ثم رفعت العجوز راحة يدهاالباردة الخالية تماما من اللحم البشري فلقد كانت تتكون من العظام فقط وكان ملمسها يشبه قطعة من الثلج حيث وضعتها فوق جبهة (عبد الصمد) الذي غاب عن الوعي تماما من شدة الرعب.

في صباح اليوم التالي نهض(شاكر) من نومه متأخرا بعد الذي مر به في الليلة الماضية وجلس يتثاءب فوق الفراش ونظر بجانبه حيث تنام زوجته فلم يجدها ويبدو بأنها قد استيقظت باكرا وغادرت الحجرة.
فنهض من فوقالفراشبدوره والتقط المنشفة من فوق المشجب الموجود بالقرب من الفراشوتوجه لدورة المياه الملحقة بغرفته حيث وجد المغطس ممتلئ بالماء الساخن المعطر فأبتسم لأن زوجته قامت بإعداده له كما كانت تفعل دائما برغم أنها لا تتحدث معه إلا نادرا بعدما علمت بأمر تلك الليلة التي قضاها في أحضان إحدى الغواني الفرنسيات داخل حجرة رخيصة بأحد البارات.
تمتم (شاكر) في حنق عندما تذكر ذلك الأمر:
-يا لك من أحمق يا (جيمس) كيف تتفوه بتلك الأشياء اللعينة أمام زوجتي من دون حذر.

عاد يزفر في حنق شديد وهو يهبط داخل المغطس ويشعر بالماء الساخن يغمر جسده ليبدد برودة الجو من حوله وبعد أن فرغمن الاستحمام غادر المغطس وقام بتجفيف جسده بالمنشفة جيدا ، وأسرع يرتديحلة نظيفة وهبط ليجلس مع السير (توماس) وزوجته (صوفيا)حيث كانوا يتناولون طعام الإفطار المكون من الشاي والبسكويت المملح والزبد والبيض المسلوق والجبن وقد تجمعوا حول مائدة صغيرة في ساحة القلعة بينما أخذ أبناءه يلعبون فوق أرجوحة بالقرب من المائدة بعد أن تناولوا طعام الإفطار قبل الجميع.

بعدما تناول الجميع طعام الإفطار نظر السير (توماس) إلى (شاكر) في عتاب واضح وقال له:

-لماذا تشاجرت أنت وزوجتك يا (شاكر).

نظر (شاكر) لزوجته في غضب معتقدا بأنها قد أخبرت والدها بأمر شجارهم معا الذي وقع فوق السفينة ولكن السير (توماس) قال له بجدية:

-(صوفيا) لم تخبرني بشئ يا (شاكر) ولكنني لاحظت أنكما لا تتحدثان إلا بالكاد وعندما حاولت أن أعلم السبب من أبنائكمأخبروني بأنكما قد تشاجرتم فوق سطح السفينة.

نظرت(صوفيا)لأبنائها في غضب بالغل أنهم قد أفشوا أسرار أبيهم وقاموا بإخبار والدها بأمر ذلك الشجار الذي وقع بينها وبين أبيهم فوق سطح السفينة لكن والدها زجرها في غضب وسألها قائلا:

- أريد أن أعرف سبب ذلك الشجار الذي وقع بينكمفوق سطح السفينة.

لم يجيب أحدا منهما فكرر الرجل السؤال على مسامعهما مرة ثانية.

قال (شاكر) بهدوء أثار غضب زوجته بشدة:

-لا شئ يذكر فلقد كان شيئا تافها ولكن أبنتك أعطت الموضوع أكثر من حقه.

هبت (صوفيا) واقفة في غضب وصاحت قائلة:

-نعم إنه شئ شديد التفاهة بحقفلقد علمت بخيانته لي بالمصادفة مع إحدى الغانيات الفرنسيات في أحد البارات الحقيرة بصحبة قبطان السفينة الذي كان يتفاخر بذلك أمام جميع ركاب السفينة في وجودي.

ألقت (صوفيا)عبارتها وسارعت بالابتعاد سريعا وهى تبكي في حرقة شديدة:

نظر السير (توماس)لوجه (شاكر) في عتاب شديد وقال متسائلا:

-هل حدث هذا حقا ؟

أجابه(شاكر)على الفور:

-لقد كانت مجرد نزوة عابرة قمت بها منذ عدة سنواتوكنت قد نسيت أمرها تماما ولكن ذلك القبطان الأحمق تحدث عن ذلك الأمر في تفاخر أمامها فحدث ما حدث رغما عنى.

السير (توماس):

-أنت تعلم مدى حب (صوفيا) لك ولم يكن من اللائق فعل ذلك الأمر المشين فزوجتك لا تستحق خيانتك لها كما أنها ليست امرأة قبيحة لتفعل ذلك الشئ أتعلم بأن الشئ الذي أغضبها أكثر من أي شيئا أخر هو أنك قمت بذلك الأمر مع فتاة فرنسية.

ابتسم (شاكر) وقال ساخرا:

-وهل تفرق جنسية الفتاة التي تفعل هذا الأمر معي بالنسبة لها.

السير (توماس):

-بالطبع فأنت تعلم ذلك العداء بين إنجلترا وفرنسا منذ مئات السنين ومعنى أنك خنتها مع فتاة فرنسية وهذا يعني بأنك قد فضلت عليها فتاة فرنسية بل غانية.

ورغم أن ((شاكر) لم يفهم مقصد السير (توماس)جيدا لكنه سأله قائلا:

-ولكن ما هو العمل الآن.

نهض السير (توماس) من فوق مقعده وهو يقول له:

-سنذهب الآن إلى رحلة صيد في الغابة المجاورة للقلعة حيث يكثر بها الظباء والأرانب وعند عودتنا قم بمداعبتها وملاطفتها محاولة كسر ذلك الحاجر الجليدي بينكما وأخبرها بأن ما حدث كان مجرد ذلة شيطان ليس أكثر.

وبعد قليل حضر (ألكسندر) يحمل بندقيتان للصيد بينما هتف (شاكر) مناديا على (عبد الصمد) ليذهب بصحبتهم وبالفعل جاء ذلك الأخير دون أن يتفوه بحرفا واحد.

غادرت تلك المجموعة الصغيرة المكونة من السير (توماس) و(شاكر) الذين يمتطيان صهوة أحصنتهم المقدمةيتقدمان (ألكسندر) و(عبد الصمد)الذين يتبعوهم سيرا على الأقدام حتى غادروا القلعة وانطلقوا حتى وصلوا لتلك الغابة المحيطة بالقلعة حيث قام (ألكسندر) بحشو البندقية بالبارود وناولها للسير (توماس) ثم قام بتجهيز البندقية الثانية وناولها ل(شاكر)حيث أنطلق هو والسير للبحث عن صيد كبير يكفي لطعام الغذاء.

أكثر من ثلاث ساعات كاملة وهم يبحثون عن صيد والغابة والمستنقعات صامتة كالقبور فلم يشاهد أحدا منهم طائرا أو حيوانا ينطلق أو يختبئ وسط الأشجار.

أصاب اليأس الجميع وقرر السير (توماس) العودة للقلعة وفي طريق العودة انشقت الأرض عن وعل سمين وهو ينحني ليشرب من مياه المستنقع.

فأسرع السير (توماس) يطلق عليه نيران بندقيته لكنه أخطأه فأجفل الوعل وفر هاربا لكن (شاكر) عاجله برصاصه من بندقيته أصابته على الفور في جانبه الأيمن فسقط يتلوى على الأرض لكنه لم يموت بعد.

هرول(عبد الصمد)مسرعا حتى وصل للوعل المصاب قبل الجميع وأسرع يخرج منجله الحاد وجز به عنق الوعل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة على الفور بعد أن سمى الله قبل ذبحه.

استشاط السير (توماس) غضبا عندما شاهد (عبد الصمد)وهو يذبح الوعل وأسرع يصوب فوهة بندقيته إليه قائلا:

-ماذا فعلت أيها الهمجي لقد نحرت عنق الوعل بلا رحمة سأقتلك على فعلتك هذه.

اعتدل(عبد الصمد) في هدوء وقال بإنجليزية سليمة أدهشت السير (توماس):

-سيدي السير إنني لم أفعل شيئا يتسم بالوحشية، فلقد أرحت الوعل من عذابه ثم إن عقيدتنا الإسلامية تأمرنا بنحر عنق الضحية قبل أن نأكل منها ليصبح لحمها حلالا.

أعجب السير (توماس) من فصاحة وشجاعة (عبد الصمد) وأكثر ما أثار دهشته هو استطاعة ذلك الأخير التحدث بالإنجليزية فخفض بندقيته على الفور.

في تلك اللحظة أقترب منهم (شاكر) فوق جواده وسأل السير (توماس) عما أثار غضبه من (عبد الصمد) لكن السير قال له:
-لاشى مجرد سوء فهم مني لا أكثر.
بينما انحنى(عبد الصمد) في أدب قائلا:
-هل يسمح سيدي السير بإنهاء ما بدأته للتو:
هز السير (توماس) رأسه بالموافقة فأسرع هذا الأخيريقوم بسلخ جلد الوعل بمهارة شديدة وقام بنزع الأحشاء منه وأخذ ينظف لحمه بماء المستنقع بمساعده (ألكسندر)بينما نظرات الإعجاب تطل من عين السير (توماس) بشدة.
وعندما فرغ(عبد الصمد) من تنظيف الوعل أسرع يحمله فوق ظهره بمساعدة (ألكسندر) وسار صوب باب القلعة يتبعه الجميع سعداء بذلك الصيد السمين.
وما أن وصل الجميع لداخل القلعة حتى أمر السير(توماس) بإعداد وليمة هائلة من لحم الوعل.

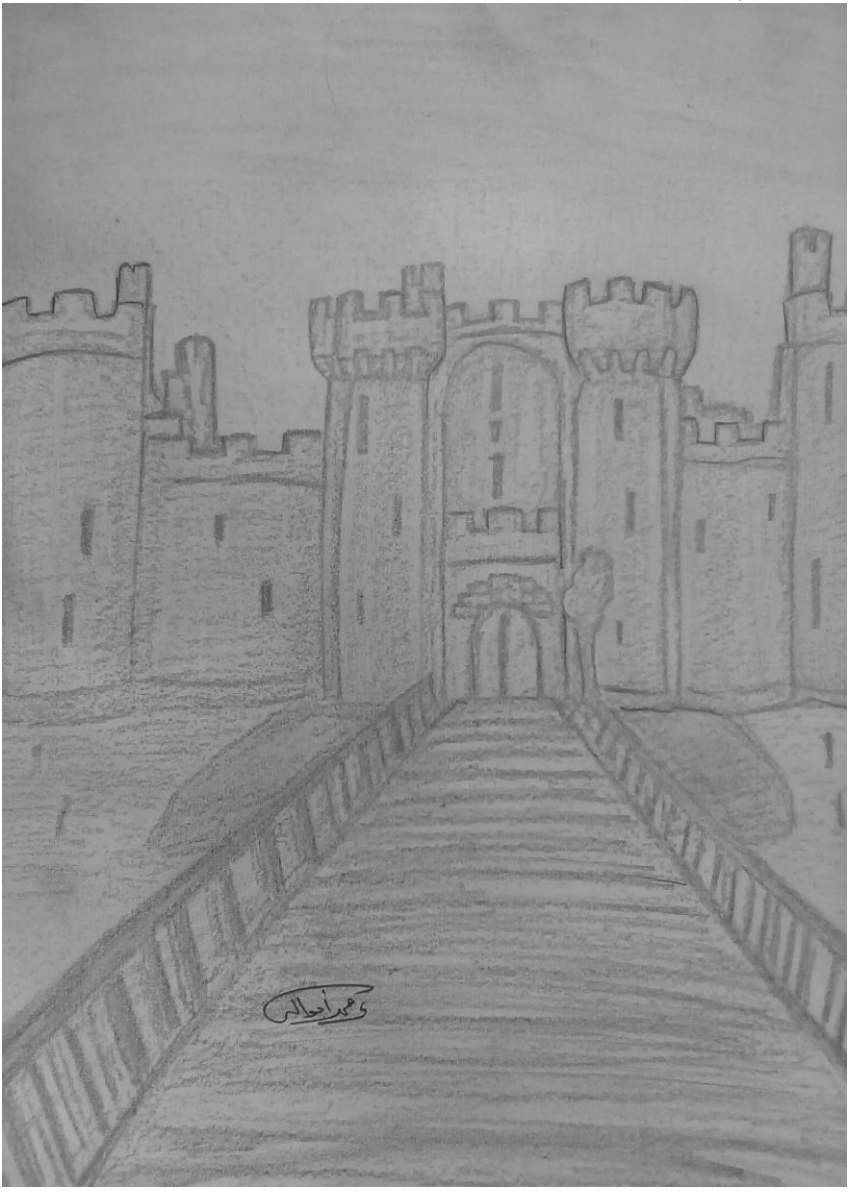

القلعة

استيقظ (شاكر) من نومه علي صوت زوجته (صوفيا) التي كانت تجلس بجانبه فوق الفراش لتخبره بأن والدها يريد لقاءه في حجرة مكتبه على الفور.

نهض (شاكر) من فوق الفراش وأسرع يرتدي ملابسه على الفور ونزل لحجرة مكتب السير (توماس) حيث كان ذلك الأخير يجلس خلف مكتبه في انتظار نزول (شاكر) والذي جلس بدوره في مواجهته متسائلا عن سبب ذلك الاستدعاء في ذلك الوقت من الصباح الباكر.

التقط السير (توماس) جريدة كانت موضوعة فوق مكتبه وهو يشير بها في وجه (شاكر)قائلا:

-لقد حضر بالأمس صديقك (مصطفى كامل)من فرنسا ولقد طلب مقابلة رئيس الوزراء الإنجليزي وهو الآن موجود في أحد الفنادق بمدينة (لندن) استعدادا لمقابلته.

نهض (شاكر)وأسرع يختطف الجريدة بلهفة شديد وأخذ يقرأ ذلك الخبر الذي يتحدث عن وصولالزعيم المصري (مصطفى كامل) لإنجلترا هذا الصباح.

هب (شاكر) من فوق مقعده على الفور قائلا:

-سوف أذهب لمقابلته في (لندن)وأذهب معه للقاء وزير الوزراء.

نهض السير (توماس) بدوره قائلا:

-لن تذهب وحدك يا (شاكر) سوف أذهب معك.

وأسرع ينادي على الخدملإعداد العربة و الجياد للسفر لمدينة لندن بينما أسرع (شاكر) الصعود لحجرتهلارتداء حلة أنيقة تليق بمقابلة صديقه (مصطفى كامل)ورئيس وزراء إنجلترا.

وبالفعل انطلقت العربة التي أحضرت (شاكر) وعائلته للقلعة يقودها (ألكسندر) و(عبد الصمد) بجواره كالمعتاد وداخل العربة جلس (شاكر) في مواجهة السير (توماس) وهم يتبادلان الحديث ، وقد مرت عدة ساعات قبل أن تصلالعربة للفندق الذي نزل به (مصطفى كامل).

كان الليل قد هبط وأنتشر الظلام حيث كان البرد قارصا تلك الليلة ، هبط (شاكر) و(توماس) من العربة متوجهين للفندق.

وفي الداخل سأل السير (توماس) موظف الفندق عن حجرة (مصطفى كامل) لكنه أشار خلفهم وأخبره بأنه يجلس خلفهم يحتسى قدح من القهوة فالتفتوا ليبصروه كما أخبرهم موظف الفندق.
كان شابا متوسط الطول واسع العينين مستقيم الأنف ويمتلك شاربا رفيع قام ببرمه لأعلى كانت ملامحه تشبه ملامح الشعب المصري.
ولقد كانت علامات ذلك المرض الذي أصابته قد ظهرت على ملامحه الشاحبة وجسده الذي أصابه الهزال بشكل ملفت للنظر.
توجهنحوه (شاكر) وما إن أبصره (مصطفى كامل) حتى قام به مرحبا ومصافحا إياه في حرارة شديدة.
قدم (شاكر) السير(توماس) لصديقه وأخبره بأنه والد زوجته (صوفيا) وإنه جاء بصحبته لمساعدتهم في قضيتهم لأنه يعشق تراب مصر وشعبها.
رحب (مصطفى كامل) بالسير (توماس) وجلس ثلاثتهم يتبادلون أطراف الحديث بينما أحضر النادل أقداح قهوة لهم.
ولقد أخبرهم (مصطفى كامل) بأنه سيذهب لرئيس الوزراء الإنجليزي بعد نصف ساعة من الآن في مكتبه.
صاح السير (توماس) في حماس:
-أن رئيس الوزراء السير(كامبل باترومان) صديقه المقرب منذ زمن كبير وسأكون بصحبتكم في تلك الزيارة.
وافق (مصطفى كامل)على طلب السير (توماس).
بعد أن انتهى الجميع من احتساء أقداح القهوة نهضوا جميعا وغادروا الفندق وصعدوا عربة السير (توماس) الذي أمر سائق العربة بالانطلاق بها إلى قصر رئيس الوزراء على الفور..
وعندما وصلوا قابلهمالسير (كامبل باترومان) رئيس الوزراء البريطاني بترحاب شديد خاصتا عندما وجد السير (توماس) بصحبتهموبعدما استمع ل(مصطفى كامل)و(شاكر) فيما حدث في (دنشواي) ومحاكمتهاالهزلية بالإضافة لفظائع اللورد (كرومر) في مصر.

عرض عليهم وزير الوزراء تشكيل الوزارة في مصريكون رئيسها هو (مصطفى كامل) لكن ذلك الأخير رفض ذلك الأمر بشدة فلقد أحس بأنها مجرد رشوة مقنعة ليسكت هو وقلمه عن ظلم المحتل الإنجليزي داخل وطنه مصر وهذا ما يرفضه بشدة حتى لو أعطوه كنوز إنجلترا بأكملها.

بعد أن انتهى اللقاء خرج الجميع من مكتب رئيس الوزراء حيث كان (مصطفى كامل) غاضبا بشدة وعندما حاول السير (توماس) تهدئته نظر إليه قائلا:

-أنني لن أقف مكتوف الأيدي وسوف أنتقم من كل من تسبب في مقتل هؤلاء الفلاحين المصريين البسطاء وخاصتا من ذلك اللورد الظالم (كرومر).

فقال له (شاكر) محاولا تهدئته:

-ولكنك بذلت بالفعل ما في وسعك فلقد غادرت فرنسا دون أن تكمل علاجك وحضرت خصيصا لإنجلترا لعرض القضية المصرية على الشعب الإنجليزي الذي لن يقبل بذلك الظلم البين الذي تعرض له الشعب المصري في (دنشواي).

تدخل السير (توماس) في الحوار قائلا:

-يجب أن يعلم الشعب الإنجليزي والعالم أجمع ما حدث في (دنشواي) وظلم (كرومر) وصدقوني فلن يقبل الشعب الإنجليزي ذلك الأمر المشين.

برقت عين (مصطفى كامل) بشده وهو يهتف قائلا:

-نعم هذا هو الحل يجب أن يعلم العالم أجمع فظائع (كرومر) في مصر لذلك سوف أقوم بكتابة مقالة موجهه للشعب الإنجليزي العظيم خاصة وشعوب العالم عامةلما يحدث داخل مصر.

قال السير (توماس):

-ولكني لا أعتقد بقبول أي من الصحف الإنجليزية بنشر مثل ذلك المقال لديها.

نظر إليه (مصطفى كامل) قائلا بتحد:

-سوف أقوم بنشره في صحيفة (لوفيجارو) الفرنسية.

هز (شاكر) رأسه استحسانا بتلك الفكرة بينما قطب السير (توماس) حاجبيه في شئ من الاستياء ففرنسا أكبر أعداء بلاده وسوف تجدها فرصة سانحة للتشهير بإنجلترا لكنه لاذ بالصمت.

وفي ذلك الوقف وصلوا للفندق الذي يقيم فيه (مصطفى كامل) فأوقف (ألكسندر) العربة وأطل برأسه من نافذة العربة وأخبرهم بالوصول للفندق أسرع (مصطفى كامل) بتوديعهم في حرارة وهبط من العربة عائدا للفندق بعد أن قررالعودة لفرنسا.

بينما أسرع (ألكسندر) بالانطلاق بالعربة في طريق العودة للقلعة.

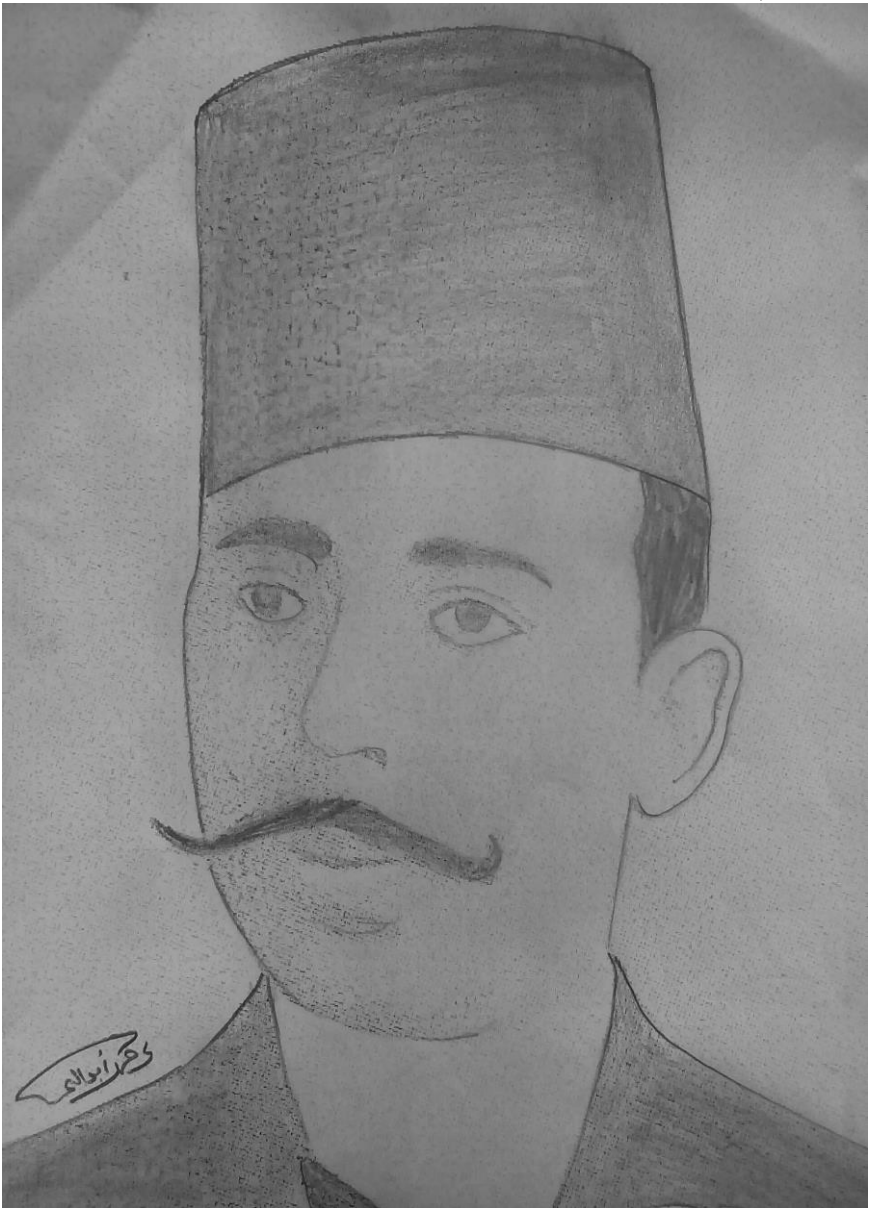

(مصطفى كامل باشا)

أشباح المستنقع.

أطلق (ألكسندر) العنان للجياد التي تجر العربة وأخذ ذلك الأخير يلهب ظهور الجياد بسوطه ليصلوا سريعا للقلعة في أقصر وقت كما أمره سيده.
وبالفعل وصلت العربة في نصف الوقت الذي قطعته عند مجيئها إلى لندن وقد وصلت العربة لأرض المستنقعات التي تحيط بالقلعة في الرابعة فجرا حيث أبطأ (ألكسندر) من سرعة الجياد خوفا من السقوط داخل مياه المستنقع وخاصة إنه قد نسى أن يملئ المصابيح بالكيروسين اللازملإضاءتها.
كانت الجياد تسير بحذر بالغ بعد أن ترك لها (ألكسندر) اللجام لتتوجه نحو القلعة بحسها الحيواني الذي لا يخطئ لكن الرياح تأتي دائما بما لا تشتهي السفن فلقد كان هناك حجرا ضخما في الطريق أرتطم بعجلة العربة الأمامية لتتحطم بشكل غريب وتميل العربة على جانبها الأيمن بشدة مما تسبب في سقوط (ألكسندر) من فوقها لترتطم رأسه بنفس الحجر الذي تسبب في تحطم عجلة العربة ففقد الوعي على الفور وقد أخذت جبهته تنزف بشدة من جراء الارتطام.
قفز (عبد الصمد) من فوق العربة على الفور وأسرع يطمئن على (ألكسندر) في نفس اللحظة التي فتح باب العربة وخرج منها (شاكر) يتبعه السير (توماس) الذي اتسعت عيناه وهو يبصر سائق عربته الذي ينزف بشدة.
أسرع (عبد الصمد) يمزق جزء من قميصه ويربط به رأس الرجل المصاب ليوقف نزيف الدم.
أسرع السير (توماس) يسأل (عبد الصمد) قائلا:
-هل أصابه مكروه يا رجل.
قال (عبد الصمد) بلهجة مطمئنة:
-إنه في خير حال يا سيدي مجرد جرح سطحي من جراء السقوط ولكنه فقد الوعي.
نظر السير (توماس) إليه في تفكير ثم قال:
-حسنا سوف تمكث معه هنا بجانب العربة حتى الصباح وسوف أتوجه أنا وسيدك للقلعة سيرا على الإقدام وعندما تشرق الشمس سيحضر الحداد لإصلاح عجلة العربة.
هز (عبد الصمد) رأسه موافقا بينما نظر السير (توماس) ل(شاكر) قائلا:

-اتبعني وكن حذرا لخطواتك جيدا فأي خطوة خاطئةفسوف تسقط داخل مياه المستنقعات وهى عميقة وضحلة في نفس الوقت ولا تنسى إننا ليلا وسوف يتعذر العثور على أي أحد يسقط داخل مياه المستنقع.
هز (شاكر) رأسه متفهما وأجاب قائلا:
-حسنا سوف أكون حذرا بقدر المستطاع.
أسرع السير (توماس) يسير في اتجاه القلعة بينما نظر(شاكر) نحو (عبد الصمد) قائلا في اعتذار شديد:
-إنني أعتذر عما بدر مني في حقك يا (عبد الصمد) فلم أكن واعيا عندما تفوهت بتلك الكلمات الجارحة وأنت تعرف مدى حبي لك ولم يكن هناك فرصة أصالحك فيها.
نظر له (عبد الصمد) في امتنان قائلا:
-لا تعتذر يا سيدي فأنت تعلم مدى حبي لك ولقد نسيت تماما ما حدث منك.
نظر له (شاكر) بحب وهم بقول شيئا ما عندما تعالى صوت السير (توماس) وهو يناديه فأشار له (عبد الصمد) باللحاق بالسير.
وبالفعل انطلق(شاكر) ناحية القلعة وأسرع الخطى محاولا اللحاق بالسير الذي وقف ينتظره في تبرم حتى لحق به فساروا جنبا إلى جنب.
أكثر من نصف ساعة كاملة قضاها (شاكر) والسير (توماس) وهم يسيرانجنبا إلى جنب وبحذر شديد حتى لا يسقطان في مياه المستنقع فلقد كان الضباب الخارج من المستنقع شديدا حتى إنهم لم يعد باستطاعتهم الرؤية من كثافته.
كانوا يسيران جنبا إلى جنب عندما أحاط بهم فجأة ضباب أشد كثافة وعندما انقشع ذلك الضباب وجد كل واحدا منهم نفسه وحيدا فأخذ ينادي على الأخر وهو يبحث عنه ولكن بلا جدوى فالرؤية صارت متعثرة بشدة.أخذ (شاكر) يسير بحرص شديد حتى وصل لبداية تلك الغابة الصغيرة التي تحيط بأسوار القلعة وهو يتمنى العثور على السير (توماس) هناك.
كانت السماء حالكة الظلام ولكن أنقشع ذلك السحاب الرمادي الذي يملأ صفحة السماء ببضئ ليسمح بضوء القمر بإضاءة المكان قليلا.

فرح (شاكر) بضوء القمر الذي أضاء له الطريق في نفس الوقت الذي اجتاز فيها أرض المستنقع بسلام وهاهو يسير بين أشجار الغابة.
أخذ (شاكر) يسير بين الأشجار صوب باب القلعة عندما أبصر سيدة ترتدي فستان شديد السواد تجلس أسفل إحدى الأشجار وهى تشير له بالاقتراب منها وقد وضعت يدها اليمنى فوق صدرها وعلى ما يبدو بأنها تعاني من إصابة ما في صدرهاوتطلب منه المساعدة فأسرع هذا الأخير يقترب من مكانها في خطوات أشبه بالعدو بغية مساعدتها.
لكنه توقف بغتة دون سببا ما ونظر أسفل أقدامه وتراجع على الفور فلو تقدم خطوة واحدة فقط لسقط داخل مياه المستنقع التي توجد بها تلك الشجرةوالتي تجلس أسفلها تلك السيدة التي تشير له بالاقتراب فتعجب من ذلك الأمر وتساءل في حيرة شديدة عن كيفية جلوسها فوق سطح المياه بذلك الشكل لكن دهشته تحولت لرعب هائل عندما نهضت تلك السيدة فجأة وهى تمد يدها أمام صدرها وتتجه نحوه وكأنها تخطوا فوق سطح أرض صلبة وليست مياه المستنقع.
لم يكن مبعث ذلك الرعب الذي أصاب (شاكر) أنها كانت تسير فوق سطح الماء أو كيف جلست فوقه منذ البداية ولكن ما أرعبه حقا هو وجهها الذي وضحت ملامحه بشدة عندما سقط فوقه أشعة القمر.
فلم يكن وجها بشريا على الإطلاق لكنه كان جمجمة بشرية شديدة البشاعة وتجويفان هائلان يحلان مكان العينين.
تراجع (شاكر) في خوف هائل وانطلقيعدو بعيدا عنها بأقصى سرعته بينما أطلقت هى صرخة تبعث على الرعب في أقوى قلوب الرجال وهى تنطلق خلفه في إصرار.
أبصر (شاكر) كوخا خشبيا على مرمى البصر فأسرع يعدو ناحيته دون أن يلتفت خلفه لكنه كان يسمع تلك الصرخات المرعبة التي يطلقها ذلك الشبح وهو يلحق به ويشعر بحفيف ثوبها وهو يحتك بظهره ، وعندما وصل لذلك الكوخ الخشبي هم أن يدق بابه لكنه لدهشته البالغة وجده مفتوحا على مصراعيه فأسرع يدلف للدخل ويغلق بابه خلفه على الفور ثم التفت ينظر لمحتويات الكوخ لكنه لم يجد سوا مائدة خشبية كبيرة الحجم ويوجد في منتصفها سلاسل معدنية وأقفال غريبة الشكل وشمعدان ضخم يحتوي على ستة شموع سوداء اللون كما لاحظ أيضا

وجود تلك النجمة السداسية الشهيرة التي ترمز لعبده الشيطان وقد رسمت في كل مكان بالكوخ على الحوائط والأرضية وسقف الكوخ أيضا فهم بالخروج من ذلك المكان الشيطاني.

ولكنه عندما هم بمغادرة الكوخ ارتفعت دقات رهيبة فوق الباب الذي يستند إليه بظهره مصحوبا بتلك الصرخات المرعبة التي يطلقها ذلك الشبح الموجود بالخارج فتراجع على الفور وهو ينظر للباب في خوف هائل متوقعا أن يقتحم ذلك الشئ الكوخ لكن السكون ساد المكان فجأة بعد أن توقفت تلك الطرقات على باب الكوخ.

تنفس (شاكر) الصعداء وتراجع مستندا على تلك المائدة الموجودة في منتصف الردهة عندما شعر بيد توضع على كتفه من الخلف فتراجع في فزع هائل حتى أنه سقط على أرضية الكوخ وهو يعتقد بأن ذلك الشبح هو من أمسك به من الخلف ولكنه أبصر أخر شخص يتوقع رؤيته في ذلك المكان.

جلس (عبد الصمد) بجانب (ألكسندر) وهو يحدق في ذلك الضباب الكثيف الذي يحيط بالعربة من كل جانب كما بدأت تصل إلى مسامعه هذه الصرخات التي كان قد سمعها داخل المستنقع من قبل فتسلل بعض الخوف لقلبه لكنه تذكر شيئا فنهض من جانب ذلك الأخير وصعد لأعلى العربة حيث أخرج المصابيح من أسفل المقعد لكنه فوجئ بأنها تكاد أن تكون فارغة من الكيروسين لكنه لم ييأس فقام بإفراغ محتويات ثلاثة منها داخل المصباح الرابع فأمتلئ لأكثر من المنتصف بقليل فحمله وهبط به من فوق العربةحيث أخذ يفتش داخل جيوب (ألكسندر) بحثا عن علبة ثقاب حتى عثر عليها فقام بإشعال المصباح فأنار المكان.

وفي تلك اللحظة صدر من (ألكسندر) صوت ينم على إنه قد بدأ يفيق من إغماءته فانحنى (عبد الصمد) نحوه محاولا مساعدته على النهوض عندما شعر بشئ يقف خلفه فألتفت في سرعة وأجفل راجعا للخلف في رعب هائل فلقد أبصر سيدة تحمل رأسها بين كفيها في مشهد رهيب.

تقدمت منه برأسها المقطوع والتي تضعه بين راحتيها وفجأة نظرت له الرأس وابتسمت ثم أطلقت صرخة مفزعة جعلته يدور حول نفسه ويطلق ساقيه للرياح لكنه توقف بعد عدة أمتار عندما تذكر (ألكسندر) الذي كان بدأ يفيق وأحس بأنه

هو المسئول عن حياته وهو بذلك قد تركه فريسة لذلك الشئ المرعب وبلا تردد قفل عائدا مرة ثانية وقد انتصرت شهامته المصرية على رعبه.
كان الشبح يتقدم من (ألكسندر) الذي كان أستعاد وعيه تماما وشاهد ذلك الشبح يتقدم منه بخطى ثابتة فأسرع يرسم الصليب على صدره وهو يستنجد ب(يسوع) عندما انشقت الأرض عن (عبد الصمد) الذي وقف حائلا بينه وبين ذلك الشبح ولقد أستجمع كل شجاعته وهتف بالشبح قائلا بصوت جهوري:
-هيا أرحلي من هنا فنحن لا نخافك.

وأمام عين (ألكسندر) المذهولتين تراجع الشبح في خوف وتحول إلى جسد ضبابي وما لبث إن أختلط بالضباب الخارج من مياه المستنقع.

كان (شاكر) يتوقع أن يكون شبح تلك السيدة هو من يضع يده علي كتفه لكنه فوجئ بالسير (توماس) هو الذي كان يقف خلفه فتنهد في ارتياح وقال له:
-لقد كاد قلبي أن يتوقف من شدة الرعب..تلفت السير (توماس) حوله في خوف قائلا:
-لست وحدك يا (شاكر) لست وحدك من سيموت من شدة الرعب في ذلك المكان الرهيب.
فقال له (شاكر) متسائلا:
-ولكن أين ذهبت عند المستنقع لقد بحثت عنك ولكن بلا جدوى حتى إنني قد أعتقد بأنه قد حدث لك مكروه.
قال السير (توماس) بحيرة:
-لست أدرى حقا ماذا حدث فلقد أحاط بي ضباب كثيف دون سابق إنذار وعندما أنقشع لم أجدك بجانبي فأخذت أبحث عنك دون جدوى حتى اعتقدت بأنك قد انزلقت داخل المستنقع فانطلقت صوب القلعة لأحضر الخدم وبعض المشاعل للبحث عنك ولكنني عندما وصلت للغابة أبصرت رجلا يجلس أسفل إحدى الأشجار وهو يشير لي بالاقتراب منه فظننت إنه أنت ولكنني عندما اقتربت منه وجدته شديد البشاعة بل ليس كائنا حيا بأي حال من الأحوال فأصابني الرعب

وانطلقت على غير هدى حتى أبصرت ذلك الكوخ الخشبي فهرعت إلى هنا واختبأت أسفل المائدة عندما أبصرتك تقتحم المكان فخرجت من مخبئي وحدث ما حدث ولكن ماذا حدث لك أنت الأخر.

قال له (شاكر):

-نفس ما حدث لك ولكنها كانت سيدة وليس رجلا.

هز السير (توماس) رأسه وقال:

-حسنا لنبقى هنا حتى الصباح فلسنا نعلم ماذا ينتظرنا بالخارج.

هز (شاكر) رأسه بالموافقة علي كلام السير (توماس) عندما تحركت المائدة من مكانها وارتفعت في الهواء دون تدخل أحدا منهما وبدون تبادل حرفا واحدا أسرعا بمغادرة الكوخ وانطلقا صوب باب القلعة الذي أصبح على مرمى البصر.

وفي نفس الوقت كان (عبد الصمد) يساعد (ألكسندر) الذي تساند عليه حتى وصلا للعربة فقام (عبد الصمد) بفتح بابها حيث صعد الاثنان ليجلسا داخلها وقد حملا المصباح معهما وأسرعا يغلقان الباب خلفهما بينما تعالت صرخات أخرى خارج العربة ومن خلف نافذتها أبصروا أجساد ضبابية تحيط بالعربة من كل جانب وهم يطلقون صرخات تصم الأذان فأسرع (عبد الصمد) يغلق ستائر العربة ليحجب رؤية تلك الأشياء التي بالخارج فأخذت العربة تتمايل بشدة وكانت هناك ضربات تهوي على أبوابها بشدة فقبض (ألكسندر) على المصباح بقوة في خوف هائل.

وأستمر ذلك الوضع أكثر من ثلاث ساعات كاملة حتى توقف الصراخ والضربات التي تهوى على أبواب العربة فجأة وساد صمت دام فأزاح (عبد الصمد) الستائر بحرص شديد ولكنه أبصر نور الفجر الذي بدأ ينتشر شيئا فشيئا فعرف الآن لماذا ذهبت تلك الأشياء ففتح باب العربة وقفز منها وتبعه (ألكسندر) رغم الدوار الذي يشعر به وأخذ يتلفت حوله في رعب وعندما تأكد تماما من رحيل تلك الأشياء الرهيبة أسرع يحتضن (عبد الصمد) في فرح شديد وهو يهتف قائلا:

-لقد نجونا لننتظر مجئ الحداد لإصلاح العربة.

لكن (عبد الصمد) نظر إليه قائلا:

-هيا لنذهب من هذا المكان الملعون فليحضر الحداد وقتمايشاء ولكني لن أنتظر هنا حتى الصباح.

ولم يعترض (ألكسندر) على قراره بل تبعه على الفور صوب القلعة.

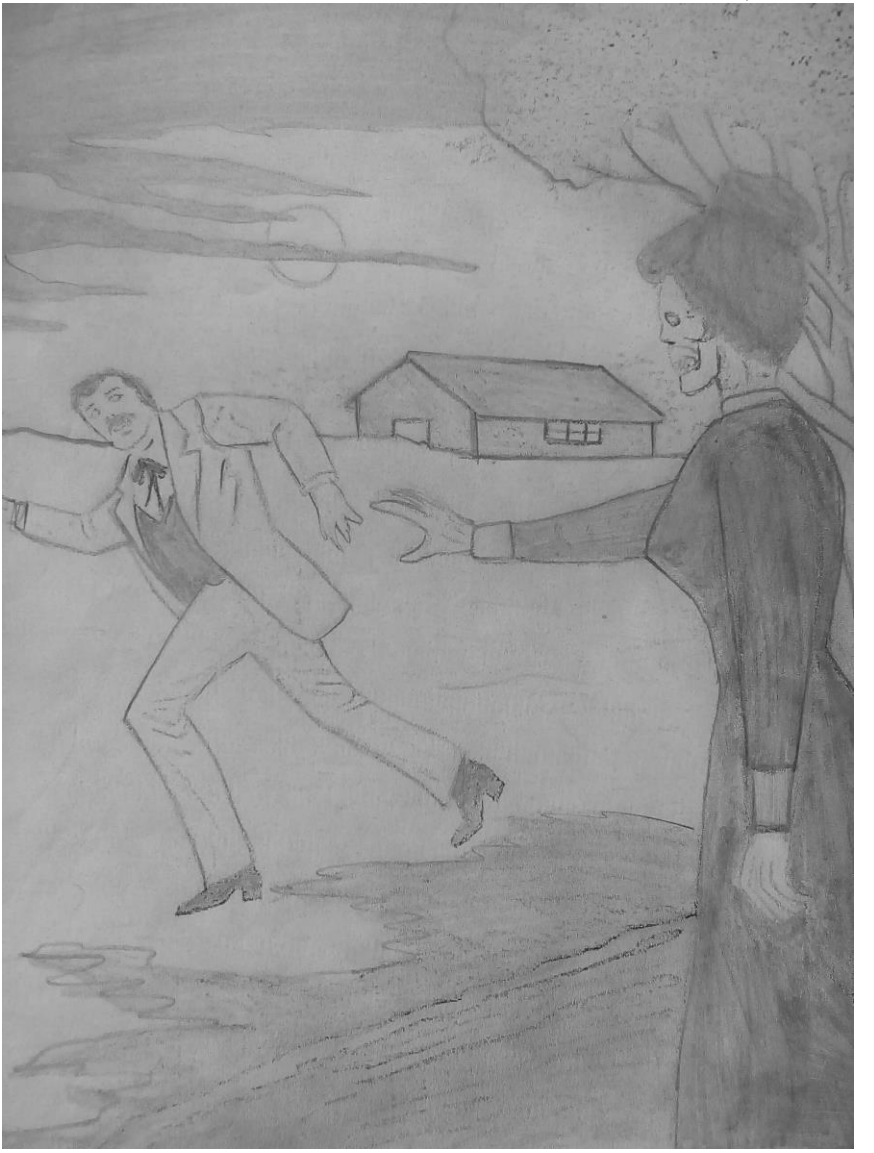

شبح السيدة ينطلق خلف (شاكر)

في عصر اليوم التالي استيقظ (شاكر) من نومه بعد تلك الليلة الرهيبة التي قضاها داخل المستنقع على صوت زوجته وهى تخبره بأن والدها السير (توماس) يريده بحجرة مكتبه في شئ هام فأسرع يغادر فراشه وتوجه لدورة المياه حيث حصل على حماما دافئاداخل المغطس ثم ارتدى حلة نظيفة وهبط لمكتب السير (توماس) الذي كان بانتظاره وما أن رآه حتى هتف قائلا بحماس هائل:

-هناك خبرا سيسعدك وينسيك ما حدث لك بالأمس.

نظر إليه (شاكر) وهم بسؤاله عن ذلك الخبر لكنه تراجع في رعب عندما وقع بصره على تلك اللوحة الزيتية الموجودة خلف مكتب السير (توماس)والتي تمثل سيدة بملابس أرستقراطية ويبدو إنها كانت دوقة أو أميرةوكانت بجوار تلك اللوحة لوحة أخرى تمثل رجل يرتدى ملابس عسكرية ويمسك مقبض سيف.

أشار (شاكر) لتلك اللوحة التي تمثل السيدة وسأل السير (توماس) بصوت مبحوح قائلا:

-من تلك السيدة التي توجد بتلك اللوحة.

نظر السير (توماس للوحة وقال بفخر:

-هذه اللوحة لجدتي الملكة (مرجريت) واللوحة التي بجانبها لزوجها الأمير (روبرت) ولكن لماذا تسأل؟

نظر (شاكر) إليه ثم عاد يحدق في صورة الأميرة في رعب قائلا:

-أن جدتك تلك هى التي ظهر شبحها لي بالأمس داخل المستنقع.

نظر إليه السير (توماس) في ذهول وقال في تردت:

-هل أنت متأكد مما تقول.

هز شاكر رأسه وصاح قائلا:

-أقسم لك بأن شبحها هو من كان يطاردني داخل المستنقعات.

السير (توماس):

-إذن فكل ما يقال عن تلك الجدة حقيقي.

فصاح (شاكر) في لهفة قائلا:

-أريد معرفة تلك القصة.

أخرج السير (توماس) علبة ثقاب من جيب سترته وقام بإشعال غليونه وأخذ منه نفسا عميق ثم نفث دخانه في الهواء في عصبية واضحة ونظر إلى (شاكر) بعض الوقت في صمت ثم ما لبث أن بدا حديثه قائلا:

-تبدأ تلك القصة عندما كان جدي الأكبر الأمير (روبرت) فارسا صنديدا صال وجال في حروب إنجلترا وطنه الأم ضد الأعداء الفرنسيون وحصل على العديد من النياشين من ملك إنجلترا نظرا لشجاعته وتفانيه البالغ.

صمت السير (توماس) قليلا ليلتقط أنفاسه ثم أخذ رشفة من قدح الشاي الخاص به ثم أكمل قائلا:

-ولقد أغدق ملك إنجلترا عليه بالأموال الطائلة بل لقد أعطاه قصرا منيفا داخل لندن كما زوجه بأصغر بناته الأميرة (مرجريت) بعد أن لاحظ بوجود إعجاب وحب متبادل بينهما ولقد عاشا عدة سنوات في سعادة بالغة أنجبا خلالها جدي (هنري) وجدتي (صوفيا).

كانت السعادة تطل من نوافذ القصر لتملئ الوادي بأكمله حتى طالته أيدي الحقد والكره لتعصف بتلك العائلة السعيدة وتدمرها تدميرا.

كان الحقد الذي ملا قلوب إخوة الأميرة (مرجريت) وأزواجهم من حب الملك لأبنته الصغرى وزوجها وإغداقه بالأموال والهدايا عليهم دون حساب.

بدأت المؤامرات والدسائس تحاكى حول جدي الأكبر (روبرت)حتى أنهم قد اقنعوا الملك بأن جدي قد اشترك في مؤامرة لاغتياله لاعتلاء العرش بدلا منه بصفته زوج أبنته.

كانت المؤامرة محكمه بدرجه هائلة وجن جنون الملك وأمر بإعدام جدي (روبرت) على الفور ولم يشفع لجدي تاريخه المليء بالبطولات أو حتى شفع له بكاء أبنته وأحفاده أو محاولة المقربون من الملك الذين يعلمون ببراءة جدي (روبرت) وبعد عدة أسابيع قضاها جدي في السجن وفي أحد أيام الشتاء الباردة تم تنفيذ حكم الإعدام في جدي بلا ذنب جناه سوى إخلاصه للملك وحقد أصهاره عليه.

جن جنون جدتي (مرجريت) بعد إعدام جدي وأخذت تهيم داخل القصر ليلا تبحث عن زوجها الحبيب وقد أصابها الجنون مما جعل والدها الملك يحضر لها أمهر الأطباء لعلاجها من نوبات الجنون التي إصابتها.

وبعد عدة أشهر تماثلت جدتي للشفاء وفي نفس الوقت علم الملك بأمر المؤامرة التي حاكها بناته الأخريات بمساعدة أزواجهم وتسببوا بإعدام زوج أبنته ظلما فأصابه الحزن على فعله وقام بنفي أزواج أبنتاه إلى جزيرة إنجليزية وحاول بشتى الطرق إرضاء أبنته (مرجريت)ولكن بلا جدوى.

ولقد قامت تلك الأخيرة ببيع قصرها في لندن وقامت ببناء تلك القلعة الضخمة في هذه المنطقة الموحشة المحاطة بمياه المستنقعات المرعبة.

ولقد حاول الملك إثناء أبنته عن ذلك الأمر لكن بلا جدوى فلقد خاف أن يصيبها حالة جنون ثانية وتقتل نفسها أو أولادها لذلك أخذهم ليعيشوا معه خوفا عليهم منها وتركها تفعل ما تشاء.

كانت جدتي (مرجريت) صعبة المراس ولقد كانت تعد لشئ شيطاني رهيب للانتقام ممن تسببوا في مقتل زوجها الحبيب.

فلقد كانت لجدتي خادمة تدعى (مارشيكا) من مجاهل إفريقيا وكانت تعبد ألهة وثنية غريبة وتقوم بأفعال رهيبة ولقد استطاعت تلك الخادمة اللعينة إقناع جدتي بأن تتبعها وتمارس أشياء رهيبة من أجل استحضار روح زوجها (روبرت) وأيضا للانتقام من إخوتها وأزواجهم الذين تسببوا في أعدامه.

كانت جدتي تقوم بإحضار فتيات من المدن المجاورة بدعوى العمل داخل القصر ثم تقوم هى والخادمة بقتلهم وفصل رؤوسهم عن أجسادهم ثم تقومان بحفر كلمات شيطانية على أجسادهم بواسطة خنجر غريب الشكل قالوا أن الشيطان نفسه هو من أعطاهم إياه بعد أن تنازلت عن روحها له بعد موتها بالمقابل وكانت تستحضر روح جدي بهذه الطريقة اللعينة بل لقد أقسم بعض الخدم بأنهم كانوا يشاهدون جدي يجوب القصر في الليل وإنه كان ينهي جولته بالولوج إلى حجرة سيدتهم بل لقد أكد بعد الخدم بأنهم قد سمعوا صوت معاشرة سيدتهم داخل حجرتها وهذا ما أكدته مذكرات جدتي التي عثر عليها مخباءة بعد موتها التي كانت تقول فيها بأنها بعد أن تقوم بقتل فتاة وتقوم بعمل الطقوس الخاصة بمساعدة خادمتها المخلصة (مارشيكا) تحضر روح حبيبها (روبرت) وتتجسد لها في هيئه بشرية من لحم ودم ويمكث معها أسبوعا كاملا ولكن ليلا فقط وتعاشره معاشرة الأزواج الإحياء.

وعندما ينتهي الأسبوع تصبح مطالبة بإحياء الطقوس مرة ثانية وقتل فتاة بريئة أخري لتعود الروح مرة ثانية ثم تتخلص من جثث الفتيات بعد ذلك بالقاءها داخل مياه المستنقع الذي يحيط بالقلعة.

قاطعه (شاكر) وهو يصيح في حنق

كيف تصدق هذا الخزعبلات يا سير (توماس) وأنت رجل مثقف ولقد اعتنقت الدين الإسلامي وتعلم تمام العلم بأن الله وحده هو من يقبض الأرواح وهو من يعيدها للحياة ولا يوجد إنسان على وجه البسيطة يستطيع إعادة الموتى للحياة وأعتقد أن ذلك الأمر موجود أيضا في الإنجيل والتوراة..

نظر إليه السير (توماس) قليلا ثم وضع رأسه بين راحته وقال في حزن:

-وهذا ما اكتشفته جدتي ولكن كان ذلك متأخرا فلقد اكتشفت مع مرور الوقت أن تلك الروح التي تعاشرها معاشرة الأزواج ما هي إلا الشيطان نفسه وقد تجسد في هيئه زوجها الراحل لتقدم له المزيد والمزيد من القرابين البشرية.

فغر (شاكر) فاه في ذهول وهو يتساءل هل من الممكن أن يبيع شخصا ما روحه للشيطان بهذه الطريقة بل ويعاشره معاشرة الأزواج.

أخذ السير (توماس) نفسا عميقا من غليونه ثم أكمل قائلا:

-اكتشفت جدتي هذا الأمر المرعب بعد أن قتلت عشرات الفتيات وبدأ أهالي الفتيات بالسؤال عنهم فكانت تخبرهم أنها قد بعثت بهم إلي قصرها بلندن للعمل به وكانت تقوم بإعطائهم الكثير من المال لتسكتهم ولكن احدي الخادمات اكتشفت بالمصادفة ما يحدث داخل القصر من أشياء رهيبة فأسرعت بالهرب من القصر وقامت بإبلاغ أهالي القرية المجاورة للقلعة عما حدث لبناتهم فجن جنونهم وقاموا بثورة عارمة وهاجموا القلعة وقبضوا على جدتي (مرجريت) وخادمتها الملعونة وقاموا بقتلهم واقتلاع عيونهم وقطع ألسنتهم وإلقاء جثثهم داخل مياه المستنقع مثلما كانوا يفعلون بالفتيات وجن جنون الملك عندما علم بمقتل أبنته (مرجريت) وأمر بإعدام جميع رجال القرية الذين اشتركوا في الثورة ضد الأميرة ولقد حاول العثور علي جثة أبنته داخل المستنقع لكن بلا جدوى مع إنهم قد عثروا على جثث العديد من الفتيات الذين قتلتهم الأميرة فلقد استمر البحث عن جسدها عام كامل

حتى يأس الجميع بما فيهم الملك نفسه من العثور على جسدها وكأن المستنقع قرر الاحتفاظ بجثتها هي والخادمة الملعونة داخله للأبد.

هز(شاكر) رأسه وابتسم في سخرية لم يلاحظها السير (توماس).

كان مبعث سخرية (شاكر) هو موقف الملك من الحادث فلقد أعدم جميع الرجال الذين انتقموا من الأميرة لمقتل أبناءهم والتمثيل بجثثهم وكأن لزاما عليهم أن يقتل أبناءهم ولا يتفوهون بكلمة واحدة لأن من قتلهم من علياءالقوم مثلما فعل الإنجليز تماما في بلاده وقاموا بقتل أهالي (دنشواي) دون شيئا فعلوه سوىلكونهم دافعوا عن أنفسهم ضد اعتداءبعض الضباط القتلة.

أكمل السير (توماس) حديثه قائلا دون أن يلتفت لتعليق (شاكر) على قصته:

-ومنذ ذلك اليوم بدأت الأقاويل بمشاهدة أشباح داخل المستنقع وسماع تلك الصرخات الرهيبة التي كنت تسمعها عند عبورك للمستنقعات لذلك كان جميع الخدم يرفضون العمل داخل القلعة لذلك أحضرنا خدم من مدن بعيدة لا يعلمون شيئا عن تلك الأحداث..

قال (شاكر):

-لذلك منعتني من الحديث عما شاهدته داخل المستنقع أمام الخدم حتى لا يصابون بالرعب ويفرون من القصر ولكن ماذا أخبرتهم عن تلك الصرخات الرهيبة التي تنطلق في الليل خارج أسوار القلعة.

أجابه السير (توماس):

-أنهم يعتقدون أن هناك سيدة مجنونة تجوب المستنقعات من القرية المجاورة وارجوا منك عدم إخبار أبنتي (صوفيا) بما حدثتك به فهي لا تعلم شيئا عن تلك القصة الرهيبة بتاتا.

ابتسم (شاكر)في سخرية واضحة وهو يجيبه:

-بالطبع فلن أتفوه بتلك الترهات أمامها وحتى لا أصيبها بالرعب فسوف تمكث هي والأولاد داخل القلعة عدة أشهر على الأقل ولكن هناك شئ أريد سؤالك عنه ما هي قصة ذلك الكوخ الذي وجدناه وما تلك الأشياء الرهيبة التي كانت موجودة ومرسومة داخله.

أجابه السير (توماس)في حيرة واضحة:

-لست أعرف شيئا عنه فأنا أراه لأول مرة ولكنني أعتقد بأنه كان المكان التي كانت تقوم جدتي وخادمتها (مارشيكا) بإقامة الطقوس الرهيبة داخله بعيدا عن أعين خدم القلعة ولكنني قررت هدمه وإزالته من فوق سطح الأرض نهائيا.
هز (شاكر) رأسه موافقا على كلام السير (توماس) وهم بالنهوض من فوق مقعده لكنه تذكر شيئا ما فقال في تساءل:
-ولكن ما هى تلك المفاجئة التي وعدتني بها.
أسرع السير (توماس) يلتقط جريدة إنجليزية من فوق مكتبه وفضها أمام بصر(شاكر) وهو يشير إلي خبر في أسفل الصفحة الأولى قائلا:
-أنظر لذلك الخبر.
أخذ (شاكر) يطالع الخبر الذي أشار إليه السير (توماس) في أسفل الصفحة
كان الخبر يشير إلى وجود مزاد كبير لأحد القصور الضخمة التي مات صاحبها في ظروف غامضة وليس له ورثة لأنهم قد ماتوا في ظروف غامضة منذ عدة أشهر ولم يعثر لها المحققين على أي تفسير حتى كتابة ذلك المقالفلقد وجدت جثثهم ملتوية بشكل رهيب لا يستطيع إنسان فعل ذلك مهما كانت قوته ، كما خلت أجسادهم تمام من الدماء بشكل غريب وقد وجدت أثار نابين غائرين فوق أعناقهم كما يحدث في روايات الكاتب الشاب (برام ستوكر) الذي يتحدث عن (دراكولا) مصاص الدماء الذي يقوم بامتصاص دماء ضحاياه بلا رحمة في أغلب رواياته.
بعد أن انتهى (شاكر) من قراءته للخبر رفع رأسه وقال
ولكن ما الذي يخصني من هذا الخبر الغريب -
ابتسم السير (توماس) وهو يقول:
-ألم يلفت انتباهك شيئا ما في هذا الخبر .
هز (شاكر) رأسه في بالنفي دون أن يجيب
أبتسم السير (توماس) وقال: لقد اعتقدت إن موضوع المزاد قد لفت انتباهك يا رجل.
عاد (شاكر) يتطلع إلى الخبر مرة أخري حتى وقع عيناه على كلمة المزاد
فرفع عيناه مرة ثانية إلى السير (توماس) الذي أكمل قائلا:

-انى اعلم تمام العلم عشقك لاقتناء الأشياء القديمة والغريبة كبير جدا ولقد كان السير (كليف) صاحب ذلك المزاد يقتني عددا هائلا من التحف واللوحات النادرة والقيمة أيضا وبعد غد سيقام ذلك المزاد في مدينة (مانشستر) التي تبعد عن (ويلز)بحوالي عشر ساعات.

صاح(شاكر) في لهفه:

-ومتى سأغادر؟ أجابه (توماس) قائلا:

-ستغادر غدا في السابعة مساءا حيث ستصل إلى مدينة (مانشستر) في الصباح الباكر فأن الحوذي يعرف المكان حيث جيداحيث كان يصطحبني إلى هناك حيث كنت أذهب لزيارة السير (كليف)فلقد كان من أعز أصدقائي.

قال (شاكر)

حسنا سوف اصطحب خادمي أيضا .

السير(توماس) حسنا أعتقد أنك سوف تقتنى هذه المرة شيئا فريدا من نوعه .

أبتسم (شاكر) وأخذ يتمنى أن يتحقق كلام السير (توماس) والد زوجته ويقتنى شئ فريدا بحق تلك المرة.

ولكنه لم يكن يعلم أن تلك الأمنية سوف تتحقق وستحيل حياته إلى جحيم خالص جحيم ملكة الشياطين زوجة (لوسيفر) وعصاها الرهيبة ويا ليته لم يتمنى فلقد تحققت أمنيته تلك الأمنية التي ستدمر حياته تماما.

الأميرة (مرجريت) وخادمتها (مارشيكا)

المزاد.

تسللت رائحة نسمات الفجر إلى أنف (شاكر) ففتح عيناه في تكاسل وفرد ذراعيه على أتساعهم وأزاح ستائر العربة وأطل من نافذتها ليشاهد خيوط الفجر الأولى وهى تبدأ في الانتشار في صفحة السماء في مشهد رائع بحق ، لتبدأ رحلة هبوطها من أعالي الأشجار لتغمر المروج مع والحقول..

رفع (شاكر) رأسه وصاح مناديا (ألكسندر) وسأله عن الوقت المتبقي للوصول إلى مكان المزاد.

فأخبره ذلك الأخيربأنهم على أعتاب مدينة (مانشستر) وإمامهم حوالي الساعة قبل أن يصلوا للمكان الذي سيقام فيه المزاد.

هز(شاكر) رأسه متفهما وأدخل رأسه من النافذة وأراح جسده فوق المقعد فلقد كان كل عظمة من عظامه تؤلمه بشدة من النوم الذي استغرق فيه بالليل بأكمله صحيح إن مقاعد العربة وثيرة وفاخرة ومريحة بدرجة كبيرة أيضا ولكنه لم يأخذ راحته في النوم كما ينام في الفراش فاهتزاز العربة أثناء انطلاقها وحده يكفيلعدم الراحة.

فعاد يغلق عيناه مرة ثانية وما لبث إن راح في غفوة قصيرة استيقظ منها على صوت (عبد الصمد) وهو يوقظه ففتح عيناه في بضئ وتكاسل كانت العربة قد توقفت وفتح ذلك الأخير بابها وأخذ ينادي (شاكر) الذي أستيقظ دفعة واحدة عند سماعة (عبد الصمد) الذي يقول:

-لقد وصلنا يا سيدي لمكان المزاد.

ثم أفسح له ذلك الأخير الطريق فأبصر (شاكر) ذلك القصر الذي يقام به المزاد.

فتعجب من وصولهم إلى القصر بهذه السرعة فلقد أخبره سائق العربة بأنه باقي حوالي ساعة على الوصول لمكان المزاد لكن نظرة واحدة لسطوع الشمس الشديد عرف بأنه قد غلبه النوم مرة أخرى فهبط من العربة في ضيق شديد فلقد فاته مشاهدة الطريق فلقد أخبره السير (توماس) بأن هذا الطريق الواقع بين مدينة (ويلز) و مدينة (مانشستر) من أجمل الطرق في (إنجلترا) حيث تنتشر المساحات الخضراء الشاسعة على امتداد البصر لتسر الناظرين.

أسرع (شاكر) يهبط من العربة حيث عدل من هندامه ووضع طربوشه الأحمر فوق رأسه بعناية ثم إتجه نحو باب القصر في شموخ وعظمة فهكذا علمه والده رحمه الله فلقد أخبره بأنه يجب عليه أن يتعامل مع هؤلاء المحتلين بتكبر شديد فذلك الأسلوب يجعله مهاب من جانبهم فهو يملك المال واللقب والسلطة أيضا بعد أن صاهرهم وتزوج ابنة أحد ضباطهم الكبار وكان هذا أحد الأسباب التي جعلت والده يوافق على زواجه من (صوفيا).

خطا (شاكر) داخل بهو القصر وهو يتذكر تلك الكلمات ثم توقف مشدوها من روعة المقتنيات الموجودة داخل البهو الواسع فلقد كان هناك عشرات التماثيل وعدد كبيرا من اللوحات الزيتية القيمة ومقاعد مذهبة عمرها يتجاوز النصف قرن.

كما شاهد(شاكر) تمثال لأحد الملوك الفراعنة ويبدو أن صاحب هذا القصر قد حصل عليه بطريقة ما فلقد دأب الإنجليز على التنقيب عن أثار بلاده وسرقتها والعودة بها لبلادهم والاحتفاظ بها أو بيعها في دول أوربا لذلك فلقد قرر الحصول على ذلك التمثال بأي ثمن كان .وسوف يعود به إلى وطنه الأصلي مصر.

ساعة كاملة قضاها(شاكر) في تفقد القصر وما يحويه من تحف نادرة وإذابصوت رئيس المزاد يرتفع معلنا عن بدء المزاد ويطالب الحاضرين بالتوجه للقاعة الرئيسية حيث يقام المزاد فتوجه (شاكر) من فوره إلى قاعة المزاد حيث جلس فوق أحد المقاعد المخصصة للحاضرين وما لبث أن بدأ المزاد ببيع فراش مصنوع من الذهب الخالص كان الفراش تحفة فنية بحق ورغم كونه من الذهب لكن قيمته التاريخية كانت أكثر قيمة بكثير.....

فلقد أعطاه إياه أحد الملوك كهدية لكن (شاكر) رغم إعجابه به لم يحاول التدخل في المزاد لشراء ذلك الفراش الذهبي فلقد كان لا يحب شراء التحف الضخمة كهذا الفراش بل كان يعشق التحف الصغيرة خفيفة الحجم حيث يسهل حملها ، وكما يسهل وضعها فوق أماكن جميلة يبصرها الجميع كوضعها فوق المدفاءة أو في حجرة مكتبه. و بدأت التحف المختلفة تستعرض في المزاد ولكنها كانت جميعها أشياء كبيرة الحجم لا تلفت نظره إليها رغم روعتها حتى جاء الدور على التمثال الفرعوني وبدأت المزايدة عليه وبدأ التنافس للحصول عليه، وعندها بدأ (شاكر)

في الدخول للمزايدة هو أيضا حتى استطاع الحصول عليه في النهاية بعد أن دفع فيه مبلغا طائلا.
كانت نظرات الحقد والحسد تنطلق من أعين جميع الحاضرين بلا استثناء فكيف لرجل مصريأقل منهم شأنا فبلادهم تحتل بلاده يستطيع الدخول في منافسة معهم بل ويتغلب عليهم جميعا ويستطيع الحصول على ذلك التمثال تحت أسماعهم وأبصارهم أيضا فتعجب(شاكر) في قرارة نفسه من تلك النظرات الحاقدة الموجهة إليه.. أن هذا التمثال خاص بمصر والمصريين وليس من المفترض وجوده في تلك البلاد الأجنبية من الأساس فيتلك اللحظة كان أحد الحاضرين يهمس داخلاًذن الجالس بجواره وهو يحدج (شاكر) بنظرة حاقدة قائلا:
- من أين جاء ذلك المصري اللعين.
أجابه الذي يتحدث إليه في همس هو الأخر قائلا: إنهم يقولون أن ذلك المصري هو ذلك الرجل الذي تزوج الليدي(صوفيا) ابنة السير (توماس) التي كنت تريد الزواج منها في الماضي. نظر الرجل إلى(شاكر) في حقد هائل وهتف قائلا: أتقصد أن ذلك الفلاح المصري قد حصل على (صوفيا) والتمثال الذي كنت أريد الحصول عليه ولكن من أين له كل تلك الأموال.
أجابه محدثه قائلا:
- يقول البعض أنه قد ورث إقطاعيات كثيرة من والده ونقود بلا حصر أيضا ولا تنسى أن الجنيه المصري يعادل أكثر من خمسة جنيهات إنجليزية دفعة واحدة يا رجل.
تمتم الرجل بكلمات ساخطة وفي تلك الإثناء كان (شاكر) استطاع شراء عدد من الأحجار الكريمة النادرة أيضا بخلاف التمثال الفرعوني وهو لا يعلم ما يقال عنه بينما ذادت نظرات الحقد والكره نحوه من جميع الحاضرين.
كان قد مر أكثر من ثلاث ساعات كاملة على بداية ذلك المزاد وكان (شاكر) قد أختنق من الجلوس كما أن التحف قد بدأت في النفاذ وقد اعتراه صداع شديد فعقد العزم على الرحيلوعندما هم بالنهوض أبصر تلك التحفة الفنية شديدة الروعة ففغر فاه من روعتها وجمالها وشدة إتقانها كانت عصا مصنوعة من خشب الأبنوس الأسود المصقول المطعم بأحجار كريمة حمراء اللون .

لم يكن مبعث جمال العصاهو خشب الأبنوس المصنوعة منه أو تلك الأحجار الكريمة والعقيق الذي يزين العصا بل كان مبعث جمالها هو ذلك النحت الذهبي الموجود أعلى العصا والذي كان يمثل شيطانة مجنحة بأقدام أسد ويخرج ذيل من مؤخرتها يلتف حول العصا في شكل بديع بينما كان مقبض العصا عبارة عن قرنان يخرجان من أعلى رأس التمثال نفسه ويلتفان للخلف مكونامقبض العصا في شكل بديع رائع الجمال والتصميم.

لقد كانت تحفة فنية رائعة الجمال بحق رغم أنها تمثل شيطانة بذيلها وقرنيها ونظرات عيناها التيصممها صانعها وجعلها تبدو للمشاهد وكأنها تلاحقه بنظراتها باستمرار.

انبهر بها (شاكر) على الفور وقد قرر الحصول عليها بأي ثمن كان. أخذ رئيس المزاد يلوح بالعصا وصاح قائلا: لنبدأ المزاد على عصا الشيطانة (ليليث) إنها مصنوعة من خشب الأبنوس الأسود المطعمة بالأحجار الكريمة الحمراء بينما صنع تمثالها من الذهب الخالص وسوف يبدأ المزاد عليها بمائة من الجنيهات من الذي سوف يبدأ المزاد. ارتفع صوت رجل وقور من بين الحضور قائلا:

- مائة وجنية واحد . نظر (شاكر) إلى الرجل الذي يريد شراء تلك العصا ليجده قس بملابس القساوسةمتوسط الطول حليق الرأس شديد البدانة هو من يريد الحصول عليها فتعجب من ذلك الأمر لكنه صاح قائلا

-مائة وعشرون جنيها..هتف القس قائلا:

- وثلاثون جنيها.

فهتف (شاكر) بدوره:

-مائة وخمسون جنيها.

قال القس

- مائة وسبعون جنيها.

صاح(شاكر) وقد عزم على الحصول على تلك العصا بأي ثمن كان.

- مائتين من الجنيهات.

قال القس في رجاء:

- أرجوك لا تقوم بشراء تلك العصا فأنت لا تدري شيئا عنها.

قال له(شاكر) في تصميم واضح :

- لن يحصل عليها غيري أيها القس ثم ما الذي يجعل قس فاضل مثلك يريد شراء نحتت هيئة شيطانة عارية.

هم القس بقول شئ لكنه توقف بغتة وصاح متحدثا للبائع قائلا قبل أن ينتهي المزاد بحصول(شاكر) على العصا:

-مائتين وخمسون جنيها.

أخذ (شاكر) ينظر للقس في تحدي شديد ثم صاح بأعلى صوته قائلا:

- خمسمائة جنيها.

بهت جميع الحاضرين واتسعت عيونه جميع الحاضرين ذهولا من ضخامة المبلغ الذي عرضه (شاكر) ثمنا للعصا وبالطبع فالجميع يعلمبأن القس لن يستطيع أن يزيد على ذلك السعر الذي نطق به (شاكر) شلنا إنجليزيا واحدا وبالفعل خفض القس رأسه في يأس وهو يقولل(شاكر):

- سيدي تلك العصا ملعونة وسوف تدمر كل من تحب ثم ستدمرك في نهاية المطاف .

نظر إليه (شاكر) في سخرية وقال له:

- لذلك كنت تريد الحصول عليها أليس كذلك.

هتف القس قائلا:

- لقد كنت أريد تدميرها فقط ، أنها عصا شيطانية تدمر كل من يمتلكها على مر العصور ولقد قامت الشيطانة (ليليث) ملكة الجحيم بنحتها بأصابعها من رماد الجحيم.

لم يهتم(شاكر)لكلام القس لكنه اكتفى بابتسامة ساخرة وتقدم ليحصل على العصا من البائع ولكن دون مقدمات أسرع القس يخرج من طيات ثيابه الكهنوتية خنجرا حادا وشهره في وجه البائع:

- لن يحصل غيري على تلك العصا اللعينة أبدا.

تراجع الجميع في ذهول بالغ مما أقدمالقس على فعلهلكن أحد الحاضرين هتف قائلا:

- تراجع أيها الأب (ويكيلي) ولا تحاول أن تقدم على أي فعل أحمق.

نظر القس إلى محدثه وهتف قائلا في ضراعة:

- يجب تدمير تلك العصا الملعونة أيها المفتش (واطسون) فالجميع يعلم تاريخها الملعون ولكن ذلك الأحمق لا يعلم شيئا عن لعنتها.

قال الرجل الذي لم يكن سوى مفتش شرطة المدينة:

- إن ذلك الأمر لا يهمنى أيها الأب راعي الكنيسة فلقد حصل عليها الرجل بكامل إرادته ونحن غير مسئولين عنه ثم إنه مصري وسوف يأخذها هى ولعنتها معه لبلاده.

هتف القس قائلا:

- ولكن من واجبي المقدس ككاهن لكنيسة (يسوع) محاربة الشر أينما وجد.

كان المفتش (واطسون)يتحدث مع القس وهو يمد يده ببطئ نحو يد القس الممسكةبالخنجر وفجأة قبض على يده التي تحمل الخنجر محاولا أن ينتزعه منه بالقوة وهو يقول في صرامة:

-لا تقدم على فعل طائشأيها الأب (ويكيلي) تندم عليه بشدة فيما بعد وأعطني ذلك الخنجر حتى لا يصاب أحد من الحاضرين بأذى.

كان المفتش (واطسون) متأكد تماما من عدم إقدام القسعلى استخدام الخنجر فهو يعلم تماما كما يعلم الجميع طيبة قلبه وعدم لجوئه للعنف لذلك فلقد ذهل عندما وجد القس يتراجع خطوه للوراء ثم يهوى بنصل الخنجر فوق كفه التي يحاول الإمساك بهبمقبض الخنجر ليدميه بشدة فتسيل منه الدماء بغزارة لكن القس لم يكنيبالي بما فعله وأسرع يختطف العصا من يد البائع ويهوى بها علي أرضية البهو بكل ما يملك من قوة .

كان الجميع يتوقع أن تتحطم العصا تماما عند ارتطامها بأرضية البهو لكنهم فوجئوا لدهشتهم البالغة بصوت رنين هائل يصم الأذان من أثر ارتطامها بالأرض بينما لم تصاب العصابخدش واحد.

ورغم ذهول القس لكنه رفعها مرة ثانية محاولا تحطيمها.

لكن المفتش (واطسون) أسرعيصوب مسدسه نحو القس وأطلق النيران.

فأصابت الطلقة معصم القس الممسكة بالعصا فتركها تسقط أرضا رغما عنه وهو يمسك بمعصمه في ألم والدماء تتناثر منهوأطلق صرخة مدوية. لم يبالي

(شاكر)بكل تلك الأحداث ولكنه قفز يلتقط العصا من أسفل أقدام القس والذي سقط يتلوى وقد أمسك معصمه في ألم هائل.
وفي تلك اللحظة اقتحم القاعة جنديان أثر سماعهم أصوات الطلقة النارية فأبصروا رئيسهم يمسك بمعصمه الذي ينزف بشدة هو وقس الكنيسة أيضا فتجمدوا في أماكنهم لا يدرون ما الذي يدور بالمكان لكن المفتش (واطسون) صرخ بهم قائلا وهو يشير للقس:
-اقبضوا على ذلك القس وأودعوه غرفة الحبس الانفرادي حتى يتم التحقيق معه ، ولا أريده أن يتحدث مع أي مخلوق حتى ذلك الحين .
في تلك اللحظة تقدم شخص من الحاضرين قائلا للمفتش وهو يشير لكفه المصابة:
- ارني كفك المصاب أيها المفتش.
مد المفتش يده المصابة إلى الرجل وهو يقول:
- شكرا أيها الطبيب. ابتسم الرجل الذي لم يكن سوى طبيب البلدة وأخذ يتفحص كف المفتش المصاب بخبرة واضحة ثم اخرج منديل ناصع البياض من جيب سترته وأسرع يضمد معصم المفتش المصابة بإحكام ليمنع الدماء من التدفق ثم ابتسم قائلا:
- لا تقلق سيدي المفتش انه مجرد جرح سطحي ولقد أوقفت النزيف ولكن يجب أن تأتي معي لعيادتي الخاصة لقطب الجرح على الفور حتى لا تصاب بالتلوث
فشكره المفتش وأخبره بأنه سيذهب معه بعد انتهاء المزاد الذي يشرف على نهايته وبالفعل عاد ليكمل أحداث المزاد ، وبعد انتهائه في منتصف النهار تقريبا حمل (شاكر) تلك الأشياء التي قام بشرائها من المزاد واتجه للعربة التي حضروا بها ووضعها فوق مقعدها المواجه له وأسرع يغلق باب العربة عليه وأخذ يتأمل ما قام بشرائه من المزاد في سعادة بالغة ، ثم أمسك بالعصا في شغف واضح وأخذ يقلبها بين كفيه في شغف واضح وأخذ يهني نفسه بالحصول عليها فلقد كان مبهورا بجمالها الأخاذ.
- أعتقد بأن عصا (ليليث) قد خلبت لبك بشدة أيها المصري.

التفت (شاكر)في ينظر للمتحدث في دهشة عارمة لأنه لم يشعر بباب العربة وهو يفتح لكنه أبصر مفتش الشرطة الذي نطق بتلك العبارة وكان يقف بجانبه ذلك الطبيب.

لاحظ (شاكر) بأن الاثنان يحدقان في العصا بشكل غريب هو خليط بين الاحترام والتبجيل وشيئا من الخوف أيضا فهبط (شاكر) من العربة ووقف أمامهم وقد أغلق باب العربة بظهره ليمنعهم من النظر للعصا بذلك الشكل الغريب وقال موجها حديثة للمفتش:

- اعتذر عما حدث بالداخل وارجوا ألا أكون من تسبب بتلك الأحداث المؤسفة.

ابتسم المفتش ابتسامة عجيبة كشفت عن صف من الأسنان المدببة وقال: - أنت لست السبب في شئ يا رجل ولست أدري حقا ماذا أصاب الأب (ويكيلي) فهو قس الكنيسة بالمدينة منذ عدة أعوام والجميع يعلم بأنه دمس الأخلاق ولم يؤذى أي كائن حي حتى الهرر التي تملأ كنيسته دائما يقوم هو بإطعامها شخصيا.

قال (شاكر) متعجبا:

- ولكن ما الذي أصابه ودفعه لمحاولة تحطيم العصا.

هز الطبيب رأسه في حيرة وقال:

- حقا إنني لا أعلم ما الذي أصابه ولكنني سأصطحب الطبيب معي للمخفر لنتحدث معه سويا لعلنا نعرف منه ما دفعه إلى فعل ذلك الأمر العجيب.

تذكر(شاكر) كلام القس عن لعنة العصافسأل مفتش الشرطة قائلا:

-ولكن ما تلك اللعنة التي تحدث عنها ذلك القس بخصوص تلك العصا ولماذا وصفها ذلك بأنها ملعونة.

ابتسم مفتش الشرطة ابتسامة غامضة قائلا:

-على ما يبدو أن حديث الأب (ويكيلي) عن العصا قد آثر فيك بشدة إنها مجرد عصا قد صاغتها يد فنان بارع وهى تحفة فنية رائعة الجمال كما ترى ويبدو أن القس قد أراد بث الرعب داخل قلبك لتصرف نظرك عن شراءها فيستطيع هو الحصول عليها لنفسه ويبدو أن كلامه قد نجح بإخافتك بعض الشئ.

قال (شاكر) بحزم:

-إنني لا أخاف من شئ سوا الخالق.

المفتش:

-كلانا ذلك الرجل.

قال (شاكر) في تساءل:

-ولكن ماذا يعنى أسم (ليليث) هذا ولماذا يطلق على العصا أسم عصا (ليليث)؟

كان هذا الأخير يتوقع بأن يجيبه المفتش عن سؤاله ولكنه فوجي به يبتعد سريعامتعللا بوجود ألام حادة داخل كفه المصاب وأسرع بالرحيل هو وذلك الطبيب تاركين إياه في حيرة بالغة من أمره.

فنظر لسائق العربة وهو يصعد لداخل العربة وأمره بالمغادرة قبل حلول الليل ثم جلس بداخل العربة وقامبإغلاق بابها خلفه وبدأ يشعر بتحرك العربة ثم ما لبث أن زادتمن سرعتها بعد انطلاق الخيل.

أخذ (شاكر) يحدق للعصا في وجوم شديد وأخذ يتساءل في تعجب لماذا تهرب رئيس الشرطة من أجابته سؤاله عن معنى أسم (ليليث) ثم كيف يريد قس الحصول على العصا بأي ثمنا كان وفي نفس الوقت يحاول تحطيمها تماما ، كيف لم يحاول أحدا من الحاضرين بالمزاد التنافس معه هو والقس للحصول على تلك التحفة الفنية الرائعة.

عاد (شاكر) مرة ثانية يتأمل العصا في افتنان وشغف هائل هناك شيئا خاصا يجذبه بشدة إليها ولكنه تراجع في حركة حادة للخلف فلقد شعر بأن عيناها تتطلع إليه وتبتسم.

كان الليل قد أسدل ستائره و(شاكر) ما زال يتطلع إلى العصا في شرود ولم يحس بهبوط الليل إلا عندما رأى رأس (ألكسندر)يتدلى من أعلي العربة وينظر عبر النافذة وهو يصيح قائلا:

- سيدي هناك خمسة فرسان يتشحون بالسواد من رأسهم حتى أغمض أقدامهم ويبدو أنهم لصوص يلاحقون العربة منذ نصف الساعة تقريبا وقد اقتربوا منا بشدة لذلك فيجب عليك بأخذ الحذر يا سيدي الباشا.

هز (شاكر) رأسه وأسرع يخرج غدارته من الجيب الداخلي لحلته تحسبا لوقوع أي هجوم علي العربة بينما أشار (ألكسندر) لمسند المقعد الذي يستند عليه (شاكر) قائلا:

-سيدي هناك مكانا خفيا خلف مسند ذلك المقعد الذي تجلس عليه تستطيع إخفاء الأشياء التي أحضرتها من المزاد وأموالك داخلها ، فقط أجذب مسند المقعد للخلف فسينكشف المخبأ على الفور.

أسرع (شاكر) يجذب مسند المقعد الذي يجلس فوقه فوجد تجويف صغير خلفه فأسرع يضع العصا والتمثال الفرعوني وباقي الأشياء التي أشتراها من المزاد داخله ثم أخرج حافظته التي تمتلئ بالأموال ليضعها بجانب باقي الأشياء ثم أعاد مسند المقعد إلى مكانه.

بينما عاد سائق العربة يرفع برأسه في حركة حادة وسمع (شاكر) صوت حوافر جياد تقترب من العربة في سرعة ثم سمع أحد الأشخاص يتحدث إلي السائق ويأمره بالتوقف بالعربة على الفور وإلا أطلق عليه نيران غدارته.

لاحظ (شاكر) بأن سرعة العربة بدأت تنخفض شيئا فشيئا حتى توقفت تماما وسمع صوت نفس الرجل يقول للآخرين بلغة فرنسية:

-أحصلوا على العصا بأي ثمن ثم اقتلوا الجميع دون استثناء وبعد ذلك قوموا بإشعال النيران في العربة مع جثثهم.

كان (شاكر) يجيد الفرنسية تماما وعرف ما يضمر لهم ذلك الرجل من شر ولكن كيف علموا بأمر تلك العصا ولو أنهم يريدون السرقة حقا لماذا العصا بالذات هناك ذلك التمثال الفرعوني المصنوع من الذهب الخالص والأموال التي بحوزته فمعرفتهم بأمر العصا يعني بأنهم يراقبوه منذ فتره وأنهم قد شاهدوا ما يحمل من مال وتحف.

صاح الرجل بلهجة صارمة ولكن هذه المرة كان يتحدث بالإنجليزية قائلا:

-ليستسلم الجميع وتعطونا أموالكم ثم سنترككم ترحلون في سلام.

شعر شاكر بمقبض باب العربة الأيمن وهو يدور حول محوره في حذر وفجأة افتح الباب بقوة وظهر على عتبته رجل متشح بالسواد وهو يصوب غدارته نحو(شاكر)

ولكن ذلك الأخير كان مستعد لذلك الهجوم فأسرع يطلق نيران غدارته علي جهة الرجل الذي سقط قتيلا على الفور وقد ارتسمت علامات الذهول من هول المفاجئة.

فوجئ باقي الفرسان بمقتل زميلهم فتراجعوا في خوف وتوتر فلم يتوقعون رد الفعل هذا فساد بينهم الهرج والمرج فاستغل (ألكسندر) حالة الفوضى التي دبت بين اللصوص وأسرع يخرج بندقية إنجليزية الصنع من أسفل مقعده وصوبه على صدر أحد الفرسانالآخرين وأطلق النيران على صدره فسقط قتيلا هو الأخر على الفور ولكن صوب أحد المقنعينغدارته على ظهر (ألكسندر) وأطلق النيران فأصابته طلقة الغدارة في كتفه الأيمن فسقط ذلك الأخير فوق العربة وهو يصرخ متألما بشدة بينما صوب (شاكر) فوهة غدارته نحو رأس أحد المقنعين وأطلق النيران فأصابت الطلقة نصف وجهه الأيمنليتمزق بشدة وينكشف لحم وجهه بشكل بشع فسقط من فوق جواده وهو يطلق صرخة مدوية والدماء تسيل من وجهه حيث أصابته الطلقة.

أسرع أحد المقنعين الباقين يصوب غدارته نحو (شاكر) وهم بإطلاق نيرانها على صدر ذلك الأخير لكن القدر لم يمهله فلقد انغرس منجل (عبد الصمد) الحاد في ظهره ليسقط من فوق ظهر جواده وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وأسرع (شاكر) يصوب غدارته إلى الفارس المقنع الباقي الذي ألقى غدارته ورفع يده في استسلام فأمره (شاكر) بالهبوط من فوق جواده في لهجة أمره.

فأطاعه المقنع على الفور وهبط من فوق جواده ورفع يده عاليا في طاعة فطلب منه (شاكر) أن ينزع عنه ذلك القناع الذي يرتديه.

تراجع (شاكر) في ذهول عندما خلع الرجل قناعه ليفاجئ بأنه مفتش الشرطة(واطسون) الذي تعرف عليه في المزاد هذا الصباح بينما قام (عبد الصمد) بكشف القناع عن المقنع الأخر الذي يتأوه ألما بعد أن مزق سيده نصف وجهه بنيران غدارته منذ لحظات ليفاجئ (شاكر) بأنه الطبيب الذي تقابل معه في المزاد هذا الصباح.

كان وقع المفاجاءة عظيما على (شاكر) الذي آخذ يتطلع إليهم في دهشة عارمة ولكنها كانت كافية فلقد استغلها مفتش الشرطة على الفور وأخرج غدارة ثانية من

جيب سترته وأطلق النيران على قلب الطبيب المصاب ثم قفز فوق جواده وانطلقمبتعدا في سرعه تاركا (شاكر) و (عبد الصمد) في حالة من الذهول العارم.
أسرع (شاكر) يجلس القرفصاء بجانب الطبيب الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة فوضع رأسه فوق فخذه ليريحه قليلا ثم سأله قائلا:
- لماذا حاولتم قتلنا و الاستيلاء على العصا أيها الطبيب.
قال الطبيب في صعوبة بالغة:
- لقد أمرنا سيد الظلام بذلك.
سأله (شاكر) قائلا
- من سيد الظلام هذا ولماذا أطلق مفتش الشرطة عليك نيران غدارته.
في صعوبة بالغة قال الطبيب
- حتى لا أقوم بإفشاء السر ووو.....
لم يستطيع الطبيب إكمال باقي جملته فلقد لفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي (شاكر) تاركا إياه في حيرة هائلة من ذلك الكلام الغريب من يكون سيد الظلام من
قام (شاكر) و(عبد الصمد) بحمل(ألكسندر) المصاب وقاموا بوضعه داخل العربة حيث أراحا جسده فوق المقعد ثم قاموا بتضميد جرح هذا الأخيرجيدا لوقف النزيف وعندما انتهيا صعد (عبد الصمد) لقيادة العربة لكنه فوجئ بسيده يصعد هو الأخر ليجلس بجانبه.
ودون تبادل كلمة واحدة أمسك (عبد الصمد) لجام الجياد وحسها على الانطلاق.
انطلقت الجياد تنهب الأرض نهبا مثيرة خلفها عاصفة من التراب وهى في طريقها للقلعة حتى وصلا إلى بداية المستنقعات فنظر(شاكر) إلى (عبد الصمد) قائلا :
- لقد حل الظلام وسوف يبدأ ظهور تلك الأشباح المخيفةفلنحاول أن نتماسك حتى نصل للقلعة يا رجل.
أومأ(عبد الصمد) برأسه في هدوء شديدوآخذ ينظر إلى المستنقعات في ترقبشديدوقد بدأت الجياد في عبور المستنقعات بحذر شديد فلم يكن (شاكر) وخادمه على علم بطريق المستنقعات مثل (ألكسندر) لذلك تركا اللجام من بين أيديهم تاركين للجياد حرية السير حيث تحفظ الطريق بفطرتها التي فطرها (الله) عليها.

فأي خطوة خطأ فسوف تسقط داخل العربة بهم داخل مياه المستنقع ولدهشتهم البالغة فلم تنطلقصرخة واحدة داخل أرض المستنقعاتولم تظهر أي شئ من تلك الأشياء المرعبة التي ظهرت لهم من قبل.

بل لم يكن هناك أي أصوات أخرى كنقيق الضفادع أو أصوات الحشرات التي كان يسمعوها أثناء عبوره أرض المستنقعات دائما.

بل أن الهواء نفسه كان لا يتحرك كان كل شئ صامت وكان المستنقعات أصبحت لوحة زيتية خالية من الحياة وكأنهم يعبرون وسط مقابر لا حياة فيهانظر(شاكر)إلى (عبد الصمد) الجالس بجانبهوقال له:

-هناك شي غامض يحدث هذه الليلة وكأن الزمن قد توقف تماما داخل أرض المستنقعات. هز (عبد الصمد) كتفه في حيرة وقال:

- حقا هناك شئ غامض يحدث هنا يا سيدي ولا أدري ما هو أن المستنقع في حالة من الصمد التام والجو خانق بطريقة سيئة كما انى أجد صعوبة بالغة في التنفس. نظر

إليه (شاكر) في شرود فهذا الشعور هو نفس الذي يشعر به هو الأخر من ولوجه أرض المستنقعات.

تنفسوا الصعداء بعد أن عبرت العربة أرض المستنقعات ودخلت تلك الغابة المحيطة بأسوار القلعة كان هناك إحساس غريب يراودهما معا بأن هناك عيونا تراقبهم من أعلى قمم الأشجار مصحوبا بضيق في تنفسهم بالإضافة لانتصاب شعر جسدهم بالكامل..

أخيرا ظهرت القلعة أمام أبصارهم على بعد عدة أمتار فألهب (عبد الصمد) ظهر الجياد التي انطلقت في سرعة رهيبة وكأن هناك شيطانا يطاردهم حتى وصلت إلى أبواب القلعة ثم توقفت على الفور وأخذت تصهل وهبط منها ذلك الأخير وأخذ يدق على تلك الحلقة المعدنية الضخمة الموجودة بباب القلعة الضخم عدة مرات متتالية عدة مرت حتى انفتح أخيرا وظهر على عتبته الحارسان وثلاثة من الخدم ويبدو أنهم كانوا يتسامرون في ذلك الوقت من الليل.

أسرع الخدم يفسحون الطريق للعربة بعد أن قاموا بفتح باب القلعة على مصرعه

لكن (شاكر) أشار للعربة وصاح بالخدم قائلا:

-السائق (ألكسندر) داخل العربة مصاب وينزف الدماء بغزارة.

أسرع الجميع إلي العربة حيث كان (عبد الصمد) يحاول إنزال (ألكسندر) برفق فقاموا بحمله بدلا عنهوأسرعوا به إلى جناح الخدم وذهب أحدهم ليوقظ طبيب القصر الذي هرع معهم على الفور لرؤية (ألكسندر) المصاب

في تلك اللحظة كان (شاكر) قد أخرج العصا والتمثال وباقي الأشياء التي قد خبأها أسفل المقعد عائدا بهم إلى القلعة حيث وجد السير (توماس) في انتظاره داخل حجرة مكتبه بعد أن أستيقظ على الفور وهبط من حجرة نومه عندما علم بعودة (شاكر) من رحلته لكنه فوجئ بإصابة (ألكسندر).

جلس السير(توماس) خلف مكتبه يستمع لقصة (شاكر) الذي انطلق يقص عليه ما حدث منذ بداية المزاد حتى هجوم المقنعين وإصابة سائق العربة بطلق ناري.

كانت نظرات السير (توماس) منصبة على العصا التي أمامه وهتف قائلا:

- يا الهي كيف استطعت الحصول على تلك العصا؟

أجابه (شاكر) على الفور:

- لقد اشتريتها من المزاد.

ابتلع السير (توماس) ريقه في خوف قائلا:

- أنها عصا ملعونة وقد هلك كل من امتلكها قبلك.

قال (شاكر) في دهشة عارمة

- ماذا تعنيبأنها ملعونة وما هي قصة لعنتها هذه.

نظر إليه الرجل بعض الوقت ثم قال ببضئ وكأنه تناسي ما أصاب سائق عربته:

- أذهب الآن لتغتسل وتأخذ قسطا من الراحة من عناء تلك الرحلة الرهيبة ثم نلتقي هنا في مكتبي صباحا وسوف أقص عليك كل ما أعرفه عن تاريخ تلك العصا الملعونة.

كان (شاكر)يكاد يموت فضولا لمعرفة قصة تلك العصا لكنه كان في حالة يرثى لها من شدة الإرهاق أيضا فهز رأسه في استسلام قائلا:

- حسنا إنني في حاجة ماسة لبعض الراحة بعد أحداث تلك الليلة التي قد مررت بها.

نهض (شاكر)من فوق مقعده وناول للسير(توماس) العصا وجميع الأشياء التي أحضرها معه من المزادفتناولها ذلك الأخير وقام بوضعهم داخل الخزانة الحديدية التي توجد في حجرة مكتبه وتأكد من إغلاقها بالمفتاح جيدا.

خرج (شاكر) من حجرة المكتب بعد أن ألقى على السير (توماس)تحية المساء ثم صعد إلى حجرته على الفور وأخرج ملابس النوم خاصته من صوان الملابس وتوجه من فوره إلى دورة المياه الملحقة بحجرته وقد كان الخدم قد أعدو له المغطس وملئوه بالماء الساخن المعطر فقامبخلع ملابسه المتسخة وانزلق داخل المغطس سريعا تجنبا لبرودة الجو. كانت

المياه الساخنة رائعة حقا فلقد دب شعور بالانتعاش في جسد هفأخذ يدلك جسده بيده اليمنى حتى بدا يشعر بالنعاس فترك جسده يسترخي داخل المغطس وما لبث أن راح في غفوة قصيرة.

تنبهت حواس (شاكر) على صوت شيئا يزحف بجانب المغطس فاعتدل جالسا داخل المياه وأخذ يتلفت حوله يمينا ويساراباحثا عن ذلك الشئ الذي يزحف بجانب دورة المياه في خوف فلقد أعتقد بأن ذلك الشئ الذي يزحف بجانب المغطس هو ثعبان نجح في التسلل من الخارج.

هب (شاكر) من داخل المغطس على الفور وقام بارتداء ملابسه في عجل وهو يتلفت يمينا ويسارا بحثا عن شيئا يتحرك فوق الأرضية لكن المكان كان خاليا نظيفا فأخذ يطمئن نفسه بأنه كان يحلم.

تناهى إلى مسامعه صوت طرقات خفيفة متتالية على الباب فسأل بصوت مرتفع عن الطارق فأجابه صوت زوجته (صوفيا) وهى تخبره بصوت مليء بالإغراء والدلال بأنها تنتظره فوق الفراش لأنها تشتاق إليه بشدة.

وبالرغم من الإجهاد الذي يشعر به (شاكر)لكنه كان يشتاق إليها هو الآخر وإلى جسدها البض فأسرع بالخروج من دورة المياه ليجد زوجته تنتظره فوق الفراش وهي ترتدي قميص نوم احمر ناري يكشف عن جسدها البض أكثر مما يخفي زال على الفور كل أثار التعب الذي يشعر به وهو يلقى بنفسه بين أحضان زوجته ويشرب من هواها حتى الثمالة.

كانت زوجته تفاجئه دائما بتلك الأفعال لكنها كانت تختلف تماما هذه المرة عن المرات السابقة التي عاشرها فيها معاشرة الأزواج.

فلقد كان جسدها من لهب هذه المرة بحق كان يختلف عن جميع المرات السابقة بشكل كبير حتى أنه شعر بأنها ليست زوجته (صوفيا).

بعد أن انتهى (شاكر) من شرب كؤوس العشق منها ألقى بجسه المنهك إلى جوارها واخذ يتطلع إلى سقف الحجرة في إجهاد قطعه صوت زوجته الذي تغير تماما ليصبح شديد البشاعة وهى تقول له:

-هل استمتعت مع جسدي أكثر أم مع جسد زوجتك الفانية يا (شاكر).

فالتفت ذلك الأخير في حدة إلى زوجته المتحشرج ليجد نفسه ينظر إلى أبشع وجه كائن شاهده في حياته بأكملها.

كانهناك من شيئا بشعا يرقد بجانبه بدلا من زوجته وهيا تنظر إليه بوجه أسود شديد البشاعة ينبت به أشواك حادة وزوج من الأعين المشقوقة من الأعلى لأسفل وكل عين بها زوجين من الحدقات الحمراء النارية بينما ينسل فوق جبهتها شعرها الأحمر الناري كما برز قرنان مدببان وملتويات للخلف ومن فمها المتسع بشكل غير بشري برزت أنياب حادة كالذئاب وقد خرج من بين شفتيها لسان طويل مشقوق لنصفين من مقدمته يتلوى كالثعابين وهو يتحسس صدره.

قفز (شاكر) من فوق الفراش كالمصعوق وهو يشاهد ذلك الشئ البشع الذي كان يرقد بجانبه والذي عاشره منذ قليل على أنه زوجته(صوفيا).

اعتدل ذلك الشئ الرهيب فوق الفراش بهدوء قاتل وأزاح الغطاء من فوق جسده فتراجع (شاكر) في رعب هائل بعد أن اكتملت الصورة البشعة لذلك الشئ.

فجسد ذلك الشئ بأكمله كان يمتلئ بأشواك حادة كالأشواك الموجودة فوق جسد القنفذ بينما برزت لها مخالب حادة طويلة بدلا من أصابعها إما الجزء الأسفل منها فلقد كان عبارة عن أقدام تمتلئ بشعر كثيف وحوافر تشبه تماما حوافر وأقدام الماعز الجبلي.

تراجع (شاكر) في رعب هائل وهو يصرخ قائلا:

-أعوذ بالله ابتعد عنى أيها الشيطان الرجيم عليك لعنه (الله).

اشتعلت عين ذلك الشئ البشع غضبا وقفز من فوق الفراش ليصبح على بعد

خطوة واحدة من (شاكر) وقال في صوت مرعب ذو فحيح رهيب يشبه فحيح الأفاعي:

- أيها البشرى الوقحأتجرأ على لعني بعد أن جعلتك تستمع بجسدي.

ارتفع ذيل ذلك الشئ من خلف ظهره دون سابق إنذار ولطم به صدر (شاكر) الذي طار من قوة الضربة وارتطم بالحائط وهو يطلق صرخة مدوية قبل أن يغيب عن الوعي تماما تحت إقدام الشيطان.

استيقظ (شاكر) على صوت زوجته (صوفيا) وهى تناديه في لوعة وأحس بيدها وهى تهزه بشدة ففتح عيناه في الم شديد وأخذ يتطلع إليها في خوف ورعب معتقدا بأنها ذلك الشئ البشع لكن قلبه أطمأن عندما أخذت تبكى وتقول من وسط دموعها:

- حمدا لله على سلامتك يا زوجي العزيز لقد ظننت بأنني قد فقدك للأبد.

نظر(شاكر) لها ثم تلفت ينظر حوله فوجد لدهشته البالغة بأنه ما زال ممددا عاريا داخل المغطس فنظر لزوجته وسألها قائلا في حيرة شديدة:

- ماذا حدث وكيف عدت للمغطس مرة ثانية؟ قالت (صوفيا) له في دهشة من قوله:

- لست أدري عما تتحدث يا (شاكر) فلقد علمت بعودتك من رحلتك فأسرعت إلى حجرتك على الفور لكنني سمعت صوت صراخ مكتوم داخل دورة المياه فدفعت الباب على الفور فوجدك بداخل المغطس تصرخ وأنت تبتلع الكثير من المياه فأسرعت بإخراج رأسك من المغطس قبل أن... لم تستطيع (صوفيا) أن تكمل باقي جملتها وأجهشت بالبكاء الحار فربت (شاكر) علي ظهرها ثم تحامل عليها وهو يحاول النهوض من المغطس فلقد كان يشعربأن عظام جسده قد تحطمت بالكامل...وأخيرا وصل لفراشه بمساعدتها حيث أحضرت له ملابس نومه وعندما هم (شاكر) بارتدائها أشارت زوجته إلى صدره قائلة:

- ما سبب تلك الكدمة التي أراها فوق صدرك يا زوجي.

نظر (شاكر) إلى حيث تشير أصابع زوجته ليجد كدمه شديدة الاحمرار يتخللها آثار مخالب قد تركت اثر واضحا فوق جسده فشرد ببصره وهو يتذكر تلك اللطمة

الجهنمية التي تلقاها من ذيل ذلك الشئ الشيطاني..فقال لها:لست أعلمكيف أصبت بها فعلى ما يبدو انى قد أصبت بها داخل المغطس.

ومع أن ذلك التفسير أقنع زوجته لكنه لم يقنعه هوعلى الإطلاق فيبدوا أن ما مر به ليلا لم يكن كابوسا كما أعتقد في بداية الأمر لم يكن كابوسا أبدا.

عصا على شكل شيطانة مجنحة وأقدام أسد ويلتف زيلها حولها

الشيطانة(ليليتو).

وفى نفس الوقت هناك بعيدا بآلاف الأميال وبداخلكهف عميق بأحد الجبال كان ذلك الكهف يقود إلى ممر طويل ، وفي نهايته بهو واسع مرتفع الجدران ذو سقف عاليا.

كانت هناك نجمة سداسية الأضلاع محفورة فوق كل جدار من جدران ذلك الكهف وعلى السقف وأرضية الكهف أنها تلك النجمة السداسية الشيطانية الشهيرة.

وفي منتصف المكانتماما وقف أكثر من عشرة رجال وعلى رأسهم مفتش الشرطة الذي قابله (شاكر) في المزاد هذا الصباح وكان الجميع يرتدون أردية سوداء داكنة وكانوا يحيطون بمائدة خشبية ضخمة وقد تمدد فوقها ذلك القس الذي حاول تحطيم عصا (ليليث) في المزاد.

كان القس مقيدابقيود متينة فوق المائدة بعد أن جردوه تماما من ثيابه وكان الرجال يحملون خناجر ملتوية غريبة الشكل وهم يهمسونبكلمات غريبة في تناغم عجيب ولكن الشئ الذي أدهش القس أن جميع الرجال المحيطون به كانوا من علياء القوم فبعضهم تجار أغنياء والبعض الأخر من رجال السياسة ومشاهير المجتمع.

آخذ القس يصرخ وهو يرجوهم أن يتركوه ولكن لم يلتفت إليه أحد منهم وعندما انتهوا من تلك التراتيل الخاصة بهم نظر إليه رئيس الشرطة قائلا في وحشية هائلة:

- لقد أقحمت نفسك في أشياء لا تخصك أيها القس اللعين بل لقدتجرأت وحاولت تحطيم عصا سيدة الظلام.

قال القس في رعب هائل:

- سامحني يا سيدي فلم أكن أقصد فعل ذلك لقد كان خطا ولن يتكرر دعني أرحل ولن أخبر أحد بشئ أقسم لكم جميعا.

ابتسم رئيس الشرطة ابتسامة شيطانية وأردف قائلا:

- لا يوجد في قاموس ملكة الظلامشيئايعرف بالرحمة أيها القس ونحو في انتظارها فهي التي ستتخذ أمرها بشأنك.

وفي تلك اللحظة لاحظ القس بأن الحائط المواجه له بدأيتماوج بشدة فاتسعت عين ذلك الأخير رعبا عندماأخذ جسدا شبه بشريا يتكون فوق الحائط.

أسرع الرجال يخرون على الأرض ساجدين لذلك الظل الذي اكتمل تجسده وأطلق القس صرخة مدوية وهو يشاهد ذلك الشئ الذي تجسد أمامه في هيئه مرعبه إنه شئ يشبه ذلك النحت الشيطاني الموجود في قمة العصا التي حاول تحطيمها تماما.

صرخ القس في رعب ليس له مثيل عندما أبصر تلك الشيطانة تنظر له في غضب هائل وهى على هيئتها الشيطانيةنفس الهيئة الرهيبة التي شاهدها (شاكر) بجسدها الأحمر الناري وأقدامها التي تنتهي بحوافر عملاقة كحوافر الماعز بينما يكسوا الأقدام من أعلى شعر أسود كثيف كشعر الماشية ويدها التي تنتهي بمخالب حادة رهيبة أما الوجه فما كان أشد بشاعته بأنيابه التي تبرز من فمها وذقنها المدببة والعيون المشقوقة للأعلى والتي تخرج منها اللهب وتلك القرون التي تخرج من منتصف جبهتها زادتها بشاعة بينما برز جناحان شديدا السواد من خلف ظهرها.

كان منظر تلك الشيطانة تبعث الرعب داخل أقوى قلوب الرجال شجاعة لكن القس لدهشته البالغة فوجئ بأن الرجال الموجودين لا تظهر عليهم علامات الخوف بل كان هناك علامات تقديس واحترام لتلك الشيطانة.

فصرخ القس قائلا:

- أتعبدون تلك الشيطانة وتنسون الخالق وأنتم من علياء القوم؟؟نظرت الشيطانة له في مقت ووحشية واضحة بينما أجابه رئيس الشرطة:

- أيها القس الأحمق إن سيدتنا وملكة الظلام زوجة سيد الظلام هى التي منحنا تلك المكانة الرفيعة ثم إن الخالق رحيم يغفر الذنوب مهما تعاظمت ولكن ملكة الظلام لا تعرفالرحمة لذلك فنحن نعبدها.. قال القس في ازدراء:

- يا له من مبدأ تتعاملون به أتعبدون الشيطان لأنه قاسي وتتركون عباده (الله) لأنه غفور. ابتسمت الشيطانة

في سخرية وقالت بصوت رهيب كأنه قادم من أعمق أعماق الجحيم:

- سوف أريك أيها القس الأحمق معنى العذاب الحقيقي وأريد أن أشاهد كيف سينقذك خالقك من قبضتي.

ثم أشارت الشيطانة إلى أتباعها الذينتراجعوا جميعا على الفور مفسحين الطريق لتلك الشيطانة بينما أخذ القس المسكين يطلق صرخات مدوية وهي تقترب منه رويدا . رويدا.

وعندما أصبح تلك الشيطانة على مسافة قريبة من المائدة التي قيد فوقها القس قفزت لتعتلي جسده ثم ابتسمت في وحشية والزبد يسيل من بين شفتيها وهى تخرج لسانها المشقوق وتلعق به وجه القس وصدره وقد رفعت مخالبها عاليا استعداد لغرزها في جسد المسكين الذي أغلق عيناه استعدادا للموت المحقق.

لكنها الشيطانة توقف وصاحت في غضب قائلة:

-أتتجسس علي يا (لوسيفر) اللعين.

فتح القس عيناه ليشاهد ما الذي أوقف تلك الشيطانة عن قتله ومن يكون (لوسيفر) هذا ثم اتسعت رعبا وكادت تخرج من محجرهما عندما تجسد أمامه شيئا أكثر بشاعة من تلك الشيطانة التي تجلس فوق صدرهفلقد كان الشيطان الكبير زوجها الذي قال لها:

- آه لقد حضرت لأنني لقد اشتقت إليكي يا (ليليتو) العزيزة.

قالت (ليليتو)في غضب هادر:

-حقا أم جئت للتدخل في شئوني الخاصة كعادتك.

كان الحديث بين الشيطان وزوجته بلغة شيطانية لم يفهم أحدا من الحاضرين حرفا واحدا لكن الغضب الذي يطل من عين (ليليتو) جعل الجميع يتراجع في خوف بالإضافة لهيئة الشيطان الأكبر الرهيبة التي لا توصف لكنه كان قريب الشبه بزوجته (ليلتو) لكنه كان أكثر بشاعة بكثير.

صاح الشيطان قائلا في غضب:

- أيتها الحمقاء أنكي تعيشين داخل أعظم دولة في هذا العصر وتتحكمين بعقول أعظم رجالها وسوف نحكم العالم سويا من خلال تلك الدولة العظمى وأنتي تريدين الذهاب للعيش في مصر.

أجابته (ليليتو) في برود وهى تقفز من فوق جسد القس لتوجهه:

- لقد أخبرتك من قبل بأنني قد سئمت ذلك المكان وأريد الانطلاق بحرية وسط الغابات والخرائب كالأيام الخوالي ولا أعتقد بأن هذا الأمر يخصك في شئ يا (لوسيفر).

قال (لوسيفر) ساخرا

- ذلك لكونك بلهاء يا (ليليتو).

قالت (ليليتو) في حقد:

- بالطبع بلهاء لكوني قد استمعت لوسوستك منذ البداية وهربت من الجنة لأجلك وتركت زوجي(أدم) وتبعتك إلى الأرض ورضيت بالعيش منبوذة للأبد من أجلك.

قال (لوسيفر):

-نعم اعلم ولكنني لم افعل معك مثلما فعل (أدم) الذي قيد حريتك وجعلكتطيعيأوامره كالجارية ، أما (لوسيفر) فلقد تركتك تعيشين على حريتك وكيفما يحلو لكي وتفسدين في الأرض وتمتصين الدماء وتعاشرين الرجال لتشبعي رغباتك الشهوانية.

قالت (ليليتو):

- كفى يا (لوسيفر)فلقد سئمت حديثك هذا ولقد أخبرتك من قبل بأنه لا يوجد لمخلوق على وجه البسيطة معروفا على كما أحذرك من ملاحقتي والتدخل في شئوني الخاصة بعد الآن أفهمت.

قال (لوسيفر) بجدية:

-لكي ذلك يا (ليليتو) ولكن أحب أن ألفت انتباهك إلى شئ صغير قبل أن ترحلين لمصر بصحبة ذلك الرجل.

قالت (ليليتو) في سخرية واضحة:

- وما هو ذلك الشئ يا (لوسيفر) العزيز.

قال (لوسيفر):

- احذري من ذلك الشعب المصري يا (ليليتو) فانه شعب يحافظ علي عقيدته وصلاته بشدة والقليل جدا من ينساب خلف أهواءه الشخصية .

ضحكت (ليليتو) قائلة:

- يبدو أنك أصبحت تخشى هؤلاء المصريينبشدة يا (لوسيفر) أهذا بسبب كونهم مؤمنين بدين (محمد) أم منذ هزيمتك القاسية على يد ملكهم (حورس) عندما كنت تطلق على نفسك الإله (ست).

صاح (لوسيفر) في غضب هادر:

- إنني لا أخشى أحد يا (ليليتو).

قالت (ليليتو) مبتسمة بعد أن شعرت بغضبه الرهيب:

-أنني كنت أمازحك فقط يا (لوسيفر).

حدجها (لوسيفر) بنظرة خاوية من أي تعبير ثم قال:

-ليس قصدي دينهميا (ليليتو) بل أقصد الشعب المصري بأسره بجميع طوائفه سواء كانوا مسلمين أم مسيحيون أو حتى يهود فهذا الشعب يمتاز بالتدين الشديد من قبل نزول الأديان السماوية عليهم منذ عهد أجدادهم الفراعنة لذلك فأنا أخشى عليكى من ذلك الشعب.

ابتسمت (ليليتو) ابتسامة كشفت عن أنيابها الحادة وقالت مبتسمة:

- لا تخشى علي (ليليتو) يا (لوسيفر) فأنا أم الشياطين أجمعين.

بعد أن انتهت (ليليتو)من كلامها دارت علي عاقبيها وهمت بالرحيل لكنها تذكرت ذلك القس المقيد فوق المائدة فقفزت فوقه وابتسمت قائلة في وحشية:

- لقد حاولت اليوم تحطيم شيئا ملكا لي والآن جاء دوري ستدفع الثمن.

وقارنت قولها بأن رفعت مخالبها الحادة عاليا وغرستها داخل أحشاء القس بلا رحمه غير مبالية بصرخاته العالية وانبثقت نافورة من الدماء الحارة خارج معدته وانحنت (ليليتو)تلعق منها في نهم شديد وآخذ القس يطلق صرخات الألمولكن الشيطانة رفعتمخالبها الحادة عاليا وأطاحت برأسه بضربة واحدة من مخالبها بلا رحمة وعادت تلعق الدماء بتلذذ شديد... وابتسم (لوسيفر) في نشوة عارمة

استيقظ (شاكر) في صباح اليوم التالي وهو يشعر بآلام هائلة في عظام جسده بالكامل فاعتدلجالسا فوق الفراش في ضعف وآخذ ينظر في أرجاء الحجرة لكنه لم يستطيع رؤية شئ فلقد كانت الستائر مسدلة فوق النوافذ بإحكام شديد بحيث لم يستطيع ضوء الشمس النفاذ للداخل الحجرة لكنه رغم ذلك كان يشعر بوجود شخص معه داخل الحجرة.

صاح مناديا على ذلك الشخص الموجود داخل الحجرة معتقدا بأنه أحد الخدم قد حضر ليوقظه أو ربما تكون زوجته (صوفيا).

نعم إنها زوجته بفستانها الأبيض تقف بلا حراك في زاوية الحجرة وهى توليه ظهرها فأسرع ينادى عليها لكنها لم تلتفت له فعاد يناديها للمرة الثانية لكنهالم تلتفت له فشعر بشئ من القلق نحوها فهبط من فوق الفراش رغم الآلام التي يشعر بها في جسده وأسرع يلبس خفه وأقترب من ووضع راحة يده فوق كتفها وشعر ببروده

هائلة تسري لجسده عبر جسدها فتراجع في حدة..وفجأة التفتت إليه زوجته وصرخت في وجهه وما إن أبصرها حتى أطلق صرخة مدوية وهو يتراجع للخلف كالمصعوق جعلته يتعثر في طرف السجادة ويسقط أرضا وهو ينظر إلى وجهها في رعب هائل فلقد كان النصف الأسفل من الوجه محطم بشكل غاية في البشاعة وقد تدلى فكها السفلى و خرج لسانها بشكل رهيب وإذا بها تقتربمنه بوجهها البشع نحوه وهى تقول عبر فكها المحطم وبصوت قادم من أعماق الجحيم:

- انظر ماذا فعلت بي يا (شاكر). ومدت يدها لتطبق على عنقه بقوة شيطانية هائلة وبدأ ذلك الأخير يختنق وأخرج لسانه للخارج فأغلق عيناه في ألم شديد ولكن زال الإحساس بالألم بعد أن تركت يد زوجته عنقه ففتح عيناه ينظر حوله في دهشة عارمة فلقد وجد نفسه جالسا فوق الفراش يتطلع إلى الحجرة الخالية تماما ولا يوجد أثر لزوجنه فقفز من فوق الفراش وأسرع يزيح الستائر لتغمر أشعة الشمس الذهبية المكان فأغلق عيناه بقوة وهو يتساءل ترى هل أصابه مس من الجنون.

جلس السير (توماس) خلف مكتبه وهو يحتسى فنجان من القهوة عندما ارتفعت صوت طرقات قوية متعجلة على باب الحجرة فصاح بصوت جهوري يدعوا الطارق للدخول. انفتح باب الحجرة على مصراعيه ودلف (شاكر) وتقدم ليجلس فوق مقعد مواجه لمكتب السير (توماس)تماما....كان ملامح (شاكر) تنم عن أصابته بالأرق والتعب فسأله الرجل قائلا:

-يبدو بأنك قد قضيت ليله سيئة بالأمس فهذا يبدو واضحا في ملامح وجهك بشدة.

فنظر إليه (شاكر) ثم أردف قائلا:

- نعم فلم أستطيع النوم فلقد شاهدتأحلام رهيبة تطاردني بالأمس. السير (توماس): - لقد أخبرتني أبنتي (صوفيا) بأنك قد فقدت الوعي داخل المغطس بالأمس.

هز (شاكر) رأسه دون أن يتفوه بحرف واحد فأخرج السير (توماس) من درج مكتبه جريدة مطوية وناولها له قائلا:

-أنظر تلك المقالة التي كتبها صديقك (مصطفى كامل) في جريدة (لوفيجارو) الفرنسية دفاعا عن القضية المصرية.

أسرع (شاكر) يخطف الجريدة من يد السير (توماس) في لهفة هائلة وفضها على الفور ليطالعه مقالة بعنوان(إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن) بقلم (مصطفى كامل)

وفي تلك اللحظة دلفت (صوفيا) إلى الحجرة وهى تقول لزوجها:

- لقد اعتدت لك طعام الإفطار.

فنظر لها (شاكر) وتذكر وجهها المحطم الذي رآه في حجرة نومه فهز رأسه قائلا:

- ليست لدي رغبة في الطعام الآن فقط أعدي لي قدح من القهوة المركزة ولكن قومي أنتي بإعدادها بنفسك.

ابتسمت (صوفيا) وقالت:

- على الفور زوجي العزيز سيكون قدح القهوة أمامك بعد دقائق معدودة. ثم أسرعت بمغادرة الحجرة.. بينما نظر(شاكر) إلى السير (توماس) وسأله قائلا:

- ألن تخبرني عن تاريخ تلك العصا.

تنحنح السير (توماس) ثم اخذ رشفة من قدح القهوة خاصته ورفع بصره إليه قائلا:

- لقد ظهرت هذه العصا منذ أكثر من عدة قرون من الزمان وكانت ملك لأحد الأمراءالإنجليز وقد قيل بأنه قد حصل عليها من أحد السحرة مقابل الكثير من الذهب وقيل أيضا بأن ذلك الأمير قد تعاهد مع الشيطانة (ليليث) أو (ليليتو) كما يطلق عليها وهى أم الشياطين جميعا والمنقوش تمثالها أعلى العصا.

وكان ذلك العهديلزمه بتقديم قربانا لها كل شهر من الفتيات أو الأطفال لتمتص دمائهم في ليلة صافية يكون القمر فيها كامل الاستدارة كما يتنازل لها عن روحه أيضا بعد موته مقابل أن تخلصه من جميع خصومه وتجعله من أغنى أغنياء إنجلترا وتمنحه جسدها ليشبع رغبته.

ويقال أنها قد أعطته تلك العصا التي صنعتها له من خشب شجرة الصفصاف التي تعيش فوقها.

وبالفعل بدأت علامات الثراء الفاحش تظهر على ذلك الأمير بشدة وبدأ في شراء القلاع والمقاطعات المجاورة لمقاطعته بأضعاف ثمنها ومن كان يرفض البيع كان يموت في ظروف غامضة ليشتريها هو من ورثته بعد ذلك.

كما لاحظ الجميع بأن جميع معارضين وخصوم ذلك الأمير قد قتلوا في ظروف شديدة الغموض وقد ارتسم على وجوههم أعدى علامات الرعب والفزع بعد أن التواء أطرافهم بشكل رهيب لا يقدر على فعله بشروقد خلت أجسادهم تماما من الدماء أن امتصت دمائهم لأخر قطرة بشكل لا يستطيع اى بشرى أن يقوم به مهما كانت قوته وعنفوانه .

كما أخذت فتيات وأطفال القرى المجاورة لمقاطعة الأمير في الاختفاء وعدم العثور عليهم نهائيا.

ومع مرور الوقت بدأت شرارة الثورة تشتعل ضد ذلك الأمير من الفلاحين الذين اختفى أبنائهم ورغم أنهم كانوا يهابون الأمير كالموت ذاته لكن ذلك الخوف تحول لغضب هائل عندما عثروا في احد الأيام على مقبرة جماعية لأطفالهم داخل أحد المستنقعات الموجودة في أملاك الأمير وكانت هذه القشة التي قسمت ظهر البعير كما يقال.فلقد انطلقت حشود الفلاحين لتحطمأبواب وأسوار القلعة التي يقيم بها الأمير وقتلوا حراس القلعة وانتشروا داخلها يبحثون عن الأمير حتى وجدوه يختبئ داخل أحد السراديب السرية المنتشرة بكثرة داخل القلعة فقبضوا عليه ثم أشعلوا النيران داخل ساحة القلعة وقاموا بإلقائه داخلها ولقد أقسم البعض بأن الأمير كان يضحك بشكل أرعب الجميع وهو يحترق وقد أخبرهم بأن الشيطانة (ليليتو) سوف تنتقم منهم جميعا وبأنه سوف يذهب للعيش معها في نعيمها للأبد.

وفي خضم تلك الأحداث المتلاحقة لم يلاحظ أحدا اختفاء الأمير الصغير هو وخادمه والعصا من القلعة ولكن بعد عدة سنوات عاد أبن الأميرلقلعة والده حيث قام بترميمها والإقامة بها ، وبعد عدة أشهر من عودته بدأت حالات اختفاء الفتيات والأطفال تعود للظهور مرة ثانية كذلك بدأ العثور على جثث الفلاحين الذين اقتحموا القلعة وقاموا بحرق الأمير في شكل بشع.

فساد حالة من الرعب بين أهاليالمقاطعة جميعا وأسرعوا بالفرار والرحيل إلى مقاطعات ومدن بعيدة حتى أصبحت المقاطعة وجميع القرى المحيطة أرضا

للأشباح لا يوجد بها سوى قبور الأموات التي تركها الإحياء وفروا هاربين.
وبعد عدة أشهر بدأت حالات الاختفاء تنتشر بين أفراد القلعة من الخدم والحرس وفر باقي من تبقى من خدم القلعة وحراسها حتى اختفى الأمير هو الأخر في أحد الليالي المقمرة ولم يعثر له على أي اثر هو والعصا.
سكت السير (توماس) قليلا ليلتقط أنفاسه ثم أكمل قائلا:
-ولكن بعد أكثر من خمسون عام عادت تلك العصا للظهور مرة ثانية مع أحد الباعة الجائلين وعندما شاهدها اللورد (إيدن) طار صوابه من روعة وجمال العصا فاشتراها على الفور وبعد شهرا من شراءه لتلك العصا وفى ليلة مقمرة عثر على جثة إحدى خادمات اللورد وقد قتلت ومثلت بجثتها بشكل بشع بعد أن قام قاتلها بامتصاص دمائها لأخر قطرة ، وبالرغم من عدم استطاعة أحدا من البشر القيام بذلك لكن توجهت أصابع الاتهام لعشيقها الذي هجرها إلى أحضان أخرى وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم بعد عدة أيام فقط.
ولكن بعد اكتمال القمر في الشهر الثاني عثر على جثة خادمه أخرى مقتولة بنفس الطريقة التي قتلت بها الخادمة الأولى بعد أن امتصت دمائها تماما ولم تسفر التحقيقات هذه المرة عن شئ.
علم الجميع ببراءة الخادم الذي تم أعدمه ظلما ، وفي مطلع الشهر الثالث وجد جثه ثالثة لأحد الخدم فأسرع جميع الخدم بمغادرة القصر على الفور.
وبعد عدة أيام عثر علي جثة اللورد (إيدن) منتحرا بعد أن ترك رسالة يطلب فيها الصفح والرحمة من الجميع لأنه هو من أحضر الشر إلى القصر وتسبب في مقتل الجميع ولم يفهم أحد معنى تلك الرسالة وانتقل القصر وباقي الإرث إلى أبن اللورد الوحيد السير (كليف).
ولكن بعد عدة أشهر من استقرار الأمور عادت حالات القتل للظهور مرة ثانية لتنتهي بانتحار اللورد (كليف) هو الأخر ، وقيام ورثته ببيع جميع ممتلكاته خوفا من تلك اللعنة.
انتهى السير (توماس) من سرد قصة العصا الملعونة فارتسمت ابتسامة ساخرة فوق وجه (شاكر) وهويقول: يا لها من قصة مرعبة حقا ولكنني أعتقد بأنها ليست

سوى حكاية من تلك الحكايات التي ترويها العجائز لتخيف بها أحفادها وهم جالسون حول نيران المدفاءة في ليالي الشتاء الباردة.

قال السير (توماس) في شئ من الضيق بسبب تلك السخرية الواضحة في كلام زوج أبنته: -أنها ليست حكاية بل هي حقائق تاريخية معروفة لدى جميع الإنجليز.

فقال له (شاكر):

- أنت تعلم جيدا سير (توماس) بأن الشعب الإنجليزي يعشق قصص الرعب والأشباح وأعتقد بأن مؤلفين الروايات لديكم يعشقون ذلك النوع من الأدب مثل باقي الشعب فهم الذينقاموا بكتابة قصص الرعب القوطيوالأشباح وأكبر دليل على ذلك هو الكاتب (برام ستوكر) صاحب رواية الذي لا يفنى والتي أعيد تسميتها (دراكولا) وذلك خير دليل لعشق شعبكم لقصص الرعب.

السير (توماس)

-ولكن تلك الحوادث قد حدثت بالفعل ومتواجدة في السجلات الرسمية للبوليس الإنجليزي.

زفر(شاكر)في ضيق ونفاذ صبر وهتف قائلا:

- الشيطان مخلوق ضعيف ولا يستطيع عمل شئ سوى الوسوسة للبشر لنعصى الخالق ولكنه لا يستطيع التجسد بأي شكل اللهم في هيئة بعض الحيوانات كالقطط السوداء والأفاعي فقط.

صاح السير (توماس)معترضا:

- ولكن الشيطان كان يتجسد قديما في شكل بشرى أليس كذلك.

قال (شاكر):

- نعم كان ذلك في قديم الزمان في العصور البدائية وليس في هذا العصر الذي وصلنا فيه إلى درجة عالية من التقدم والمعرفة ونقطة أخرى إذا كانت تلك العصا ملعونة بحق لماذا حاول البعض الاستيلاء عليها بما فيهم طبيب كبير ورئيس الشرطة.

قال السير (توماس):

- حسنا يا بني لن استطيع أن أباريك في أية مناقشة حدثت بيننا من قبل.

في تلك اللحظة دخل أحد الخدم وهو يحمل خطاب تقدم وأعطاه إلي سيده الذي أسرع يفتح المظروفويفض الخطاب وآخذ يلتهم اسطره في سرعة.

في تلك اللحظة دخلت (صوفيا) الحجرة وهى تحمل طبق وضع فوقه قدح القهوة تقدمت به نحو زوجها ووضعته أمامه على سطح المكتب وعندما همت بالجلوس جواره سمعت والدها يقول وهو يقول مخاطبا زوجها قائلا:

- هذا الخطاب أرسله لك قبطان السفينة التي حضرت على متنها يخبرك فيه بأن ميعاد قيام السفينة قد تقدم أسبوعا كاملا عن ميعاد قيامها الذي كان محدد لها وسوف تغادر بعد غدا في الساعة التاسعة صباحا ويطلب منك اللحاق بها لعدم وجود سفن متوجهة إلى مصر خلال شهرا كاملا بسبب ظروف خاصة بالقوات البحرية الإنجليزية.

تنهت حواس (شاكر) واعتدل في مقعده وقال في استياء شديد:

- كيف ستغادر السفينة بعد غدا لقد كان من المفترض قيامها بعد أسبوعا من الآن:

قال السير (توماس):

- ربما تحسبا لوجود عواصف بحرية قادمة أو هناك أشياء سيقوم الجيش الإنجليزي بإرسالها إلى مصر على وجه السرعة. هب (شاكر) من مقعده في حنق واضح وضرب سطح المكتب بقبضة يده وقال في سخط:هذا استخفاف بالمسافرين ولو لم يكن قبطان السفينة ما بعث بخطابه هذا لأنه صديقي ما علمت برحيل السفينة.

قال له السير (توماس) محاولا تهدئته:

- حسنا لتبقى معنا وتغادر بعد شهر في سفينة أخرى.

هز (شاكر) رأسه نفيا وهو يقول:

- لن أستطيع فبعد شهر من الآن سوف يتم حصاد المحاصيل الزراعية تمهيدا لبيعها من الارضى التي امتلكها ويجب أن أكون متواجد لأقوم بالإشراف على عملية بيعها بنفسي.

أجهشت (صوفيا) بالبكاء وأسرعت تغادر الحجرة على الفور بينما أومأ والدها برأسه متفهما وهو يقول بحزم:

- إن مصلحتك فوق كل شئ يا بني.

غادر(شاكر) حجرة المكتب وصعد إلى حجرة زوجته في الطابق الثاني حيث كانت تجلس فوق الفراش وهى تبكي في لوعةفتقدم منها زوجها بهدوء وجلس بجانبها فوق الفراش وهو يسألها قائلا:

- لماذا تبكي يا زوجتي العزيزة بهذا الشكل.فأجابته قائلة في صوت خافت:

-أنت لم تمكث معنا وقتا كافيا ولقد كنت أريدك أن تذهب معي لزيارة أقاربي الذين يسخرون من كوني متزوجة من رجل مصري لأريهم هذا الفلاح كما يطلقون عليك يا زوجي.

ابتسم (شاكر) وهو يضمها إلي صدره في حب كبيروهمس بسمعها قائلا:

- لا يهمنى أحدا سواك يا عزيزتي الغالية فأنتي كل ما يهمنى بالإضافة وأبناءناااللذان يشبهونك كثيرا.

مسحت (صوفيا) دمعة تنساب فوق وجنتيها وهى تقول له:

- يا لك من مجامل يا زوجي الحبيب.

انحنى (شاكر) يطبع قبلة حانية فوق جبهة زوجته ثم اعتدل قائلا بجدية

- سوف أقوم الآن بإعداد حقائبي.

قفزت (صوفيا) من فوق الفراش وهى تقول:

- لن يعد أحد حقائبك سواى.ثم أسرعت تفتح صواب الملابس وأخرجت ملابس زوجها والحقائب استعدادا لإعدادها. لكنها فوجئت به يضمها من الخلف ثم حملها وتوجه بها نحو الفراش وطرحها فوقه برفق قائلا:

-ليس هذا وقت أعداد الحقائب فلقد اشتقت لكي كثيرا يا حبيبتي.

فما كان منها إلا أن قبلته قبلة طويلة وشرب (شاكر) من غرامها حتى الثمالة.

كارولين.

استيقظت (كارولين) إحدى الخادمات التي تعمل داخل القلعة عندما شعرت بالظمأ فخرجت من باب حجرتها تتلمس بعض الماء لتشرب لكنها وجدت جميع أوعية المياه فارغة تماما من الماء فحملت وعاء مصنوعا من الفخار وشمعة كبيرة وخرجت لساحة القلعة ومشت قليلا حتى وصلت لبئر الماء فهبطت درجات السلم التي كانت تؤدي لحافةالبئر في حرص حتى لا تنزلق فوق درجات السلم وما إن وصلت لفوهة البئر فأمسكتبذلك الدلو الخاص بملء الماء من داخل البئر وكان مربوطا بواسطة حبل طويل حتى تتمكن من إنزاله للبئر لتملاه وتعيد جذبه لأعلى مرة ثانية.

بعد انتهاء (كارولين) من ملء الوعاء الفخاري الذي أحضرته معها وهمت بالعودة للقلعة تناهى إلى مسامعها صوت ينادي عليها من داخل البئر كان ذلك الصوت قادما من قاع البئر فتقدمت (كارولين) من حافة البئر وهى تمسك الشمعة وتصوب ضوءها لداخل البئر لعلها تبصر شيئا لكن الظلام كان حالكا داخل البئر ولكن ذلك الصوت الذي أخذ ينادي عليها أستمر بإلحاح شديد.كما وصل لسمعها أصوات تشبه خفقان أجنحة عملاقان تقترب من حافة البئر في سرعة كبيرة وبالرغم من أنها كانت تستطيع الهرب بعيدا عن حافة البئر والعودة لداخل القلعة ولكنه ذلك الفضول الذي قتل الهر.ارتفعت أصوات ضربات الأجنحة بشدة من حافة البئر بينما أخذت (كارولين) تحملق في قاع البئر مسحورة من ذلك الصوت الذي يناديها باسمها في إلحاح فأخذت تتساءل عمن يكون داخل البئر هل هو أحد الخدم يحاول أن يخيفها أو أنه يمازحها كانت تتساءل عن ذلك الشئ القادم من أعماق البئر عندما جاءتها الإجابة بشكل غاية في الرعب فمن بين ظلام البئر وعلى ضوء الشمعة المتذبذب برزت تلك الشيطانة الرهيبة من داخل البئر بجناحيها العملاقان وقرونها الملتوية الكبيرة وقد برزت أنيابها في شكل شديد البشاعة وامتدت مخالبها نحو عنق الخادمة المسكينة وهى تبتسم في وحشية فتراجعت (كارولين) في رعب هائل وألقت بدلو الماء والشمعة في وجه ذلك الشئ المرعب وهي تطلق صرخة مدوية وتهم بالهرب بعيدا عن البئر لكنها فوجئت بتلك الشيطانة تقطع عليها طريق الهرب وتقبض على عنقها بوحشية وتحملها وتقفز بها داخل البئر لتتناول عشائها المفضل لديها المكون من اللحم البشري هناك في أعماق البئر.

الخادمة (كارولين)

استيقظت (صوفيا) من نومها وجلست فوق الفراش تتطلع لزوجها النائم بجانبها في حنان بالغ عندما تناهى إلى مسامعها صوت تلك الصرخة التي أطلقتها (كارولين) قبل أن تختطفها تلك الشيطانة وتأخذها لداخل البئر.

أسرعت (صوفيا) تنهض من فوق الفراش بحذر حتى لا توقظ زوجها النائم بجانبها وارتدت خفها وفتحت باب الحجرة بحذر تام وعادت تغلقه خلفها بحذر مماثل.

هبطت (صوفيا) درجات السلم علي الفور ووقفت في البهو الواسع وأخذت تبحث عن مصدر تلك الصرخة التي أيقظتها من نومها ولكن المكان كان هادئ تماما.

ظنت (صوفيا) بأنها كانت تحلم عندما لمحت شيئا يتحرك في أقصى البهو بسرعة كبيرة.

لكنها كانت تمتاز بالشجاعة ولا تهاب شئ فأسرعت للمائدة التي توجد في البهو وحملت من فوقها شمعدان فضي يحمل عددا من الشموع المشتعلة والتي أعدت لإنارة المكان فحملته بالكامل وتوجهت لذلك الركن الذي لمحت ذلك الشئ يتحرك به.

اقتربت (صوفيا) من ذلك الركن المظلم فتبدد ظلامه بضوء الشموع المتذبذب التي تحمله لكنها لم تجد سوى المرأة العملاقة الموجودة بالبهو حيث انعكس صورتها داخلها.

كانت صورتها المنعكسة داخل المراية تدعوا للخوف خاصتا مع وجود ذلك الضوء المذبذب الصادر من الشموع التي تحملها.

همت (صوفيا) بالابتعاد عن المراية عندما أبصرت بطرف عيناها شخصا يقف في مواجهتا يحدق بها من داخل المراية.

التفتت (صوفيا) سريعا تحملق في المراية ثم تراجعت في رعب هائل وأطلقت صرخة مدوية شقت سكون الليل لتبدد هدوءه على الفور وتوقظ جميع سكان القلعة.

فلقد أبصرت سيدة تتشح بالسواد ذات شعر قصير كالرجال وترتدي ملابس من القرن الماضي وتنظر لها نظرة مرعبة.

وكانت تقف داخل المرآة وخلفها مرآة أخرى بها نفس السيدة وفي المرآة الاخري توجد مرآة ثالثة وداخلها انعكاس لنفس السيدة وجميع الانعكاسات تحدجها بنظرة

مرعبة يشيب لها الولدان فما كان من (صوفيا) إلا أن أطلقت صرخة رعب مدوية وسقطت فاقدة للوعي أسفل المرأة.
أستيقظ القلعة بالكامل وأسرع جميع الخدم يحمل المشاعل ليروا سبب تلك الصرخة التي أطلقتها سيدتهم بينما قفز (شاكر) في هلع عندما أستيقظ على صوت صراخ زوجته ومما زاد من خوفه عليها إنه لم يجدها نائمة بجانبه فوق الفراش.
فأسرع يغادر الحجرة وانطلق يهبط درجات السلم حيث أبصر جسد زوجته المسجى على أرضية البهو و(عبد الصمد) بجانبها يحاول إنعاشها في قلق فلقد كان أول من أستيقظ علي صوتها.
أسرع (شاكر)يحمل زوجته وصعد بها لغرفتها يتبعه والدها الذي جاء هو الأخر ،وضعها (شاكر)فوق الفراش في حرص وأخذ يربت على وجنتها بقلق بالغ حتى بدأت تفيق من إغماءتها ثم نظرت له هو ووالدها اللذان يجلسان بجانبها فوق الفراش وأجهشت ببكاء حار وهى تدفن وجهها في صدر زوجها.
فسألها زوجها عما حدث لها:
فنظرت له في خوف ثم قصت على مسامعه هو ووالدها بما شاهدت بداخل المرآة.
فتبادل (شاكر) ووالدها النظرات فيما بينهم في خوف فقالت (صوفيا):
-هل تخفيان شيئا عني.
ولكنها لم تتلقى أي إجابة عن سؤالها.

عاد (عبد الصمد) لحجرته وجلس فوق طرف الفراش وأخذ يتأمل سقف الحجرة في شئ من الخوف ترى ماذا يحدث داخل تلك القلعة الرهيبة كان يحدث نفسه عندما أبصر تلك السيدة القبيحة الذي أعتاد على رؤيتها كل ليلة بجوار الفراش.
كانت تقترب من الفراش الذي يجلس عليه بلا صوت فلقد أكتشف إنها تمشي في الهواء ولا تمس أقدامها أرضية الغرفة نهائيا.
كان شبح العجوز القبيحة يقترب منهفي منظر يجمد الدماء في أعتى القلوبولكنه لم يتزحزح قيد أنملة فلقد قرر مواجهتها هذه المرة دون خوف وبالفعل ما أن أحس بأنفاسها الباردة ترتطم بوجهه حتى أستجمع كل شجاعته وصرخ في وجهها بحده شديدة قائلا:

-ماذا تريدين أيتها العجوز القبيحة أرحلي من هنا فأنا لا أخافك ولا أهابك أبدا.
وأمام عيناه المذهولة أبصر جسدها الشفاف وهو يتبخر في فراغ الحجرةوهي تطلق صرخات مرعبة حتى اختفت تماما فتنفس الصعداء بعد اختفاء ذلك الشبح الذي أرعبه طوال مدة أقامته في تلك الحجرة اللعينة فلقد تذكر تلك القصص التي كان جده يقصه على مسامعه عن الجن وما شبه ولقد أخبره بأن تلك الأشياء تخاف من يواجها دون خوف بينما تزيد من مهاجمة من يخافها وبالفعل فلقد عمل بنصيحة جده ونجحت بالفعل.

عندما أستيقظ أهل القلعة أسرع الخدم لتحضير طعام الإفطار على الفور بينما ودع (شاكر) زوجته وأولاده والسير (توماس) وغادر هو و(عبد الصمد) القلعة حيث ركبوا العربة التي تجرها الجياد مغادرين القلعة في طريقهم للميناء للحاق بالسفينة.
كان العربة قد غادرت أرض المستنقعات بالفعل عندما أكتشف الخدم اختفاء الخادمة (كارولين) من القلعة بأكملها فأسرعوا يخبرون سيدهم الذي كان يجلس هو وأبنته التي كانت تقص على مسامعه ما شاهدته داخل المرآة للمرة المائة.
ولأنه كان من المستحيل على أحدا مغادرة القلعة دون أن يراهالحراس فلقد أمرهم السير (توماس) جميعابترك جميع أعمالهم والبحث عنها في جميع أنحاء القلعة وبالفعل انطلق الجميع للبحث عنها بينما أخذ السير يزرع حجرة المكتب ذهابا وعودة وقد عقد ذراعيه خلف ظهره وهو يفكر في كيفية اختفاء تلك الخادمة من داخل القلعة بذلك الشكل، وكذلك ما ذلك الشئ الذي شاهدته أبنته (صوفيا) داخل المرآة إنه يعلم تماما بوجود الأشباح التي تمرح داخل القلعة منذ زمن بعيد ولكن تلك الأشباح لم تكن تهاجم أحدا قط من أهل القلعة وكانت تشاهد فقط في حجرة الخادمة العجوز تلك الحجرة التي سكنها خادم (شاكر) أثناء أقامته بالقلعة وكذلك هناك في أرض المستنقعات ولكنها لم تتجسد لأحد من أهل القلعة بذلك الشكل من قبل.

كان كل ذلك يدور في رأسه عندما أقتحم أحد الخدم حجرة المكتب دون استئذان وهو يلهث بشدة ثم ما لبث أن أخبره بأنهم قد عثروا على جثة الخادمة داخل البئر وقد انتزع قلبها من مكانه انتزاعا بينما قام أحدهم بامتصاص دمائها من جسدها بالكامل وقد ألتوت أطرافها بشكل بشع فأسرعالسير (توماس) ينطلق إلى البئر وعندما وصل فوجئ بجثة (كارولين) التي ألتوت جميع أطراف جسدها بشكل شديد البشاعة ولقد اخترقت قبضتها اليمنى فمها بقوة شيطانية لتخرج من منتصف رأسها للخارج في شكل رهيب.

أفرغ السير (توماس) ما في جوفه من هول المشهد ثم رفع بصره ينظر لباب القلعةحيث غادر (شاكر) منذ حوالي ثلاث ساعات من الزمن وقد تذكر أمر تلك العصا الملعونة التي أشتراها زوج ابنته من ذلك المزادياللهول لقد رحلزوج أبنته وهو يحملهالمصر حيث سيحمل اللعنة معه إلى يا ليته ما كان أعلمه بشأن ذلك المزاد.

شبح داخل المرآة

العودة للوطن.

صعد (شاكر) إلي سطح السفينة في وقار وهو يمسك تلك العصا غريبة الشكل التي قام بشرائها من ذلك المزاد بين كفيه في زهو وخيلاء.

كانت عيون المسافرين تحدق في تلك العصا وقد فغرت أفواههم إعجابا من جمالها وروعة تصميمها التي يمسك هذا الأخير.
ولقد لاحظ (شاكر) نظرات الإعجاب والحقد والطمع أيضا التي أطلت من عيون أغلب المسافرين الموجدين على سطح السفينة فلقد كان أغلب المسافرين من الإنجليز وقد أحنقهم أن يملك مصري مثله تلك التحفة البديعة.
كان (عبد الصمد) يتبعه كظله وهو يحمل حقيبته وحقيبة سيده الجلدية الفاخرة التي تحتوي على أغراض سيده.
هم (شاكر) بالتوجه لحجرته التي حجزها على سطح السفينة عندما أرتفع صوت صديقه القبطان من خلفه قائلا:
-مرحبا بصديقي العزيز على سطح سفينتي المتواضعة.
نظرإليه (شاكر) وابتسم قائلا:
-شكرك لأنك بعث لي بخطابك الذي أنبأتني فيه بقيام رحلة سفينتك مبكرا.
قهقه القبطان بصوت مرتفع قائلا:
-ذلك لأنك صديقي العزيز ومن (مصر) أحب البلاد لقلبي أتدري بأنني أعشق بلادك أكثر من بلادي بكثير وأتمنى أن أعيش هناك للأبد وأن أدفن داخل ترابها عند موتي لأتمتع بدفئها الدائم للأبد.
ضحك (شاكر) بينما ارتسمت علامات السخرية على ملامح (عبد الصمد) لذلك القول الأحمق الذي صدر من ربان سفينة عملاقة كتلك أيتوقع أن يستمتع بالدفء وهو مدفونا تحت الثرى.
لاحظ القبطان علامات السخرية التي ارتسمت على وجه خادم (شاكر) فنظر إليه بغضب وهم بزجره عندما أبصر تلك العصا التي يمسك بها صديقه في كلتا يديه ففغر فاه في أعجاب شديد وصاح قائلا:
-من أين حصلت على تلك العصا الرائعة أنها تحفة فنية بحق بدون مجاملة.
فأجابه (شاكر) في زهو:
-لقد اشتريتها من أحد المزادات في بلادكم.
اتسعت عين القبطان دهشة وقال:

-يا لك من رجل كيف استطعت البحث عن مزاد لشراء تلك التحفة في تلك الأيام القليلة التي قضيتها في بلادنا.

أبتسم (شاكر) دون أن يتفوه بشئ.

فسأله القبطان قائلا:

-وكم دفعت ثمنا لها.

مال (شاكر) على أذنيه قائلا في همس:

-لقد دفعت بها ما يعادل مائة جنيه مصري ثمنا لها.

أطلق القبطان صفير ينم عن الدهشة وقال في ذهول:

-مائة جنية مصرية دفعة واحدة يا له من ثمن ،إنها ثروة يا رجل

قال (شاكر) بمبالاة:

-وماذا في ذلك لقد أعجبتني العصا ولو كنت دفعت فيها أكثر من ذلك بكثير لفعلت دون تردد.

قال القبطان:

-أتعلم كم يبلغ سعر الجنيه المصري يا رجلأكثر من خمسة جنيهات إنجليزية دفعة واحدة وذلك يعني بأن تلك العصا قد بلغ ثمنها أكثر من خمسمائة جنيه إنجليزي دفعة واحدة.

هز (شاكر) رأسه في مبالاة وكأن الأمر لا يعنيه بتاتا.

هم القبطان بتكملة حديثه عندما أرتفع صوت أحد مساعديه ينادي عليه ويخبره إن ميعاد مغادرة السفينة للميناء قد حان موعده الآن فأسرعالقبطان ينطلق نحو حجرة قيادة السفينة على الفور تاركا (شاكر) الذي حمد الله على رحيل ذلك القبطان الثرثار بعد أن سأم من كثرة حديثه ثم نظر نحو (عبد الصمد) وقال له:

-أذهب وضع الحقيبة داخل الحجرة رقم عشرون فإنها الحجرة التي سوف أنزل بها ثم أذهب أنت لتستريح داخل الحجرة رقم سبعون فلقد حجزتها لك.

هز(عبد الصمد)رأسه في امتنان شديد ثم توجه نحو الممر الذي يحتوي علي غرف المسافرين وأخذ ينظر للأرقام التي توجد على أبواب الغرف حتى عثر علي الغرفة رقم عشرون فقام بفتح بابها حيث وضع حقيبة سيده فوق المائدة التي توجد بجانب

الفراش وهم بالخروج من الحجرة عندما وجد سيده يلحق به داخل الحجرة فوقف ينتظر أوامر منه.
ولكن (شاكر) نظر إليه قائلا:
-شكرا لك يا رجل سوف أخلد للنوم بعض الوقت لأستعيد بعض النشاط ،اذهب أنت أيضا لأخذ قسطا من الراحة ولا تحاول إيقاظي قبل حلول الظلام.
غادر (عبد الصمد) الغرفة وأغلق بابها خلفه على الفور بينما ألقى (شاكر) عصاه فوق الفراش وأسرع يغلق الباب من الداخل بالمزلاج حتى لا يستطيع أحدا دخول الغرفة أثناء نومه ويقوم بالاستيلاء على العصا ، ثم خلع حلته وقام بتعليقها على المشجب الموجود بجانب الفراش ثم تمدد بجانب عصاه فوق الفراش دون أن يخلع حذاءه عندما شعر باهتزاز السفينة فعلمبأنها قد بدأت بالتحرك ومغادرة الميناء.
وما لبث أن راح في سبات عميق من شدة التعب وتمايل جسد السفينة.
أستيقظ (شاكر) على صوت طرقات خفيفة على باب غرفته فاعتدل جالسا فوق الفراش وأخذ يفرك عيناه وصاح قائلا:
-من الطارق.
أتاه صوت خادمه (عبد الصمد) قائلا:
-إنه أنا يا سيدي فلقد تجاوزت الساعة السابعة مساءا ولقد حان موعد طعام العشاء يا سيدي فوق سطح السفينة.
دهش (شاكر) لأنه قد نام كل ذلك الوقت دون أن يشعر به لكنه نهض من فوق الفراش وفتح باب الغرفة وسأل خادمه قائلا:
-هل تناولت طعامك.
(عبد الصمد):
-ليس بعد يا سيدي لقد جئت لأوقظك أولا لتلحق بميعاد طعام العشاء.
هز (شاكر) رأسه وأمر (عبد الصمد) بانتظاره بعد الوقت أمام باب الغرفة حتى يقوم بتغير ملابسه المتسخة حيث عاد فأخرج قميصا نظيفا من حقيبته وحلة أخرى غير التي حضر بها للسفينة وأسرع يغير ملابس وأخذ عصاه من فوق الفراش وغادر الغرفة متوجها لقاعة الطعام لتناول عشاءه يتبعه (عبد الصمد).

دار (شاكر) ببصره في أرجاء قاعة الطعام حتى عثر على مائدة لا يجلس أحدا حولها فتوجه إليها فجلس فوق أحد مقاعدها وأشار ل(عبد الصمد) قائلا:
-أجلس لتناول طعام العشاء معي.
اتسعت عين هذا الأخير في دهشة بالغة فلقد اعتاد تناول الطعام مع سيده كثيرا من ولكن ليس في أماكن عامة وهم بقول شيئا ما ولكن (شاكر) قال في لهجة أمره:
-قلت لك أجلس لتناول الطعام معي.
أسرع (عبد الصمد) بتنفيذ أمر سيده دون مناقشة بينما أخذ(شاكر) ينادي على النادل الذي حضر على الفور وانحنى في احترام بالغ وهم بسؤال (شاكر) عن الطعام الذي يريد تناوله ولكنه أبصر (عبد الصمد) يجلس هو الآخر فاعتدل قائلا ل(شاكر):
-سيدي إن قوانين السفينة تمنع جلوس الخدم لتناول الطعام على موائد المسافرين.
نظر إليه (شاكر) قائلا في صرامة:
-إنه خادمي الخاص وأريده أن يتناول طعام العشاء معي.
هم النادل بالاعتراض عندما أخرج (شاكر) شلنا إنجليزيا وناوله له.
وقال له في لهجة أمره:
-أذهب فأحضر وجبتان من الطعام الدسم لأننا لم نتناول طعام الغذاء.
انطلق النادل على الفور لإحضار الطعام بعد أن وضع الشلن الذي نفحه إياه (شاكر) في جيب سترته العلوي بينما ارتفعت نظرات غاضبة من المسافرين الموجدين بحجرة الطعام وهمسات احتجاجا على جلوس أحد الخدم لتناول الطعام كواحد منهم.
وما لبث النادل أن حضر على الفور وهو يحمل صينية وقد امتلأت بأشهى أنواع الطعام ووضعها فوق المائدة وأسرع بالانصراف على الفور ليتجنب نظرات الغضب التي يرمقه بها باقي المسافرين لأنه قد أحضر لهم ذلك الطعام..
لم يلتف (شاكر) لصيحات الغضب التي تعالت من حناجر الموجدين بقاعة الطعام وأمر (عبد الصمد) بتناول الطعام على الفور دون الاهتمام بتلك الصيحات الغاضبة.

في تلك اللحظة هب أحد الجالسين من فوق مقعده واتجه للمائدة التي يجلس عليها (شاكر) يتناول الطعام مع (عبد الصمد) وانحنى نحوهقائلا في غضب:
-كيف تسمح لنفسك أيها المصري بإحضار خادمك اللعين وتجعله يجلس حول المائدة بل ويتناول طعامه كأحد الرجال الارستقراطيين.
لم يرفع (شاكر) بصره عن الطعام وهو يقول للرجل في تحد صارخ:
-لست أعتقد بأن ذلك الأمر يخصك في شئ أيها الرجل.
صاح الرجل الذي كان يرتدي حلة ضابط في الجيش الإنجليزي قائلا بغضب هادر:
-أيها المصري الحقير كيف تجرؤ على التحدث معي بتلك الطريقة الوقحة ألا تعلم أننا أسيادكم أيها الفلاحون.
توقف (شاكر) عن مضغ الطعام عندما نعته الرجل بالمصري الحقير وهب واقفا والشرر يتطاير من عينيه وصاح قائلا:
-كيف تجرأ أيها الإنجليزي الوضيع وتقول إنكم أسيادا لنا،أنتم مجرد دولة حقيرة محتلة جئتم لسرقة خيرات بلادي ليس أكثر أو أقل.
صاح الضابط الإنجليزي قائلا وقد أحمر وجهه من شدة الغضب:
-أيها المصري الحقير كيف تجرأ على أهانة بريطانيا العظمى بتلك الكلمات يا أحط شعب على وجه الأرض بأسرها أتعلم مع من تتحدث أيها ال.....
لكن الرجل لم يكمل جملته فلقد هوت قبضة (شاكر) فوق فكه لتخرسه على الفور وتقتلع له زوج من أسنانه الأمامية بلا رحمة.
تراجع الضابط الإنجليزي في ذهول شديد مما فعله (شاكر) وأسرعيضع كفه على فمه محاولا وقف تلك الدماء.
وقف جميع المسافرين ينظرون في ذهول لما حدث فلم يكن أحدا من الموجدين يتخيل أن يقوم (شاكر) بضرب الضابط الإنجليزي الذي صاح في سخط هائل بعدما أفاق من وقع تلك المفاجأة:
-كيف تجرؤ أيها المصري ال.....
ولكن (شاكر) قال بلهجة تهديد واضحة:
-إياك أن تذكر أسم بلادي بسوء أيها الإنجليزي الحقير.

هب الإنجليز جميعا من فوق مقاعدهم والشرر يتطاير من عيونهم بعدما أهان (شاكر) أحدهم بل لقد نعته بالإنجليزي الحقير فلقد أعطوا لأنفسهم كامل الحق في قول وفعل ما يريدون وقتما يشاءون نعم ولما لا وهم أسياد العالم.
اتجه جميع الرجال الإنجليز نحو (شاكر) للفتك به لكنهم فوجئوا بالمسافرين المصريين الامراء والبشوات الذين كانوا مسافرين معهم على مدن السفينة ينهضون هم أيضا ولكن للدفاع عن (شاكر) بعدما راق لهم ما فعله منذ قليل.
تعالت الصيحات من جميع الموجودين داخل حجرة الطعام وقد أوشك قيام معركة هائلة بين المصريين والإنجليز بعدما تكهرب الجو داخل قاعة الطعام.
ولكن انطلقت فجأة صوت طلقة نارية تصم الأذان داخل قاعة الطعام.
فالتفت الجميع يبحث عن مصدر صوت تلك الطلقة ليفاجئوا جميعا بقبطان السفينة وهو يمسك بغدارة التي تتصاعد من فوهتها الدخان.
صاح القبطان في غضب هادر.
-ماذا يحدث أيها السادة هل نشبت معركة (أبو قير) هنا فوق سطح سفينتي.
صاح الضابطالإنجليزي الذي ضربه (شاكر) وهو يتقدم من القبطان:
-لقد قام ذلك المصري بتحطيم أسناني دون رحمة أو شفقة لأنني اعترضت على تناول خادمهالطعام معنا داخل قاعة الطعام ولا يحق له الجلوس علي المائدة لتناول الطعام في تلك القاعة مثل باقي المسافرين لأنها خاصة بالطبقة الارستقراطية فقط.
نظر القبطان ل(شاكر) في استياء واضح وهم بقول شيئا ما عندما انحنى أحد الرجال الإنجليزالذين كان متواجد بالقاعة وشاهد ما حدث منذ البداية.
وبعد أن انتهى الرجل من حديثه الهامس رفع القبطان رأسه نحو الضابط الإنجليزي قائلا:
-بل قام بضربك لأنك قمت بإهانة بلاده منذ قليل.
صاح الضابطالإنجليزي قائلا في غضب:
-أتدري من أنا أيها القبطان أنا ضابط بالجيش الإنجليزي أتنصف مصريا على أحد رعايا التاج.
نظر إليه القبطان لعدة لحظات ثم قال له في خفوت:

-أتبعني أيها الضابط.

هم القبطان بمغادرة القاعة لكنه توقف وقال مخاطبا (شاكر):

-(شاكر) باشا أرجو منك الحضور لحجرتي فأنا أريد الحديث معك قليلا.

قال شاكر وهو يعاود الجلوس على المائدة ليكمل طعام عشاءه:

-حسنا ولكن عندما انتهي من تناول طعام العشاء أولا.

كان (عبد الصمد) واقفا وقد تدلى فكه من الذهول فلم يكن يتصور أن يقوم سيده بفعل ذلك أبدا.

وقف الضابط الإنجليزي أمام مكتب قبطان السفينة وهو يزوم في غضب قائلا:

-كيف تقف بجانب مصري ضد ضابط في الجيشالبريطاني أيها القبطان.

نظر إليه القبطان في صمت للحظات ثم أشار إليه بالجلوس:

قال الضابط الإنجليزي في سخط:

-أنني لن.....

أشار القبطان للضابط بالجلوس قائلا بصوت صارم:

-قلت لك أجلس أيها الضابط وإلا أمرت بحارتي بإلقائك من فوق سطح سفينتي علي الفور وأنت تعرفي بأن في استطاعتي فعل ذلك.

جلس الضابط رغما عنه بعدما رأى غضب القبطان الذي أمسك قلمه الحبر وأخذ يتلاعب به بين أصابع يده اليمنى ثم رفع بصره نحو الضابط قائلا:

-أتعلم من ذلك الرجل الذي تشاجرت معه في حجرة الطعام منذ قليل.

الضابط الإنجليزي:

-مجرد رجل مصري يملك الكثير من المال.

نهض القبطان من خلف مكتبه وشبك أصابع يده خلف ظهره وأخذ يذرع الحجرة مجيئا وذهابا ثم نظر إليه قائلا:

-إنه من أكبر أعيان مدينة أسيوط ومن أكبر المصدرين لمحصول الكروم للجيشالبريطاني الذي يقوم بزراعته في مزارعه المنتشرة في أنحاء القطر المصري.

سكت القبطان قليلا ليلتقط أنفاسه ثم أكمل قائلا:

-(شاكر) هذا يحمل لقب باشا قد ورثه عن والده ،وهو أيضا متزوج من الليدي(صوفيا) جميلة جميلات مدينة (ويلز) وابنة السير (توماس هاري) وبالطبع فأنت تعلم جيدا من هو السير (توماس) فلقد كان من أشهر القادة الإنجليز في الشرقالأوسط أيها الضابط.

اتسعت عين الضابط من الدهشة بعدما علمتبتلك الأشياء عن ذلك الرجل الذي تشاجر معه منذ قليل.

توقف القبطان فجأة بمنتصف الحجرة ونظر للضابط قائلا:

-والآن بعدما علمت مع من تشاجرت هل أُقوم بتسجيل ما حدث بقاعة الطعام في دفتر يوميات السفينة وأعرضه على القادة عند عودتي لإنجلترا أيها الضابط.

هز الضابط رأسه نفيا وقال بخوف:

-إنني لم أكن أعلم كل تلك الأشياء أيها القبطان.

هم القبطان بقول شيئا ما عندما ارتفعت ثلاثة دقات واثقة على باب الحجرة صاح القبطان يدعوا من بالخارج للدخول.

أنفتح الباب ووقف (شاكر) على عتبته في هدوء وهو يتوكأ على عصاه الشيطانية وقال موجها كلامه للقبطان:

-أيسمح لي القبطان بالدخول.

قال القبطان في ترحاب:

-وهل أنت تحتاج إذنا لدخول حجرتي يا (شاكر)باشا.

تقدم (شاكر) بخطوات واثقة حتى وصل لمكتب القبطان فجلس على المقعد المواجه للضابط ونظر إليه نظرة استعلاء وهو يضع قدما فوق الأخرى لكن فوجئ بالضابط الإنجليزي وهو يهب من فوق مقعده قائلا: اعتذر عما بدر مني في حقك يا (شاكر باشا) فلم أكن أعلم بأنك صهر السير (توماس).

حدق (شاكر) في وجه الضابط في دهشة بالغة الذي بادر بالاعتذار على ذلك النحو فلم يكن يتوقع منه الاعتذار أبدا.

عاد الضابط إلى مقعده مرة أخرى وأبتسم من علامات الدهشة التي ارتسمت فوق ملامح شاكر وقال:

-لقد أخبرني القبطان بأنك متزوج من ابنة السير (توماس هاري) هل هذا صحيح.

نظر إليه (شاكر)في تعجب لاهتمامه بذلك الأمر الذي لا يخصه فقال له في جفاء:

-لست اعتقد بأن ذلك الأمر يخص الجيش البريطاني أيضا أيها الضابط.

قهقه الضابط بملء شدقيه من عبارة ذلك الأخيرمعتقدا بأنه يمازحه.

تعجب (شاكر) من ضحكات الضابط العالية وشاركه القبطان تلك النظرة.

ولكن الضابط توقف عن الضحك وقال بجدية: أتدري يا باشا بأن زوجتك (صوفيا) هى ابنة عمي السير (توماس). حدق (شاكر) في وجهه وكذلك فعل القبطان للحظات ،ثم قهقه القبطان وقال:

-أتعني بأنك لم تكن تعلم بأنه متزوج من ابنة عمك إلا عندما حدث ذلك الشجار بينكما.

أبتسم الضابط قائلا: نعم أقسم بأنني لم أكن أعلم بذلك الأمر إلا عندما أخبرني القبطان بذلك الأمر، أنت قد حطمت اثنان من أسناني كما أهنت بلادي أيضا مثلما أهنت بلادك وهكذا أصبحنا متعادلين..نظر إليه (شاكر) للحظات ثم أبتسم ومد يده يصافح الضابط قائلا:

-حسنا لقد أقنعتني أيها الضابط.

قال الضابط في حماس شديد:

-أدعوني (ستيفن) يا باشا..

(شاكر): حسنا يا (ستيفن) لقد قبلت اعتذارك وأرجو أن تقبل اعتذاري أنا أيضا.

نهض القبطان من خلف مكتبه وتوجه لمكان مخصص لزجاجات الخمر حيث تناول منه زجاجة خمر معتقة وثلاثة كؤوس صغيرة الحجم ووضع أمام كلا منهما كأسا فارغا وصاح بحماسة قائلا: والآن لنحتفل بذلك الصلح المصري الإنجليزي المشترك.

وبعد أن ملئ القبطان الكؤوس بالخمر حتى رفع ثلاثتهم كؤوسهم عاليا ثم أفرغوها داخل أفواههم دفعة واحدة.

مقتل البحار الزنجي.

استيقظ (شاكر) في اليوم التالي على صوت طرقات متتالية على باب حجرته فنظر لسقف الحجرة وهو يشعر بدوار شديد فلقد كان يشعر بأن هناك مطارق تضرب رأسه بلا رحمة فلقد أكثر من تناول الخمر بالأمس مع القبطان والضابط (ستيفن).

ارتفع صوت (عبد الصمد) من خارج الحجرة وهو يقول في قلق شديد:

-سيدي هل أن بخير.

تحامل (شاكر) على نفسه ونهض من فوق الفراش واتجه ناحية الباب وفتحه قائلا وهو يمسك رأسه في ألم شديد:

-أذهب وقم بإحضار قدح من القهوة المركزة فأن الصداع يكاد أن يمزق رأسي من شدته.

أسرع (عبد الصمد) لإحضار قدح القهوة الذي طلبه منه (شاكر) على الفور.

بينما عاد هو ليجلس فوق الفراش بعدما أحس بدوار شديد.

عاد (عبد الصمد) علي الفور وهو يحمل قدح القهوة وقرصين للصداعوناولهم له فوضعهم تحت لسانه وأفرغ قدح القهوة داخل فمه دفعة رغم أن القهوة كانت ساخنة جدا.

عدة دقائق وبدأ يشعر ببعض التحسن وبزوال ذلك الصداع اللعين فنهض وتوجه لدورة المياه الملحقة بغرفته حيث خلع جميع ملابسه وأخذ دشا باردا أنعش جسده على الفور ثم غادر دورة المياه بعد أن انتهى من الاستحمام وهو يلف منشفته الخاصة حول نصفه السفلي.

كان (عبد الصمد) قد قام بإخراج قميص وحلة نظيفة لسيده وبعض الملابس الداخلية ووضعهم فوق الفراش ثم خرج ووقف أمام باب الحجرة انتظارا لخروج (شاكر).

وعند خروج ذلك الأخير من دورة المياه قام بارتداء ملابسه على عجل ثم خرج من حجرته وهو ممسكا العصا التي لم تعد تغادر قبضته أبدا.

وتوجه لسطح السفينة حيث أستند على حاجز السفينة ثم طلب من (عبد الصمد) بإحضار قدح أخر من القهوةفأسرع ذلك الأخير لإحضار قدح القهوة بينما أخذ (شاكر) يرمق مياه المحيط في شرود.

كان السفينة تتمايل بشدة مع هبوب الرياح وكان هو ما زال يعاني من بعض الدوار فتوجه ناحية أحد المقاعد المتناثرة فوق سطح السفينة بغية جلوس المسافرين وعندما اقترب من أحد المقاعد ارتطم به رجلا زنجيا يرتدي زى البحارة كان يجري مسرعا فسقط الاثنان أرضا.

هم (شاكر) بسب الرجل بأفظع الشتائم عندما فوجئ به ينهض ويمد إليه يده ليساعده على النهوض من سقطته قائلا بمصرية سليمة:
-اعتذر يا سيدي لأنني تسببت في سقوطك ولكنني لم أكن أقصد ذلك.
أمسك (شاكر) يد الرجل الزنجي ونهض وهو يقول متعجبا:
-أرى إنك تتحدث المصرية بطلاقة يا هذا ولكن لون بشرتك لا يوحي بكونك مصريا.
-أبتسم الرجل قائلا وهو ينحني لالتقاط عصا (شاكر):
-أنني سودانيا ولكن والدتي مصرية و.....
بتر الرجل عبارته وهو يحدق بالعصا وقد اتسعت عيناه رعباثم نظرل(شاكر) قائلا في صوت مرتعش:
-سيدي من أين حصلت على ذلك الشئ الملعون.
قال (شاكر) في غضب شديد وهو يمد يده لأخذ العصا من قبضة الرجل:
-كيف تجرؤ أيها الزنجي اللعين أعطني تلك العصا.
ولكن الرجل بدلا من يعطيه العصا رفعها عاليا وقذفها بكل ما يملك من قوة من فوق حاجر السفينة لتهوي في مياه البحر.
جن جنون (شاكر) وهو يشاهد العصا تتجاوز حاجز السفينة بأكثر من نصف المتر قبل أن تسقطمن حالق فلقد كان يعلم جيدا بأن العصا ستغوص في أعماق المحيط بسبب ثقل الجزء الأمامي المصنوع بأكمله من الذهب الخالص.
فانطلق يجرينحو حاجز السفينة وهو يمني نفسه بعدم غرق العصا لكنه توقف مندهشا بجانب الحاجز غير مصدق فأمام بصره وجد العصا وقد أنغرس أحد قرون التمثال الموجود في مقدمتها داخل خشب الحاجز ولكن من الخارج وبالرغم من انه شاهدها وهي تتجاوز الحاجر بأكثر من نصف متر كما إنه يعلم تماما استحالة أنغراسها في حاجز السفينة مع سقوطها بتلك الزاوية المستقيمة التي ألقاها بها ذلك الزنجي.
لكن سعادته البالغة بعودة العصا إليه جعلته لا يلاحظ تلك الأمور وهو يجذب العصا المغروسة في حاجز السفينة ويمسكها فرحا بها.
جن جنون البحار الزنجي وهجم عليه محاولا انتزاع العصا منه ليعيد إلقائها من فوق سطح السفينة مره ثانية.

ولكن في تلك اللحظة ظهر (عبد الصمد) وهو يحمل قدح القهوة عندما شاهد ذلك الزنجي وهو يهاجم سيده فأسرع يلقي قدح القهوة الذي يحمله جانبا وأنقض على الزنجي ليسقط الاثنان أرضا ويشتبكان في صراع هائل وقد وقف الجميع يشاهد ذلك الشجار الذي نشب بين الرجلين ، وبينما أسرع بعض البحارة يفضون ذلك الاشتباك وأمسك كل اثنان منهم رجلا من الرجلين بينما تعالى صوت قبطان السفينة قائلا في غضب:

-ماذا يحدث على سطح سفينتي هل انقلبت ساحة للمعارك.

ثم التفت لبحارته قائلا بلهجة أمرة:

-ضعوا هذين الرجلين في سجن السفينة حتى يتم تسليمهم للسلطات داخل الموانى المصرية لمحاكمتهم.

ولكن (شاكر) تدخل في تلك اللحظة وقص على القبطان ما حدث من مهاجمة البحار الزنجي ومحاولة إلقاءه للعصا من فوق سطح السفينة لولا تدخل خادمه ، وبعد أن استمع القبطان لحديث (شاكر) أمر بحارته بترك (عبد الصمد) بينما أخذوا البحار الزنجي لسجنه الذي أخذ يصرخ قائلا:

-أنت تلعب بالنار أيها الرجل فأنت تملك شئ ملعون من أعماق الجحيم وسوف يأتي يوما تحترق به أنت الأخر، ولكن تذكر بأن النيران وحدها هى من تطهر كل الشر.

أخذ الرجل يصيح بتلك الكلمات الغريبة والبحارة يقتادونه لقاع السفينة تمهيدا لسجنه هناك.

استيقظ (شاكر) على صوت دقات عالية متتالية على باب حجرته فاعتدل جالسا فوق الفراش في دهشة من ذلك الطارق اللحوح ثم مد يده لأسفل الوسادة حيث أخرج ساعته الذهبية ونظر لعقاربها المضيئة ليجدها الثانية والنصف صباحا.

فصاح قائلا:

-من الطارق في ذلك الوقت من المتأخر من الليل.

أتاه صوت قبطان السفينة قائلا في صرامة واضحة:

-أفتح يا (شاكر) أنا القبطان.

نهض(شاكر) من فوق فراشه وهو يتساءل عن سبب زيارة قبطان السفينة له في ذلك الوقت المتأخر من الليل ثم فتح له الباب فوجد القبطان يقف على عتبته هو ومساعده ضابط السفينة وقد ارتسمت على ملامحهم علامات الصرامة والجدية الشديدة.

أفسح لهم (شاكر) الطريق للدخول لكنه فوجئ بالقبطان يسأله في صرامة شديدة:

-أين كنت منذ ساعة مضت يا (شاكر).

تعجب(شاكر) من ذلك السؤال لكنه أجاب قائلا:

-لقد كنت نائما من ثلاث ساعات على الأقل.

القبطان:

-وأين عصاك الذهبية يا (شاكر).

التفت (شاكر) وهو يشير نحو الفراش حيث كان قد وضع العصا بجانبه ولكنه لم يجدها حيث تركها فلقد تبخرت تماما من فوق الفراش فجن جنونه وأخذ يبحث عنها في أرجاء الغرفة متجاهلا وجود الرجلين ثم انحنى يبحث عنها أسفل الفراش ولكن دون جدوى فلقد اختفت العصا تماما.

تعالى صوت القبطان قائلا:

-لا تبحث عنها كثيرا فهي موجودة في قاع السفينة.

اعتدل(شاكر) واقفا وهو يتساءل عن كيفية خروج العصا من الغرفة ووجودها في قاع السفينة.

نظر إليه القبطان للحظات ثم قال له:

-حسنا أتبعني وسوف تحصل عليها.

أسرع (شاكر) يرتدى معطف ثقيل ليقيه من برودة الجو خارج غرفته وخرج يلحق بالقبطان ومساعده إلى سطح السفينة لكنه فوجئ بالقبطان يكمل طريقه ويتخذ طريقه لقاع السفينة بينما ذهب الضابط لغرفة القيادة فلحق (شاكر) بالقبطان رغم دهشته البالغة حتى وصلوا إلى قاع السفينة وتوقف القبطان أمام باب حديديا.

قال (شاكر) في تساءل:

- لماذا جئت بي إلي هنا أيها القبطان.

أشار القبطان إلي الباب الحديدي قائلا:

- هذه الحجرة التي قمنا باحتجاز ذلك البحار الزنجي الذي هاجمك هذا الصباح داخلها.

سكت لقبطان قليلا ليرى وقع كلامه على ملامح شاكر الذي هز كتفيه بمبالاة قائلا:

- لست اعتقد أن ذلك الشئ يخصني في شئ.

قال القبطان في عصبية شديدة

- بل هو أمر يخصك تماما فلقد قتل ذلك البحار بطريقة بشعة بعد أن قام من قتله بامتصاص دمائه حتى أخر نقطة ثم التمثيل بجثته.

تنهت جميع حواس (شاكر) عند تلك النقطة بينما أكمل القبطان قائلا:

- لقد حضر إلى مكتبي الحارس المكلف بحراسه ذلك السجين بعد منتصف الليل بنصف الساعة وأخبرني بأن السجين يصرخ ويصيح بأنه لن يخبر أحد بما يعلم ، وأخذ يستعطف ذلك الشخص الموجود معه بداخل الحجرة ويقول له أنه لم يكن يقصد أن يفعل ذلك الأمر ثم أطلق صرخة رعب هائلة وساد الصمت تماما.

وعندما قام الحارس بفتح باب الحجرة وجد شئ رهيب شديد البشاعة.

أسرع (شاكر) يقول في فضول شديد:

ماذا وجد اخبرني بالله عليك..لم ينطق القبطان ولكنه دفع الباب برفق وفتحه على مصراعيه وأشار له بالدخول خلفه فلم يستطيع (شاكر) مقاومة فضوله وأسرع يقتحم الحجرة ووقف مشدوها فلقد كان البحار الزنجي مقتول بشكل بشع وقد التوت أجزاء جسده بشكل رهيب لا يستطيع أي بشري مهما بلغت قوته ووحشيته على فعلها فجثة ذلك المسكين يبدوا بأن أحدا ما قد قام بتمزيق جسده تماما ثم أعيد تجميعه بشكل خاطئ فالقدم اليمني مكان الذراع الأيسر والرأس بين الفخذين وهكذا ، ولقد ظهرت أثار نابان غائران داخل عنقه ولقد ازرق لون جسده مما يدل على خلو جسده من الدماء تماما ولكن ذلك لم يكن كل شئ فبجانب الجثة أبصر (شاكر) عصاه عصا الشيطانة (ليليث).

جلس (شاكر) أمام قبطان السفينة وهو يرتشف رشفات من قدح القهوة التي أعدها له القبطان وهو يرتجف من هول مشهد جثة البحار،بينما أشعل القبطان غليونه وهو ينظر إليه في شك واضح مما جعله يقول له:

- هل تتهمني بقتل ذلك البحار يا صديقي.

زفر القبطان في حنق شديد ثم قال له:

- انى لا أتهمك بشئ يا(شاكر) فأنا أعلم تماما أنه لا يوجد لك مصلحة في قتل ذلك الزنجي ، ثم إن طريقة قتله نفسها رهيبة ولا ادري من يستطيع فعل ذلك الأمر.

سكت القبطان قليلا ليلتقط أنفاسه ثم أكمل قائلا:

- من حسن الحظ أن ذلك البحار زنجي وليس بحار إنجليزيا وإلا قام المحققون بفتح تحقيق لمعرفة ملابسات ذلك الحادث وفى قانون البحار يمنحنا حق إلقاء جثث الموتى في أعماق البحر حتى لا تتسبب الجثث المتعفنة في انتشار الأوبئة والإمراض بين البحارة والمسافرين.

تنهد(شاكر) في ارتياح شديد وقال للقبطان:

- أتعنى انك ستقوم بإلقاء جثت ذلك البحار في مياه البحر .

ابتسم قبطان السفينة في خبث قائلا:

- نعم فانا أخاف أن يتهمك أحد بقتله فأنت تعلم أن التحقيقات ستتوقف كلها عند تلك المشاجرة التي حدثت بينكما وكذلك وجود عصاك بجانب جثته ومن جانبي أستطيع أخراجك من ذلك الأمر ولكن.

زوي (شاكر) مابين حاجبيه في تساءل وسأله قائلا في توتر:

- ولكن ماذا.

قال القبطان في سرعة:

- أنت تعلم ثرثرة البحارة عن تلك الحوادث لذلك يجب أن نغلق أفواههم ببعض المال. فهز (شاكر) رأسه متفهما وقال له:

-وكم تريد ثمنا لإغلاق أفواه بحارتك أيها القبطان.

تراجع القبطان بظهره للوراء ليستند على مقعده وقد ارتسمت فوق شفتيه علامات الطمع والجشع وهو يقول:

-خمسون من الجنيهات المصرية يا صديقي العزيز

اتسعت عين (شاكر) من حجم المبلغ الذي يطلبه القبطان ثمنا لسكوته عن جريمة لم يرتكبها من الأساس.
لكنه كان يعلم في الوقت ذاته بأن القبطان يستطيع أن يأمر بالقبض عليه على الفور فلقد وجد عصاه بجانب جثة البحار وهو لا يملك خيار الاعتراض نهائيا وعليه أن يدفع ما يطلبه منه القبطان دون مناقشة.
وبالفعل مد (شاكر) يدهلجيب حلته الداخلي والتقط حافظته الجلدية وأخرج من ثناياها خمسون جنيها مصريا وأعطاها للقبطان الذي ارتسم على وجهه علامات جشع واضحة،وأسرع يخفي المال في جيب سترته على الفور.
نهض القبطان وأتجه نحو باب حجرته ونادي علي ضابطه الذي حضر على الفور ويبدو بأنه كان واقفا خارج الغرفة وأمره ضابطه بالتخلص من جثة البحار على الفور.
بعد تلك الحادثة بعشرة أيام كاملة وصلت السفينة الإنجليزية لميناء الإسكندرية وهبط منها (شاكر) وخادمه بصحبة الضابط الإنجليزي (ستيفن) الذي كان قد تشاجر معهم فوق سطح السفينة خلال تلك الرحلة والآن صار هو و(شاكر) صديقين حميمين ولقد قام هذا الأخير بدعوته لزيارته في قصره المنيف بالمنوفية وقتمايشاء ولقد رحب الضابط (ستيفن)بتلك الدعوة وأخبره بأنه سيحضر يوما لزيارته في أحد الأيام.
وبعد أن صافح بعضهم البعض وودع كل منهم الأخر بحرارة رحل الضابط (ستيفن) في عربة جيب حربية جاءت لتقله مع ضابطان آخران لمعسكرهم.
بينما أحضر (عبد الصمد) حنطور ليقلهم لمحطة القطار.
وعندما ركب (شاكر) القطار جلس بجانب النافذة وهو ينظر للحقول الممتدة على مرمى البصر في شرود تامفبرغم أنه كان مجهد من تلك الرحلة الرهيبة لكن عقله لم يهدأ وهو يبحث عن تفسير لتلك الأحداث الرهيبةوالتي وقعت له منذ اقتناءه تلك العصا ولا يوجد تفسير لما يحدث سوى شئ واحد وهو أن تلك العصا ملعونة بحق وأن كل ما قيل عنها صحيح مائة بالمائة

العقد الملعون.

عندما وصل (شاكر) إلى قصره قام بالاغتسال وارتداء ملابس نظيفة استعدادا للنوم وبرغم بشعوره بالحاجة للطعام فلقد كان جائعا بشدة لكنه كان محتاج للنوم والراحة بشدة بعد هذه الرحلة الشاقة و تلك الأهوال التي واجهته.
لذلك فقد فضل النوم على الطعام وتوجه من فورهلحجرة نومهوألقى بجسده المنهك فوق الفراش وما لبث أن راح في سبات عميق.لكنه استيقظ في منتصف الليل على صوت همس في إرجاء الحجرة فتنبهت حواسه على الفور واعتدل في الفراش جالسا وأخذ يدور ببصره في أرجاء الحجرة على ضوء الشموع المتذبذب الصادر من الشمعدان الفضي الذي يجاور فراشه، ولكنه لم أحدا داخل الحجرة فعاد يتمدد فوق الفراش مرة أخرى وهو يخبر نفسه بأنه كان يحلم وأن حلمه قد اختلط مع لحظات استيقاظه لكن صوت الهمس عاد مرة ثانية فاعتدلبحركة حادة وهو يجول ببصره في أرجاء الحجرة وقد دب الخوف في قلبه.
ودون مقدمات انتشر ضوء أحمر اللون في أرجاء الحجرة ليس له من مصدر واختفت معالم الحجرة تماما ووجد(شاكر) نفسه يقف عاريا تماما كما أنجبته والدته داخل حجرة واسعة وكان يوجد في منتصفها فراش دائريا شديد الضخامة مفروش بحرير أحمر اللون وقد استلقيت فوقه حورية فاتنة خمرية البشرة ذات شعر أحمر ناري وهى عارية تماماوتشير له بأحد أصابعها بأن يقترب منها عبر حركات وإشارات كلها رغبة وإغراء.
وبكل لهفة الدنيا اقترب (شاكر) من الفراش ولم يشعر بنفسه إلا وهو بين ذراعيها يضاجعها بشهوة حيوانية أنه لا يستطيع أن يصف ذلك الشعور وهو يعاشرها كانت تملك جسدا من لهب أذاقته أشياء لم يتذوقها مع أي امرأة أخرى حتى مع زوجته الجميلة (صوفيا).
بعد أن انتهى(شاكر) من معاشرتها أحاط خصرها العاري بذراعيه وآخذ يقبلها بجنون وهو يطلب منها تكرار ما حدث مرة أخري لكنها أزاحته بهدوء وهى تقول له:
- مرة واحدة في كل لقاء.
فقال متذمرا:
- لا فلم لم انتهي منك بعد وأريد تكرار ما حدث بيننا من دقائق.
ارتسمت علامات السخرية على قسماتها وهى تقول ضاحكة:

- ولكنك لا تدرى من أكون حتى تريد معاشرتي للمرة الثانية أليس من المفترض أن تعلم من أنا أولا.

فأسرع يقول لها:

- لا أريد أن أعرف من أنتي حتى ولو كنتي ابنة الشيطان ذاته لا أريد سوى الارتواء من جسدك البض الذي لم أجد له مثيلا.

قهقهت الفاتنة وقالت له بصوت قادم من أعماق الجحيم:

- أتريد معاشرتي حتى ولو كنت ابنة الشيطان.

قال (شاكر) بلهفة شديدة:

- نعم أريد تذوق ذلك العسل مرة أخري.

قالت:

- حسنا ولكن يجب أن تعلم من أكون أولا.

وفجأة وبدون مقدمات آخذ جسدها يتماوج بشكل عجيب ليتخذ عدة أشكال منها هيئة زوجته (صوفيا)وتلك الغانية التي عاشرها في أحد البارات بأحد الأيام حتى توقف تماوج جسدها تماما لتتخذ هيئة ذلك الشئ الذي تجسد له في قلعة السير (توماس) ولكنه لم يكن بنفس درجة البشاعة التي شاهدها من قبل فلم يكن فمها يبرز منه تلك الأنياب التي شاهدها من قبل أو ذلك اللسان الطويل المشقوق الذي يشبه لسان الثعبان ولكن رأسها كان يبرز منها قرنان صغيران الحجم فقط وأصابعها كانت أصابع بشرية وليست مخالب كالسابق وليس لها ذيل أو أجنحة كالسابق.

فتراجع في خوف قائلا:

-أنتي لست بشر من تكونين وماذا تريدين مني.

ابتسمت قائلةوهى تشير إلى صدرها العاري:

- أنا ابنة أحد ملوك الجان وادعى (ليليتو) وأحيانا يطلقون علي أسم (ليليث) ولكنني أحب أسم (ليليتو) أكثر ولقد وقعت في غرامك وأريد الزواج منك وسوف أمنحك الكثير من المال والذهبوبلا حساب ولكن يجب أن تتزوجني بعقد مكتوب لأن والدي سيرفض معاشرتي لك دون زواج.

قال (شاكر في) خفوت

- ولكن هذا معصية للخالق وسوف .....

لم يستطيع (شاكر)أن يكمل عبارتهعندما اقتربت (ليليتو) منه فجأة وضمته إلى صدرها وهى تقبله وتثيره جنسيا ثم رفعت راحة يدها اليسرى لأعلى ثم أنزلتها وهى ممسكة بسبيكة من الذهب الخالص وناولته إياها فنظر لها في تعجب فابتسمت (ليليتو) وقد أدركت أن سبيكة الذهب قد ذهبت بأي خوف تجاهها وقالت له:

- سوف تأخذ سبيكة ذهبية مثل هذه في كل مرة تعاشرني فيها.

برقت عين (شاكر)بشدةوقال بلا تفكير:

- موافق.

قالت (ليليتو) في خبث وقد نجح مسعاها أخيرا:

- نعم ولكن يجب أن نوثق اتفاقنا هذا بعقد مبروم بيننا.

زوي (شاكر) مابين حاجباه وقال

- ولماذا هذا العقد هل هو عقد كعقود السحرة التي تبرم مع الشياطين.

ابتسمت (ليليتو) قائلة:

- لا هل فأنت لست بساحر وأنا لست شيطانة لنبرم مثل ذلك العقد الذي تتحدث عنه إنما هذا العقد عقد زواج بين انسي وجنية إنه كعقد الزواج تماما فأنت تلتزم إن تعاشرني كزوجة لك وتلتزم بتوفير طعامي بينما ألتزم أنا بمنحك سبيكة ذهبية في كل مرة تعاشرني فيها.

أجابها (شاكر) في تردد:

-حسنا دعيني أفكر أولا فلم أكن أتوقع ذلك الأمر أبدا.

ابتسمت (ليليتو) في خبث شديد قائلة:

-لك ما تريد يا (شاكر) خذ وقتك في اتخاذ القرار الذي تريد اتخاذه ولكن تذكر دائما بأنني قد منحتك ما لم تمنحك إياه أي امرأة أخرى حتى زوجتك الجميلة (صوفيا) والآن وداعا.

اختفى فجأة كل شئ من حول (شاكر) الذيوجد نفسه يجلس وحيدا فوق فراشه فأخذ يتطلع لأرجاء الحجرة معتقدا بأنه كان يحلم.

ولكن أثار معاشرته لتلك الشيطانة ما زال أثاره موجودة فوق فخذه ومعدتهوهذا يعني بأنه لم يكن يحلم بتاتا.

نهض (شاكر)من فوق فراشه صباحا في كسل شديد وتوجه لدورة المياه حيث قام بالاستحمام لتنظيف نفسه من أثار معاشرته الليلة الماضية ولبس ملابس نظيفة ، وهبط للطابق الأرضي حيث وجد طعام الإفطار فوق المائدة فجلس لتناوله.

في تلك اللحظة دخل (عبد الصمد)وقد أحضر معه جريدة اللواء الأسبوعية لسيده كما أعتاد.

فأشار له (شاكر)بالجلوس لتناول طعام الإفطار معه فجلس ذلك الأخير دون نقاش.

بعد أن انتهى الاثنانمن تناول طعام الإفطار نظر (شاكر) إلى (عبد الصمد) قائلا:

-أريد أن أسالك سؤالا غريبا بعض الشئ يا (عبد الصمد).

فقال له هذا الأخير:

-أسال ما تريد يا سيدي.

فقال (شاكر):

-هل يجوز زواج رجل من الإنس بواحدة من الجن.

ورغم غرابة السؤال لكن (عبد الصمد) أجاب قائلا:

-لقد سمعت شيخ المسجد يقول بأن هناك بعضا من الإنس يتزوجون من نساء الجن والعكس يحدث أيضا ولكنني لا أعرف إذا كان ذلك الزواج يجوز شرعا أم لا ولكنه يحدث أحيانا.

هز (شاكر) رأسه متفهما ونهض متوجها لحجرة مكتبه حيث أخرج كتابا يتحدث عن الجان وصفاتهم فأخذ يقرأه بتمعن شديد ثم أخذ يطالع جميع الكتب التي تتحدث عن الجان وزواج البشر منهم.

ولقد مكث (شاكر) اليوم بأكمله يطالع تلك الكتب حتى أنه قد طلب من الخدم إحضار طعام الغذاء والعشاء على صينية ليأكل داخل حجرة المكتب

مر أسبوع كاملا منذ تلك الليلة التي عاشر فيها (شاكر) تلك الشيطانة كان لا يغادر فيه حجرة مكتبه خلال اليوم بأكمله إلا قليلا فلقد كان يقرأ كتابا ضخما يتحدث عن ملوك الجان وقبائلها وكيفية زواج البشر من الجان.

كان الليل قد أسدل ستائره تلك الليلة وكان (شاكر) ما زال جالسا خلف مكتبه يطالع ما كتب عن زواج الأنس من الجنعندما بدأت الحجرة تتماوج لتتحول لتلك

الحجرة التي تشع ضوءا أحمر وفي منتصفها كان يوجد ذلك الفراش الدائري وفوقه تمددت (ليليتو) عارية تماما وهى تشير له بالصعود بجانبها.
أسرع (شاكر) ينهض من خلف مكتبه وهم بالصعود بجانبها لكنها أشارت له بإحضار زجاجة خمر من فوق الرف الخاص بها.
فأسرعذلك الأخير يلتقط زجاجة من الخمر المعتق وصعد فوق الفراش ليجلس بجانبها وهو ينظر لجسدها البض الذي لم يشاهد أروع منه ولا أكثر شهوانية.
ثم فتح زجاجة الخمر وصب كأس لها وناولها لها ثم صب لنفسه كأس هو الأخر وتجرعه دفعة واحدة فما كان من الشيطانة (ليليتو) إلا أن أعطته كأسها ليتجرعه هو الأخر.
هم (شاكر) بوضع الكأسين جانبا ليشرب من خمر جسدها لكنه فوجئ بامتلاء الكأسين دون تدخله وكما فعل في الكأسين الآخرين تجرعهم أيضا على الفور.
أخذت (ليليتو) تملا له الكأسين بالخمر فيشربهم على الفور حتى ثمل تماما وأصبح لا يعي ما يقوم أو يفعله به من شدة السكر فأخذت تعاشره معاشرة الأزواج وبعد الانتهاء من معاشرته أخرجت السبيكة الذهبية وناولته إياها وهى تسأله قائلة:
-والآن ماذا قررت هل ستتزوج بي أم لا.
كان (شاكر) في حالة سكر شديدة فقال لها في تلعثم شديد:
-إنني لا أعرف إن كان ينفع ال..... ذلك.... الشئ أو ....هو.
كانت الكلمات تخرج من بين شفتيهغريبة غير متناسقة بسبب كؤوس الخمر الذي تناولها بلا حساب ولكن (ليليتو) أسرعت تخرج رقعة جلدية تشبه جلد البشر عليها كتابات بحبر أو مادة غريبة حمراء اللون وقالت وهى تشير له بتلك الرقعة قائلة:
-أنظر هذا عقد زواجنا وإذا وقعت عليه سوف يصبح جسدي الشهي ملكا لك للأبد كما سأجلب لك الكثير من الكنوز والذهب التي لم تشاهدها طوال حياتك ولم يراها أي إنسان من قبل ولكن إذا رفضت فلن تراني مرة ثانية..
أخذ(شاكر) الرقعة الجلدية من يد (ليليتو) في دهشة بالغة فلقد كان ملمسها يشبه ملمس الجلد البشري بالفعل ونظر لتلك الكلمات المكتوبة بحروف شيطانية لم يفهم منها حرفا واحدا.

لكن الخمر التي تجرعه جعلته لا يدري هل ما يفعله صواب أم خطأ فسأل (ليليتو) قلئلا:
-ولكنني لست أفهم حرفا واحدا من تلك الكلمات المكتوبة على تلك الرقعة غريبة الملمس.
قالت له (ليليتو) وهى تلصق جسدها الملتهب به.
-إنها رقعة من جلد الغزال ومكتوب عليها أسمي وأسمك ويجب أن توقيعك عليها ليتم الزواج وأصبح ملكا لك للأبد.
فقال في تردد:
-لكن يجب أن.....
التصقت به (ليليتو) أكثر وأكثر لتزيد من اشتعال جسده قائلة:
-لو لم توقع على ذلكالعقد تلك المرة فلن تراني بعد الآن فلو عرف والدي ملك الجان بأمر علاقتنا المحرمة فسوف يسجنني في أعماق الأرض وسوف يقتلك بأبشع الطرق.
وتحت تلك الضغوط والإغراءات لم يجد (شاكر) بديلا عن الموافقة فهم بالهبوط من فوق الفراش لكنها أوقفته قائلة:
-إلى أين أنت ذاهب يا (شاكر).
فنظر إليها قائلا:
-سوف أحضر قلم حبر من فوق سطح المكتب للتوقيع على ذلك العقد.
ابتسمت (ليليتو) في سخرية وقالت:
-ولكن ذلك العقد لا يوقع بالأقلام.
قال (شاكر) في دهشة:
-إذن كيف سأوقع على ذلك العقد
قالت (ليليتو) في خبث: - بواسطة دمائك.
قال لها في دهشة بالغة:
- وكيف ذلك.
أسرعت (ليليتو) تلتقط أصبعه الأوسط برقه بالغة وانحنت تلعقه بلسانها وفجأة طالت أسنانها لتصبح كأسنان الهر المدببة وغرست أحداهنفي أصبعه فأسرع

يجذب راحة يده على الفور في ألم شديد ونظر للدماء التي انبثقت من أصبعه بغزارة ونظر إليها قائلا:
-لماذا فعلتي ذلك لقد أدميتي أصبعي بشدة.
لكنه لم يلاحظ قطرات الدماء تلك التي تساقطت فوق الرقعة الجلدية
فابتسمت في سعادة فلقد تحقق ذلك الجزء الهام من خطتها ووقع (شاكر) بدمائه على العقد دون أن يدري عن فحواه شئ أي ثم نظرت إليه قائلة:
-والآن لقد أصبحت زوجتك وأصبحت مسئولة منك فعليك جلب بعض طعام البشري لي.
لكن (شاكر)لم يفهم عما تتحدث (ليليتو) التي نهضت من فوق الفراش وأمسكت العقد ونظرت له في سعادة بالغةونظر له قائلة في سخرية:
-وداعا يا زوجي العزيز وإلى لقاء قريب في ليلة السبت من الأسبوع القادم.
فسألها في دهشة قائلا:
-ولكن لماذا بعد أسبوع.
فردت قائلة:
-لأنني لا أستطيع الظهور في عالم البشر سوى يوما واحدا في الأسبوع وذلك اليوم هو سبت الساحرات وداعا.
ذهبت (ليليتو) ووجد(شاكر) نفسه جالسا خلف مكتبه كان من الممكن بأن يعتقد بأنه يحلم ولكن تلك السبيكة الذهبية التي ترقد في راحته وذلك الإصبع الدامي بشدة الذي وقع به ذلك العقد الملعون.
ويا ليته ما فعل.

الحقيقة الرهيبة.

أنقضت ثلاثة أسابيع كاملة على تلك الليلة التي وقع فيها (شاكر) على ذلك العقد الشيطاني بدمائه ذلك العقد الذي أوهمته (ليليتو) بأنه عقد زواجهما.
ولقد مرت تلك الأيام دون أن تظهر تلك الشيطانة كعادتها ولم تعد تتجسد له منذ ذلك الحين.
كان (شاكر) يقضي نهاره بالكامل يقرأ في الكتب التي تتحدث عن عالم الجان محاولا التعرف أكثر وأكثر عن عالم الجان.
وفي الليل كان يتقلب في فراشه كالمحموم منتظرا مجيئها ليتمتع بجسدها الشهواني.
وكان قد انتهى من مطالعة أحد الكتب التي تتحدث عن عشائر الجان وأنواعهم فنهض من خلف مكتبه واتجه نحو المكتبة ليضع الكتاب الذي فرغ من قرأته للتو ويقوم بإحضار كتابا أخر.
ولكنه في أثناء بحثه عن كتاب أخر يتحدث عن أسماء بنات ملوك الجان لفت نظره كتاب يتحدث عن عالم الشياطين فأسرع يحمله معه وجلس خلف مكتبه وبدأ في تصفح الكتاب.
كان الكتاب قديما جدا لدرجة أن صفحاته كانت مهدرئة بشدة وقد تحولت للون الأصفر وقد كتبتبخط اليد وباللغة اللاتينية وكان يتحدث عن الشيطان وأسماءه المختلفة ثم بدأ الكتاب يتحدث عن زوجة الشيطان التي خلقها الله في بداية الأمر كزوجةلأدم ولكنها عصت وهربت لتصبح عشيقة للشيطان مما أغضب الرب فحكم عليها بأن تصبح عقيم وأمر ملائكته بقتل أبنائها التي أنجبتهم من علاقتها المحرمة بالشيطان كان (شاكر) يقرأ تلك المعلومات بشغف كبير وقد شده الكتاب بشدة وأخذ يقلب الصفحات بحرص شديد حتى لا تتمزق.
توقف (شاكر) فجأة أمام لوحة تمثل زوجة الشيطان قد رسمتهامؤلف الكتاب بريشته ونظر (شاكر) لها في ذهول ورعب فلقد كانت تلك الصورة تمثل شيطانة بشعة بدرجة هائلة وتملك ستة أذرع تنتهي بمخالب حادة وقرنان يخرجان من منتصف رأسها وشعر ناري يصل لنهاية أقدامها.
كانت تلك الصور قريبة الشبه بتلك الشيطانة التي هاجمته داخل قلعة السير (توماس).

ولكن ذلك لم يكن مبعث دهشته بل كان أسمها الذي كتبه مؤلف الكتاب أعلى الصور فلقد كانت تسمى(ليليتو)

ولكن عجبا أليس هذا أسم زوجته وتلك الهيئة هى نفس هيئة تلك الشيطانة التي هاجمته في قاعة السير (توماس).

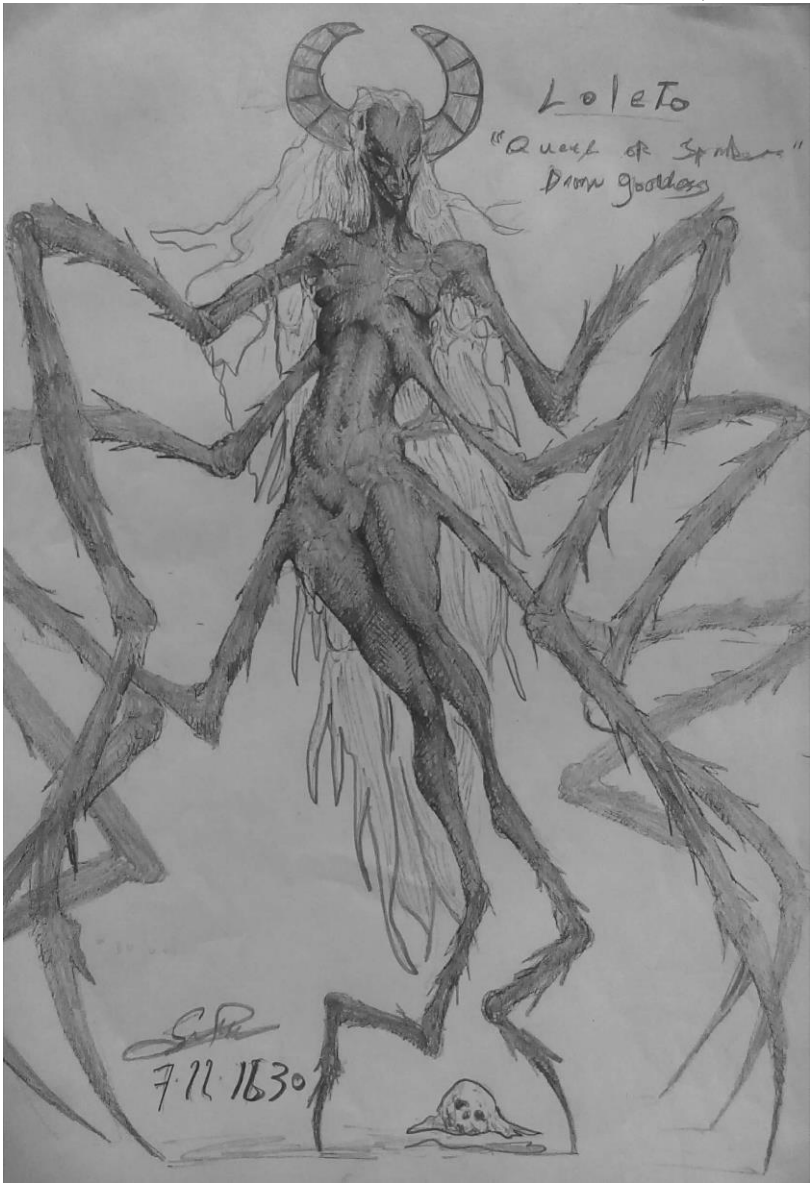

ورقة تتحدث عن الشيطانة (ليلتو)

صعد (شاكر) إلى حجرته وصورة (ليليتو) التي شاهدها داخل الكتاب لا تفارق مخيلته لكنه دلف للحمام وقام بخلع ملابسه ونزل للمغطس حيث حصل علي دشا باردا أنعش جسده الذي يملأه العرق الغزير وعندما انتهى من الاستحمام غادر الحمام وهو يحيط جسده بمنشفة وعندما دخل حجرته أبصر (ليليتو) تجلس فوق الفراش ويبدو بأنها كانت في انتظاره فلقد ابتسمت ابتسامة كشفت عن أنيابها المدببة.

فتراجع ببضئ للخلف وهو ينظر لها قائلا في خوف:

-من أنتي وما الذي تريده مني.

قهقهت الشيطانة بصوت مرتفع قائلة:

-إنني (ليليتو)زوجتك وابنة ملك الجان.

تراجع (شاكر) للوراء قائلا:

-لا أنتي لست من الجان بل أنتي شيطانة تدعى(ليليتو) أليس كذلك.

ابتسمت (ليليتو) قائلة:

-وما الفرق ابنة ملك الجان أم شيطانة هل يفرق ذلك الأمر معك في شئ ما ثم إنني أملك العديد من الأسماء فأنا (ليليث) و(كالى) الهندية والعديد من الأسماء ولكنني أعشق أسم (ليليتو) أكثر من غيره من أسماء.

قال (شاكر) في رعب:

-إذن فكل ما قرأته عنك حقيقي أنتي لست سوى شيطانة.

اعتدلت (ليليتو) في الفراش وصاحت بغضب هادر قائلة:

-بل أم الشياطين جميعا أنا (ليليتو) الشيطانة الأم أيها الإنسي الفاني.

سقطت المنشفة من فوق وسط (شاكر) وهو يتراجع للخلف من شدة الرعب حتى وصل لباب الحجرة فالتفت محاولا الفرار من داخل الحجرة لكنه فوجئ بالشيطانة (ليليتو) تقف حائلا بينه وبين باب الحجرة وقد صارت نسخة طبق الأصل من تلك الصورة المفزعة التي شاهدتها اليوم داخل كتاب الشياطين.

تراجع (شاكر) في رعب حتى التصق بالحائط بينما اقتربت منه (ليليتو) بوجهها البشع من وجهه بشدة وقالت له :

-إلى أين أنت ذاهب هل ستترك زوجتك التي تشتاق إليك وترحل.

استجمع (شاكر) شجاعته وهتف قائلا:

-أنتي لست زوجتي لقد خدعتني فأنتي مجرد شيطانة.

فنظرت له في غضب وصرخت قائلة:

-لقد أخبرتك من قبل بأنني أم الشياطين جميعا.

ابتلع (شاكر) ريقه في رعب وقال لها في لهجة أقرب للتوسل.

-ماذا تريدين أستحلفك بالخالق بأن تتركينني وشأني.

كشرت (ليليتو) عن أنيابها وهي تقول له:

-هناك عقد مبرم بيننا ويجب عليك تنفيذ ما به من بنود.

قال (شاكر) في تساءل:

-أي عقد هذا الذي تتحدثين عنه وأي بنود إنه مجرد عقد زواج ليس إلا.

أخرجت (ليليتو) ذلك العقد الذي وقعه(شاكر) بدمائه وألقته تحت أقدامه قائلة:

-أنظر للعقد جيدا وإقراءه لأنه عليك تنفيذ ما به من شروط.

أنحنى (شاكر) يلتقط ذلك العقد ولأول مرة يكتشف أن ذلك العقد مكتوب علي جلد بشري ولي جلد غزال كما توهم.

وفي اشمئزاز أخذ يقرأ ما هو مكتوب بداخل العقد بعد أن أصبحت القراءة واضحة ومفهومة له رغم أنها مكتوبة بلغة شيطانية.

اتسعت عين (شاكر) في رعب عندما استطاع قرأه تلك الكلمات الموجودة داخل العقد الشيطاني فلقد كانت ينص على أن يكون هو عبدا وخادما لتلك الشيطانة للأبد وأن يعاشرها كلما رغبت هى في ذلك الأمركما يجب عليه تقديم قربانا لها كل أول كل شهر قمري في ليلة حالكة الظلام كما أنه قد وهبها روحه التعسة لتمكث معها في الجحيم بعد موته.

وفي المقابل تعطيه سبيكة ذهبيةويتمتع أيضا بجسدها الناري.

كانت تلك هي بنود العقد الذي وقع عليه وهو سكرانا دون أن يدري بفحواه والآن لقد صار عبدا لها كما خسر أخرته ودنياه وكل ذلك بسبب كأسين من الخمر.

فرفع بصره عن العقد ليجدها تتمدد على الفراش بعد أن عادت لهيئتها البشرية واتخذت شكل المرأة بذلك الجسم الشهواني مرة أخرى وهتفت به قائلة:

-هيا أصعد وباشرني بقوة يا (شاكر).

فأطاعها على الفور دون نقاش فلم يعد للكلام قيمة بعدما وقع على ذلك العقد الذي صار حجة عليه إلى يوم القيامة.
وبعد أن انتهى من معاشرتها وهم بالهبوط من فوق الفراش فوجئ بها تتعلق بذراعيه قائلة:
-إلى أين أنت ذاهب.
قال لها دون أن ينظر لها:
-اعتقد أنكي قد حصلتي على ما تبغين أليس كذلك.
قالت الشيطانة بصوت قادم من أعماق الجحيم:
-ليس بعد هناك شيئا أخر.
فسألها قائلا:
-وما هو ذلك الشئ الذي تريديه مني.
قالت (ليليتو):
-أنني أريد بعض الطعام.
نظر إليها (شاكر) قائلا:
-هل أحضر لكي بعض عظام الحيوانات.
كشرت الشيطانة (ليليتو) عن أنيابها وقالت بغضب هائل:
-ذلك طعام الشياطين الحقيرة أنا طعامي هو اللحم البشري وشرابي هو الدماء البشرية.
نظر إليها (شاكر) قائلا في اشمئزاز واضح:
-أتلتهمين البشر أيتها الملعونة.
نظرت إليه (ليليتو) نظرة مرعبة وقالت في لهجة تهديد واضح:
-نعم وعليك بإحضار شخصا لي في بداية كل شهرا قمريا ليكون طعاما لي وإلا.
سألها(شاكر)قائلا:
-وإلا ماذا هل ستجعلين مني طعاما لكي إنني موافق ولن أشارك في ذلك الأمر البشع.
ابتسمت الشيطانة لتبرز أنيابها الحادة من فمها الذي أتسع بشكل رهيب وقالت بلهجة تهديد واضح:
-ليس أنت من سألتهمه بلسأقوم بالتهام أبناءك أولا ثم زوجتك الحبيبة.

صاح(شاكر) في غضب:

-إياكي والمساس بعائلتي أيتها الشيطانة وإلا.....

لكنه لم يكمل عبارته فلقد قبضت الشيطانة (ليليتو) على عنقه بقبضتها الحديدية وألقت به على بعيدا ليرتطم بالحائط المقابل قائلة بوحشية:

-أتهدد (ليليتو) أيها الإنسي المخلوق من طين أيها الفاني.

أرتطم (شاكر) بالحائط بقوة ليسقط متألما على أرضية الحجرة المصنوعة من خشب الباركيه وعندما هم بالنهوض وجدها تجثم على صدره وقد عادت لتلك الهيئة الشيطانية الرهيبة وحدقت به قائلة:

-والآن هل ستحضر لي تلك القرابين البشرية أم سأبدأ بأحد أبنائك.

قال (شاكر) بضراعة:

-سوف أحضر لكي ما تريدين ولكن ابتعدي عن عائلتي.

فنهضت من فوقه وعادت لهيئتها البشرية ولكن بقت بتلك القرون التي تعلو رأسها وقالت له بلهجة أمره:

-ولكني أريد الآن بعض الدماء البشرية لأروي ظمأى.

قال (شاكر) في توتر شديد:

-ومن أين سأحضر لكي تلك الدماء الآن.

أشارت الشيطانة إليه قائلة:

-أعطيني شيئا من دمائك حتى تقوم بإحضار ضحية بشرية في بداية الشهر القادم.

تراجع (شاكر) للخلف في خوف بينما تقدمت هى منه وقد برزت مخالبها بشكل مخيف وبدون سابق إنذارانقضت عليه وقامت بجرح كتفه الأيسر بمخالبها الحادة لتسيل دماءه بغزارة بينما أخذت (ليليتو) تلعق الدماء باستمتاعشديد بينما صرخ (شاكر)من شدة الألم وهو يحاول إيقاف تلك الدماء التي تسيل من جرحه بغزارة شديدة.

كانت (ليليتو) ترتشف دماء (شاكر) بتلذذ واضح غير عابئة به وبصراخه على الإطلاق.

وعندما انتهتمنه نظرت له نظرة تهديد واضحة وقالت بلهجة وحشية تجمد الدماء في العروق:

-لقد اكتفيت اليوم بشئ طفيف من دمائك ولكن المرة القادمة سيكون الأمر مختلفا تماما لذلك سيكون عليك إحضار ضحية بشرية في اليوم الأول من بداية الشهر العربي وإلا ستندم أشد الندم.

وما لبثت أن اختفت تماما من الحجرة بينما دفن (شاكر) وجهه بين كفيه وأجهش بالبكاء الحار فلقد أصبح عبدا ذليلا لتلك الشيطانةالرهيبة للأبد.

استيقظ (شاكر) علي صوت طرقات خفيفة علي باب حجرته فنادي متسائلا عن هوية الطارق فجأة صوت خادمه الأمين (عبد الصمد) وهو يقول:

- أنا(عبد الصمد) هناك شئ هام أريد إخبارك به.

اعتدل(شاكر)في فراشه وهو يشعر بآلام فظيعة في كتفهاالأيسر الذي جرحته (ليليتو) بمخالبها الحادة لتحصل منه على بعض الدماء وهو في صوت منخفض:

- الباب مفتوح يا (عبد الصمد) عليك بدفعه فقط.

انفتح الباب ووقف (عبد الصمد) على عتبته فسأله(شاكر) بفضول قائلا:

- ما ذلك الشئ الهام الذي جعلك توقظني في مثل هذه الساعة المبكرة.

ابتسم(عبد الصمد) وهم بقول شئ ما عندما أبصر تلك الدماء التي تغرق ملابس سيده والفراش والوسائد الذي يضع رأسه عليها أيضافقال في خوف:

- ما كل تلك الدماء يا سيدي.

أجابه (شاكر) وهو يهبط من فوق الفراش في وهن وضعف من أثر الدماء التي فقدها بالأمس:

- لقد أصبت بالليل أثناء نومي فلقد خدشنيقائم الفراش النحاسي.

قال (عبد الصمد) باستياء شديد:

-ولكن لماذا لم تستدعني أو أحد الخدم لتضميد ذلك الجرح الغائر.

وقف (شاكر) في تلك اللحظة وكاد أن يسقط من الضعف ولكن (عبد الصمد) أسرع يمنعه من السقوط بعد أن أمسك به من الخلف وعندما حاول إرجاعه للفراشأزاحه(شاكر) بخشونة قائلا:

-دعني الآن يا (عبد الصمد) فسوف اغتسل أولا ثم سأهبط لحجرة مكتبي علي الفور.

هز (عبد الصمد) رأسه في طاعة وهم بمغادرة الحجرة فهو يعلم مدى صلابة رأس (شاكر) الذيأوقفه متسائلا عن سبب حضوره المفاجئ فأجابه (عبد الصمد) قائلا بعدما تذكر سبب حضوره:

- لقد حضر ذلك التاجر الإنجليزي الذي جاء ليشتري محصول البرتقال واليوسفي.

قال (شاكر) في سخط: -

آه لقد نسيت موضوع ذلك التاجر تماما ولكن لماذا حضر باكرا هكذا.

أجابه(عبد الصمد) قائلا في خفوت:

-سيدي لقد تجاوزت الساعة الواحدة ظهرا.

ارتسمت علامات الدهشة على وجه (شاكر) ولكنه توجه لدورة المياه في وهن شديد بينما غادر (عبد الصمد)الحجرة بعد أن أغلق بابها خلفه.

ألقى(شاكر) بجسده المتعب داخل المغطس وهو يشعر بآلام مروعة من أثر ملامسة المياه لذلك الجرح الموجود في كتفه الأيسر وبعد أن فرغ من عملية الاستحمام عاد إلى حجرته وأسرعبارتداء ملابسه على عجل وعندما هم بمغادرة الحجرة أبصر ذلك العقد الملعون والسبيكة الذهبية والعصا الرهيبة موضعين فوق الفراش فحملالعقد الشيطاني والسبيكة الذهبية وقام بوضعهم داخل حقيبة جلدية صغيرة وهبط للطابق الارضى حيث توجه من فوره إلى حجرة مكتبه وأغلقبابها خلفه بإحكام شديد ثم قام بفتح خزينته الحديدية حيث قام بوضع الحقيبة بمحتوياتها داخلهاولكنه قبل أن يقوم بإغلاق الخزينة نظر للسبيكتين الذهبيتين اللتان قد حصل عليهما من (ليليتو) ثم عاد يغلق الخزينة بالمفتاح جيدا قبل أن يقتحم أحد الحجرة ويبصر تلك السبائك الذهبية.

تنفس (شاكر)الصعداء وهو يفتح باب الحجرة وبناديعلى خادمه الذي أسرع بالمجئ على الفور فأمره(شاكر) أن يطلب من (عبد الصمد) بأن يأتي بذلك التاجر الإنجليزي إلى حجرة المكتب على الفور ثم طلب منهإعداد ثلاثة أقداح من القهوة المركزتين له وللتاجر و(عبد الصمد) أيضا.

أسرع الخادم يلبي أوامر سيده بينما عاد (شاكر) ليجلس خلف مكتبه في وقار منتظرا قدوم ذلك التاجر الإنجليزي لينهي عملية البيع تلك على الفور وهو يتساءل بينه بين نفسه كيف استطاعت تلك الشيطانة بخداعه بتلك الطريقة وجعلته

يعاشرها معاشرة الأزواجوكيف قام بالتوقيع بدمائه على ذلك العقد الملعون كيف.كيف.كيف؟
كانت تلك الأسئلة تدور داخل رأسه عندما دخل (عبد الصمد) لحجرة المكتب بصحبة ذلك التاجر الإنجليزي وبعد أن انتهت عملية التعارف بين (شاكر) والتاجر وقاما باحتساء القهوة التي أحضرها الخادم لتوه.
غادر التاجر القصر بعد إن اتفق مع (شاكر) على ثمن المحصول وقام بدفع نصف ثمن محصول الموالح على أن يأتيبباقي المبلغ بعد حصوله على المحصول كاملا.
جلس (شاكر) خلف مكتبه ساعة كاملة بعد رحيل التاجر وهو يتذكر تلك الإحداث الرهيبة التي قد مر بها ليلة أمس وهو يسأل نفسه كيف سمح لنفسه بأن يعاشر شيطانة بل إنها أم الشياطين جميعا وكيف يسمح لنفسه بمعصية الخالق لهذه الدرجة الفاجرةوكل ذلك بسبب لا شئ.
أتكون طمعه في سبائك الذهب هو من جعله يفعل ذلك؟
بالطبع ليس هذا هو السبب فلقد ورث ثروة طائلة عن أبيه إنه يملك الكثير من الأموال والحقول والقصور؟
هل يكون سبب توقيعه على العقد الشيطاني هو جسدها الشهواني الملتهب؟
ولكنه يملك زوجه ذات جمال أخاذ وجسد ممشوق يغار منهبسببها العديد من الرجال.
في تلك اللحظة حانت منه النظر لزجاجات الخمر التي توجد فوق أرفف المكتبة وهب فضرب سطح مكتبه في غضب وهو يقول باكيا:
-إنه ذلك الخمر اللعين هو من تسبب بكل ذلك فلم يكن في حالة من الوعي عندما وقع على ذلك العقد الشيطاني.
إذن لماذا لا ينقض عهد تلك الشيطانة ويتوب إلى الله ويقوم بحرق ذلك العقد الشيطاني.
قفز (شاكر) من خلف مكتبه وأسرع يفتح خزينته ويخرج منها ذلك العقد الشيطاني ثم أحضر زجاجة من الخمر وقام بسكب جميع محتوياتها فوق العقد وأخرج علبة ثقابه وأشعل عودا منها وألقاه مشتعلا فوق العقد وتراجع بوجهه قليلا للخلف عندما أمسكت النيران في العقد الشيطاني بشدة فارتسمت على قسماته الفرحة

الطاغية لكن تلك الفرحة ما لبثت أن اختفت فلقد انطفأت النيران ولم تمس العقد بأي سوء كان.ولم يعد هناك مجالا للتراجع فحياة زوجته وأبناءه متوقفة على إطاعة (ليليتو) تلك الشيطانة الرهيبة.

(ليليتو) ترتوي بدماء شاكر

الأضحية الأولى.

جلس السير (توماس) داخل مكتب محقق الشرطة الذي يقوم بالتحقيق في مقتل الخادمة (كارولين) منذ ما يقارب من الشهر وهو يرتشف رشفات قليلة من قدح الشاي الذي قدمه له المحقق منذ بضع دقائق.

بعد أن فرغ السير (توماس) من قدح الشاي نظر للمحقق وسأله قائلا:

-إلا أي طريق وصل التحقيق في مقتل خادمتي (كارولين)؟

فتنحنح المحقق ونظر للسير (توماس) قائلا في لهجة صارمة:

-لقد بذلنا أقصى ما نستطيع عمله للكشف عن ذلك الغموض الذي يحيط بمقتل خادمتك (كارولين) وقد توصلالطبيب الشرعي في النهاية بأن الخادمة قد سقطت داخل البئر وهي تقوم بإحضار الماء منه وبذلك يغلق التحقيق لأنه مجرد حادثة لا أكثر.

رمقه السير (توماس) بنظرة غاضبة وقال:

-ماذا تعني بأن مقتل خادمتي كان مجرد حادثة وماذا عن أطرافها الملتوية والمحطمة بتلك الطريقة البشعة.

قال المحقق بجدية:

-سيدي السير إن تحقيقاتنا توصلت بأنه لا يوجد شبه جنائية في موت خادمتكم لقد كان مجرد حادث أليم فقط وليست حادثة قتل كما تعتقد أنت فلقد سقطت خادمتكم داخل البئر دون تدخل أحد وهذا ما أكده مقتفي الأثر الذي أحضرناه فلقد أكدت الآثار التي قام بفحصها بأن خادمتكم قد ذهبت للبئر حيث توقف أمام حافته وقامت بملء الدلو بالماء ولكن يبدو بأن ثقل الدلو تسبب في سقوطها داخل البئر مما تسبب في التواء وتحطم أطرافها بهذا الشكل البشع.

سكت المحقق ليرى أثر حديثه على وجه السير (توماس) الذي أبتسم في سخرية قائلا:

-هل تسخر مني أيها المحقق أم تعتقد بأنني أبله لأصدق حديثك هذا.

قال المحقق في توتر:

-سيدي السير لقد بذلنا ا.....

قاطعه السير (توماس) وهو ينهض من فوق مقعده قائلا:

-أيها المحقق لقد شاهدت خادمتي بنفسي بعد أن قام زملاءها من الخدم بإخراججثتها من داخل البئر ولقد كانت ممزقة الأطراف وقد امتص شيئا ما دمائها لأخر قطرة وقد شاهدت بنفسي جسدها الملتوي بشكل بشع فكيف تقول بأن مقتلها مجرد حادثة أيها المحقق تقول ذلك عندما تكون قد سقطت من أعلى القلعة وتحطم جسدها فوق أرضية القلعة لكن أن تسقط في البئر ويحدث لها ذلك فشيئا لا يصدقه عقل فالماء سيمتص قوة سقوطها أليس كذلك أيها المحقق الهمام.

لم يجد المحقق كلاما ليجيبه على السير (توماس) فلاذ بالصمت التام لأنه يعلم تماما العلم بأن ما يقوله الرجل كلام منطقي حقيقي تماما.

هم السير (توماس) نحو باب الحجرة و بمغادرة حجرة المحقق في سخط لكن ذلك الأخير أستوقفه في محاولة لتهدئته وهو يقول له:

-سوف نعيد فتح التحقيق مرة أخرى يا سيدي السير ولكن لا ترحل غاضبا بتلك الطريقة.

نظرله السير (توماس)وقال في لهجة تحد:

-لا تزعج نفسك بفتح التحقيق مرة ثانية فلقد قررت أن أطلب من شرطة (اسكوتلنديارد) تولي تلك القضية فعلى ما يبدو بأنها كبيرة وصعبة الحل عليكم وداعا.

وبعد أن أنهى جملته صفع الباب خلفه بشدة عازما على التوجه لشرطة (اسكوتلنديارد) للتقدم بطلب التحقيق في مقتل خادمته كارولين.

بينما رفع المحقق سماعة الهاتف وأتصل بشخص ما وقال في توتر:

-لقد خرج السير (توماس) من هنا غاضبا وهو الآن في طريقه لشرطة (اسكوتلنديارد) ليطلب منهم أن يحققوا في قضية خادمته بعد عدم اقتناعه بكلامي.

جاءه صوت الشخص المتحدث معه من الجانب الأخر ساخطا غاضبا وهو يسب ويلعن ثم أغلق الهاتف في وجه المحقق الذي أرتجف من قمة رأسه حتى أغمض قدميه فهو يعلم بأن ملكة الظلام لا ترحم من يخطئ أبد.

جلس (شاكر)خلف مكتبه وهو يفكر في عمق فلقد شارفت تلك المهلة التي قد حددتها (ليليتو) له لإحضار أضحية بشرية لها قد شارفت على الانتهاء فلم يعد متبقيلظهورها غير ثلاثة أيام فقط.

كان ذلك الأخير مترددابشدة في اتخاذ قرار بإحضار شخصا لها فتقتله وتشرب دماءه فكيف يسمح لنفسه أن يفعل الأمر البشع ولكن كلما تذكر أفراد عائلته التي أقسمت تلك الشيطانة الرهيبة بقتلهم والتهامهم إذا لم يحضر لها شخصا لتلتهمه ولكنهفي نهاية المطاف حسم أمره سوف يحضر لها أضحية بشرية لتبتعد عن عائلته.

وفي صباح اليوم التالي أمر(شاكر) خادمه(عبد الصمد) بإحضار الكارته لتوصيله لمحطة القطار وعندما سأله ذلك الأخير عن وجهته أخبره (شاكر) بأنه ذاهبا للقاهرة لزيارة صديقه(مصطفى كامل باشا) الذي قد أشتد به المرض.

وبالفعل قام (عبد الصمد) بإعداد الكارته على الفور وقام بتوصيل سيدهلمحطة القطارات وعندما هم بالدخول معه لداخل المحطة ليودعه على باب القطار كالمعتاد لكنه فوجئ بسيده يمنعه من الدخول ويرفض اصطحابه معه وأمره بالعودة سريعا للقصر ليرعى شئون القصر هناك.

ورغم دهشة (عبد الصمد) البالغة من تلك الطريقة الفجة التي لم يعتادها قط من سيده لكنه ودعه دون مناقشة وركب الكارته عائدا للقصر في طاعة تامة بينما دلف (شاكر) لمحطة القطار لا يحمل سوا العصا الملعونة فقط في راحة يده اليمنى ، وصعد للقطار المتجه لمحافظة لصعيد وليس قطار القاهرة كما أخبر خادمه وبعد أن جلس داخل إحدى كبائن القطار بالدرجة الأولى أخذ يحدق في هيئة العصافي كرهه شديد وهو يتساءل عن كيفية تحول ذلك الشئ الخشبي لهيئة تلك الشيطانة الرهيبة ولقد قرر الذهاب إلى قصره الموجودبمدينة أسيوط ليبحث عن ضحية هناك بعيدا عن أنظار الناس وفي نفس الوقت لا يعرف أحدا بذهابه إلى هناك كما يمكنه اصطحاب أي شخص للقصر الذي يقع بعيدا على أطراف البلدة بعيدا عن الناس والعمران وهو مغلق منذ عدة سنوات ولا يذهب إليه غير الخدم في نهاية الأسبوع لتنظيفه من الأتربة.

هبط الليل بستائره عندما وصل القطار لمدينة أسيوط فهبط (شاكر) من القطار حيث صعدلعربة الحنطور الوحيدة الموجودة أمام محطة القطار والتي بقيت بعد رحيل المسافرين في عربان حنطور مماثلة وبعد أن خلى الشارع تماما من المارة حيث أنتصف الليل.

طلب (شاكر) من سائق الحنطور توصيله للقصر الذي يقع في أطراف مدينة أسيوط.

كان سائق الحنطور مترددا في قبول تلك التوصيلة لبعد المسافة ولان القصر كان بعيدا عن العمران تماما حيث كان الطريق مظلما بشدة ويمتلئ بحقول الذرة وما أدراك ما هى حقول القصب ليلا في بلاد الصعيد ، ولكن ذلك الجنيه الورقي الذي ناوله(شاكر) إياه جعله يهوي بسوطه على ظهر الحصان الذي انطلق علي الفور متوجها للقصر.

انطلقت عربة الحنطور تقطع الطريق الترابي والغير ممهد في سرعة كبيرة كان علي جانب الطريق الأيمن يوجد مجرى مائي كبيريستخدمه المزارعين لروي الحقول بينما انتصبت أعواد القصب الذي ينتشر زراعته بكثرة في مدينة أسيوط على الجانب الأخر من الطريق.

كان الليل قد هبط تماما ليلا فأخرج (شاكر) ساعته الذهبية المعلقة بسلسة ذهبية في جيب سترته حيث فتح غطائها الذهبي ونظر لعقاربها فوجدها الثانية عشر إلا دقيقتان فقط إنه الموعد الذي تتخذ العصا تلك الهيئة الشيطانية وبالفعل نظر ذلك الأخير للمقعد المجاور حيث وضع العصا الشيطانية فلم يجدها بجانبهفلقد اختفت العصا فجأة من جانبه دون أدنى أثر ولكنه يعلم تماما بأنها ستعود بهيئتها الشيطانية البشعة ولكنه لم يكن قد أحضر لها ضحية بعد ، ولكن فجأة خطرت له فكرة رهيبة نعم لما لا يكون سائق الحنطور هو الأضحية وخاصتا أن الظروف مناسبة فالمكان مهجور كما خلا الطريق من المارة تماما في ذلك الوقت من الليل.

ولكن (شاكر) أخذ يتساءل كيف سيخبر تلك الشيطانة بأن ذلك الرجل هو ضحيتها ولكن سؤاله لم يطل كثيرا فلقد أبصر (ليليتو) ترقد على جانب الطريق بجانب أعواد القصب وقد كشفت عن فخذها وجزء من صدرها المكتظ بشكل مغري.

كان سائق الحنطور قد رآها راقدة علي ظهرها وهى تشير له بالتوقف في توسل فأعتقد ذلك الأخير بأنها امرأة مصابة تطلب المساعدة وكأيرجلا مصريا يمتاز بالشهامة والرجولة أسرع الرجل يوقف الحنطور في منتصف الطريق تماما حيث هبط ليرى ما أصاب تلك الفاتنة التي ترقد على جانب الطريق وهى تتطلب منه المساعدة كان الرجل ينطلق نحوها مفتونا مشدوها حتى أنه لم يلاحظ صهيل الجواد الذي أصابه الرعب وأخذ يضرب الهواء بقوائمهالأمامية.

انحنى الرجل نحو الشيطانة (ليليتو) وهو ينظر لصدرها البارز في افتنان شديد وقد تناسى وجود (شاكر) بالحنطور كما سد سمعه تماما عن صهيل الجواد المستمر وهو يمد يده لها محاولا مساعدتها على النهوض قائلا:

-هل أصابك سوءيا سيدتي ولكن كيف جئني إلى .....

اختنقت الكلمات في حلقه عندما برزت لها عدة أزرع تنتهي كلا منها بمخالب حادة وقد برزت أنيابها من داخل فمها لتستعيد شكلها البشع وهى تهض قائلة له في لهجة جمدت الدماء في عروق الرجل:

-لقد جئت للحصول على طعام العشاء.

حاول الرجل الهرب من أمامها وهو يصرخ مستنجدا ب(شاكر) قائلا:

-أنقذني يا سيدي إنها النداهة ستمتص د.....

لكن الرجل المسكين لم يكمل عبارته فلقد أمسكت به(ليليتو) من الجلباب الذي يرتديه وأحاطت جسده بأذرعها العديدة وارتفعت به عاليا بواسطة أجنحتها القوية وما لبثت أن اختفت في السماء المظلمة وما لبثت أن عادت للهبوط وهى تحمل الرجل لداخل حقول القصب بعد أن مزقت حنجرته بأنيابها وصار جثة خالية من الحياة تماما.

بعد أن انتهت (ليليتو) من قتل الرجل قامت بشق معدته بشكل بشع حيث أخرجت أحشاءه وأخذت تسحبها للخارج وهى تقوم بشفطها بواسطة فمها كما يفعل طائر (أبو قردان) عندما يسحب الديدان من باطن الأرض بمنقاره بعد ذلك قامت بالتهام قطعا كبيرة من لحم الرجل كما روت ظمأها بدمائه الحارة وبعد أن انتهت من التهام تلك الوليمة البشرية قامت بسحق جسد الرجل في شكل غاية في البشاعة كما فعلت بجسد كلا من خادمة السير (توماس) وذلك البحار المسكين الذي حاول تنبيه

(شاكر) من قبل ثم عادت تتخذ ذلك الشكل الأنثوي الشهواني مرة ثانيةوفوجئ بها (شاكر)تجلس بجانبه فوق مقعد الحنطور فأجفل متراجعا في رعب هائل وهو يشاهد الدماء الجافة تغرق فمها ورقبتها وصدرها من أثر التهام الرجل وقد أخذ الجواد يضرب الأرض بقوائمه الأمامية في خوف هائل.

فنظر إليها (شاكر) في خوف هائل قائلا:

-هل إنتهيتي من تناول طعامك.

هزت(ليليتو) رأسها وابتسمت قائلة:

-لقد نفذت ما طلبته منك والآن هيا لتحصل مني على المقابل.

نظر إليها (شاكر) في خوف قائلا:

-إنني لا أريد منك أي شئ فقط أرحلي واتركيني أعيش في سلام.

ابتسمت (ليليتو) قائلة وهى تلصق جسدها الشهواني به:

-ألا تريد التمتع بذلك الجسد الشهواني والحصول على السبيكة الذهبية أيضا.

كانت تتوقع بأن يجيبها بشئ من اللهفة ولكنها فوجئت به يبعد عنها وهو يقول لها:

-لا لم أعد أريد معاشرتك بعد اليوم ولا أريد ذهبك..

تطاير الشرر من عيناهاذات البؤر الأربع وقالت بفمها الذي امتلأ بتك الأنياب التي طالت فجأة مرة ثانية:

-ولكنني أريد التمتع بجسدك أيها الإنسي.

وبكل رعب الدنيا هز رأسه برعب دون أن يجيب بينما مدت ليليتو مخالبها لتمزق حلتهتماما ليصبح عاريا تماما وأرغمته على أن يتمدد فوق مقعد الحنطور العريض ثم قامت باعتلاء جسده لتحصل على نشوتها الشيطانية وبعد أن انتهت (ليليتو) من ذلك اللقاء الحميم ابتسمت في سخرية وهى تلقى لهبسبيكة ذهبية كالمعتاد قائلة له في لهجة تهديد:

-لتنتظرني يوم السبت من كل أسبوع لتلبي رغبات جسدي أيها الإنسي الحقير.

هز (شاكر) رأسه في رعب بينما أخذت تنظر للجواد في غضب فلقد أخذ يصهل في رعب وهو يحاول التملص من الحبال التي تقيده للحنطورقفزت (ليليتو) فوق ظهر الجواد وبقرت بطنه في وحشية شديدة ثم عادتلتتخذ هيئة العصا الملعونة.

أخذ (شاكر) يحدق بها ويلعن ذلك اليوم الذي قام بشرائها فيه ، و يا ليته ما فعل أو كان استمعلكلام البحار الزنجي وتركه يقذفها في مياه البحر.
أسرع (شاكر) يهبط من الحنطور متوجها لقصره بملابسه الممزقة مخترقا حقول القصب حتى لا يراه أحد من المزارعين الذين يقومون أحيانا بالمجئليلا للاطمئنان على النباتات أو ليقوموا بري الحقول.
وعندما (شاكر) وصل لباب قصره أسرع يعتلي سور القصر الخارجي وقام بفتح باب القصر بالمفتاح الذي يملكه وصعد درجات السلم المظلم حتى وصل لحجرته فأخرج من صوان ملابسه حلة من حلل والده ليرديها بدلا من تلك الحلة التي قامت (ليليتو) بتمزيقها أثناء ممارستها الجنس معه حيث كان يحتفظ بملابس والده في ذلك الصوان وكان والده يقاربه طولا ثم حمل الحلة الممزقة ووضعها داخل ملاءة وأسرع يغادر القصروقام بإلقائها داخل مصرف المياه وانطلق حتى وصل لمحطة القطار حيث وجد قطارا مغادرا المحطة فأسرع يقفز داخله على الفور قبل أن يبصره أحدا من أهل البلدة وما لبث القطار أن تحرك مغادرا مدينة أسيوط بعد أن قام (شاكر) بتقديم أول الأضاحي البشرية لتلك الشيطانة(ليليتو).

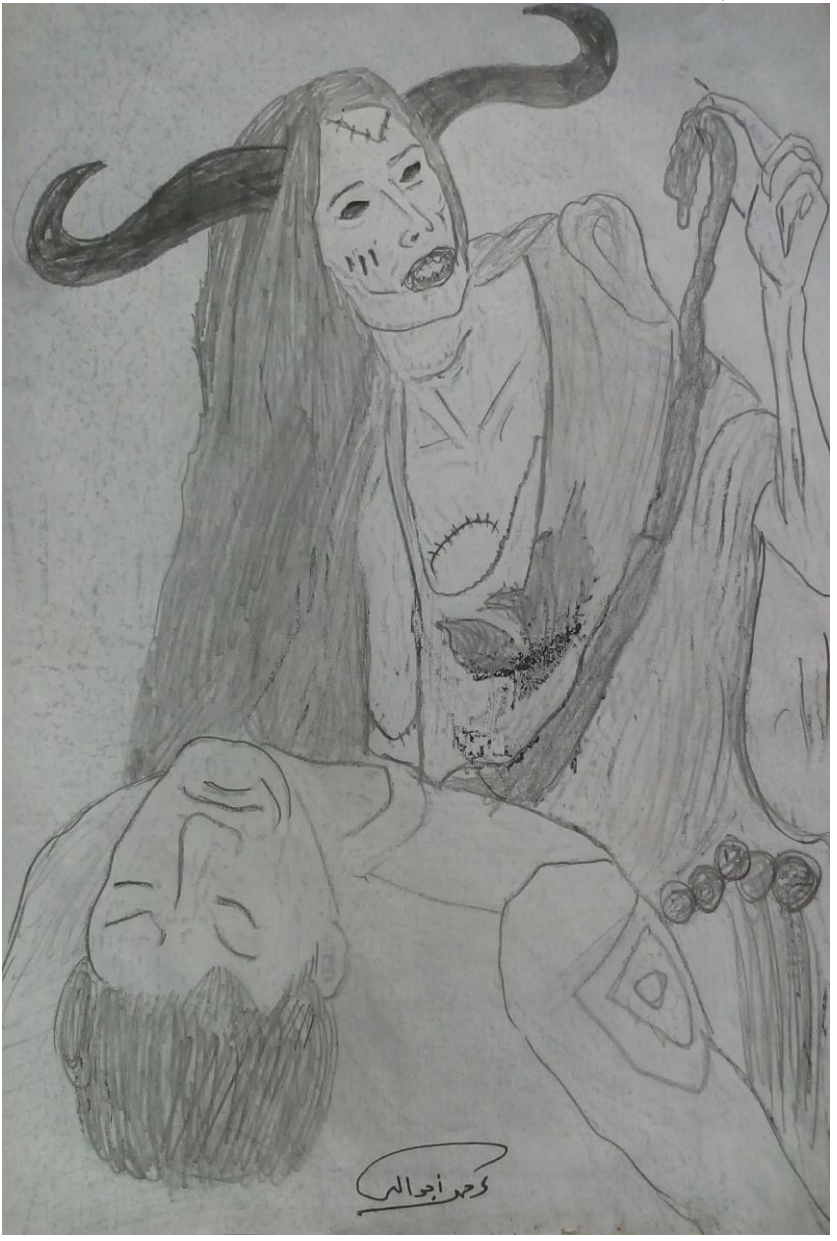

الأضحية الثانية.

عاد (شاكر) إلى قصره الثاني بمحافظة المنوفية في مساء اليوم التالي حيث أسرع يغتسل جيدا من تلك أثار تلك الليلة الرهيبة.
وعندما انتهى من عملية الاغتسال تلك أسرع لدخول حجرة مكتبه على الفور وأخذ يبحث داخل صفحات الكتب عن أي شئ يستطيع به إنهاء تلك اللعنة الشيطانية الرهيبة التي أصابته لكن دون جدوى فكل الكتب بلا استثناء تقول بأن ذلك العقد الذي يوقع عليه الإنسان للشيطان ما هو ألا طريق ممهد للجحيم.
وبعد مرور خمسة أيام أخرى تجسدت له (ليليتو) في إحدى الليالي حالكة الظلام لتأمره بمعاشرتها كالعادة.
لكنه رفض معاشرتها متعللا بالمرض لكنه فوجئ بها تلطمه بذيله لطمه ألقت به ثلاثة أمتار كاملة قبل أن يرتطم بالحائط في قوة ويسقط متألما بينما كشرت هى عن أنيابها وهى تقول بغضب:
-لقد فهمت خطأ أيها الآدمي الحقير فأن مجبرا على معاشرتي ولست مخيرا ، ما أنت سوى عبدا لي منفذا لرغباتي ومطفئ لشهواتي.
وبالفعل نفذ لها (شاكر) كل ما تريد.
وبعد أن انتهى اللقاء الحميم بينهما ارتمى (شاكر) فوق الفراش وهو يلهث من ذلك المجهود الشاق الذي بذله في معاشرة تلك الشيطانة فحقا أن لها جسد من لهب وشهواني بدرجة لا مثيل لها ولكنها أيضا كانت تمتص قوته ورجولته امتصاصا.
نهضت (ليليتو) من فوق الفراش وألقت إليه بسبيكة ذهبية كالمعتاد. وعندما همت بالرحيل توقفت فجأة ويبدو بأنها قد تذكرت شيئا ما فعادت تلقي له بسبيكة ذهبية أخري فوق الفراش وقالت له:
-هذه السبيكة الذهبية نظير الطعام الذي جلبته لي منذ عدة أيام والآن عليك بإحضار أضحية أخرى في بداية الشهر القادم وإلا أنت تعلم ما هو العقاب.
وما إن فرغت (ليليتو) من عبارتها حتى تحولت لسحابة من الدخان الكثيف وأبصرها (شاكر) تعود لتتخذ هيئة العصا فأخذ يبكى بعد أن علم إلى أي مستوي وصل إليه فلقد باع روحه للشيطان مقابل الشهوة وبعض الذهب ويا له من ثمن بخس ولكن الخمر هوالسبب في كل ما وصلإليه فلولا أنه شرب خمراحتى ثمل ما كان وافق على توقيع العقد أبدا.

وضع السير (توماس) سماعة الهاتف في غضب شديد ونهض من خلف مكتبه وأخذ يزرع المكان ذهابا وإيابا.

في تلك اللحظة دخلت(صوفيا)أبنته حجرة المكتب وهى تحمل قدح من القهوة قامت بإعداده خصيصا لوالدها بيدها وعندما أبصرته غاضبا بتلك الدرجة التي لم تعتاد رؤيته بذلك الشكل من قبل فقامت بوضع قدح القهوة علي سطح مكتبه وسألته قائلة:

-ما الذي يغضبك بتلك الطريقة يا أبي لقد ذهبت لإعداد قدح القهوة الذي طلبته مني وكنت هادئا فماذا حدث.

توقف والدها ونظر إليها للحظات ثم قال في استياء شديد:

-لقد رفض المحققون في (اسكوتلنديارد) تولي قضية مقتل (كارولين).

زوت (صوفيا) ما بين حاجبيها في دهشة قائلة:

-ولكنك قد أخبرتني من قبل بأنهم قد وافقوا علي تولي تلك القضية منذ عدة أسابيع.

قال السير (توماس) في دهشة:

-نعم لقد حدث ذلك بالفعل وأخبروني بأنها قضية شديدة الغموض وإن ذلك النوع من القضايا يستمتعون به بشدة لأنها تتحدى ذكائهم.

(صوفيا):

-حسنا وما هي المشكلة الآن.

والدها:

-لقد قاموا بالاتصال بي منذ دقائق قليلة وأخبروني بأسفهم الشديد لرفضهم تلك القضية لأنها مجرد قضية انتحار عادية لا ترقى للجرائم الكبرى التي تتولاها (اسكوتلنديارد).

قالت (صوفيا) في سخط:

-وما الذي جعلهم يغيرون رأيهم في تلك القضية.

أجابها والدها قائلا:

-إنني أعتقد بأن هناك من يحاول غلق ملف قضية مقتل (كارولين) بأي شكل كان ولكن لماذا ومن يكون هذا الشخص لا أدري حقا.

قاربت تلك المهلة التي أعطتها (ليليتو) (لشاكر) على النفاذ أسرع من البرق حيث كان ذلك الأخير يقضي نهاره بالكامل يتفحص ذلك الكتاب الذي يتحدث عن الشيطانة (ليليتو) ليحاول الخروج منه بأي نقطة ضعف لها لكن دون جدوى فأخذ يعيد قراءته مرارا وتكرارا عله يجد شيئا ينقذه من قبضتها.
بينما كانت (ليليتو) تحضر له كل يوم سبت لتعاشره بالقوة حتى أصابه الهزال والضعف الشديد من تلك المعاشرات الشيطانية حتى أقترب ميعاد إحضار أضحية جديدة وقد نهته (ليليتو) لذلك الأمر قبل مغادرتها في أخر لقاء لهما.
فأخذ يفكر في طريقة جديدة للعثور على أضحية ثانية لتلك الشيطانة فلقد كان خائفا من أن تلحق الأذى بعائلته في حاله عدم طاعته لها.
لذلك قرر أن يسافر للقاهرة ليبحث عن أضحية جديدة وسط زحام تلك المحافظة الكبيرة العامرة بالبشر.
وبالفعل في اليوم التالي غادر قصره متوجها للقاهرة في القطار الذي غادرمحطة شبين الكوم في الصباح الباكر متوجها للقاهرة.
وعندما وصل (شاكر) للقاهرة غاص وسط زحامها وهو لا يحمل معه سوى تلك العصا اللعينةوالتي أصبحت لا تفارق راحة يده أبدا و وأخذ يسير في شوارع القاهرة الهادئة وهو يبحث عن شخصا يصلح كأضحية للشيطانة (ليليتو) دون أن يجد ضالته وعندما تعب من السير أخذ يبحث عن مكان يريح به قدميه التي تورمت من السير ويطلب فيه بعض الطعام بعد أن شعر بالجوع ينهش معدته.
كانت الشمس قد قاربت على المغيب عندما دلف لأحد الكازينوهات التي تقدم الطعام والخمر مصحوبة بوصلات غناء ورقص واختار إحدى الموائد الخالية حيث جلس في مواجه خشبة المسرح تماما حيث كانت أحدى المطربات تقوم بالغناء بصوت عذبا جميلا وعندما انتهت فقرتها الغنائية أسرعت بالخروج من على خشبة المسرح التي أظلمت تماما ثم ما لبثت أن أضاءت بشكل مبهر لتسقط الأضواء فوق جسد متناسق مثير لإحدى الراقصات التي أخذت تتلوى فوق خشبة المسرح بإغراء

ودلع وهي تبرز مفاتنها وخاصتا صدرها الناهد الذي رفعته لأعلى ليبرز أكثر من نصفه خارج حلة الرقص بشكل كله إثارة لتنول رضاء الحاضرين وليختارها أحدهم لقضاء ليلة حمراء بأحضانها.

ولقد وجدها (شاكر) فرصة مواتية له وعلى الفور صعد لخشبة المسرح وأخرج مبلغا كبيرا من المال وأخذ يلقيه فوق جسدها المثير وبأخر ورقة نقدية يمسكها قام بوضعها داخل صدرها وهو يتحسسه بأصابعه قاصد فعلته هذه ثم أنحنى عليها قائلا في همس:

-لو توافقين على قضاء تلك الليلة معي فسوف أمنحك مبلغا كبيرا من المال.

حدقت الراقصة في وجهه مندهشة من جراءته البالغة ولكنها ابتسمت ابتسامة تعني بأنها موافقة بكل تأكيد فهي تعشق ذلك النوع الجرئ من الرجال.

هبط (شاكر) من فوق خشبة المسرح حيث دفع ثمن ما طلبه من طعام وشراب وأسرع يغادر الكازينو وهو يغمز للراقصة بطرف عينيه فما كان منها إلا أن أسرعت تنهي رقصتها فوق خشبة المسرح وانطلقت لحجرتها على الفور حيث قامت بخلع بذلة الرقص وارتدت قميص نوم مثير شفاف يبرز مفاتنها أكثر مما يخفي لتمتع به ذلك الزبون الذي يبدو بالغ الثراء فسوف يدفع ما تطلبه منه دون جدال.

بعد ذلك ألقت الراقصة فوق جسدها ملاءة لف سوداء من ذلك النوع الذي تقوم نساء الإسكندرية بلفه حول أجسادهم ووضعت البيشة التي تضعها نساء هذا العصر فوق وجهها لتخفيه عن الأعين.

كان (شاكر) يقف خلف الكازينو بجانب الباب الخلفي منتظرا تلك الراقصة في قلق وتوتر خوفا من أن يبصره أحد يعرفه لكنه أجفل في خوف عندما أحس بيد ناعمة تتحسس شعره من الخلف فأسرع يستديرسريعا ليرى من الذي يتحسس شعره فوجدها سيدة تلف جسدها بملاءة سوداء كما تخفي وجهها بواسطة البيشة.

فنظر لها وقال لها في حيرة شديدة:

-هل تعرفيني يا سيدتي لتقومي بفعل ذلك الشئ؟

ابتسمت الراقصة من خلف البيشة التي تخفي بها وجهها قائلة بصوت ناعم:

-أنا من طلبت منها قضاء الليلة بين أحضانها.

فصاح متعجبا:

-هل أنتي تلك الراقص التي كنتي بالداخل.

هزت الراقصة رأسها قائلة.

-نعم وأسمي (دلال) وليس تلك الراقصة.

(شاكر):

ولكن كيف أعرف أنكي الراقصة (دلال) وأنتي تلبسين تلك العباءة وتخفين وجهك تماما بتلك البيشة.

نظرت إليه الراقصة من أسفل بيشتها ثم أطلقت ضحكة مجلجلة وقالت بدلال ودلع:

-معك حق كيف ستعرف بأنني تلك الراقصة هل ذلك يجعلك تتعرف علي.

كان يتوقع أن تقوم بخلع تلك البيشة التي تخفي بها وجهها ولكنه فوجئ بها تزيح العباءة عن جسدها لتبرز من أسفلها تلك الأنوثة الطاغية الذي لا يسترها سوى قميص نوم قصير وشفاف بشكل فاضح.

أطلق (شاكر) صفير إعجاب شديد بجسدهاالرائع فأسرعت تخفي جسدها مرة ثانية بالملاية اللف وقالت له:

-هل سنقضي الليل بأكمله لنتعرف على بعضنا البعض في وسط الطريق أم ماذا.

(شاكر):

-لا سوف نذهب لنتمتع بتلك الليلة سويا.

تعلقت الراقصة (دلال) بذراع (شاكر) دون حياء وكأنها تعرفه منذ سنوات وأخذت تحسه علي الابتعاد عن الكازينو بقدر المستطاع وهي تسأله قائلة:

-هل لديك مكان لقضاء تلك الليلة.

هز (شاكر) رأسه نفيا وقال لها:

-سوف نقضي ليلتنا في أحد البنسيونات القريبة من هنا.

أسرعت الراقصة (دلال) تقول في طمع واضح:

-إذن فأنت لا تملك مكانا لقضاء ليليتنا حسنا سوف اصطحبك معي لشقتي لقضاء تلك الليلة حتى تأخذ كامل حريتك كيفما تشاء ولكنك ستدفع مبلغا إضافيا نظير ذلك الأمر.

برقت عين (شاكر) في سعادةلذلك الحظ الجيدفجميع الظروف مناسبة تماما لتقديم الطعام للشيطانة(ليليتو)هذه الليلة.
في تلك اللحظة أشارت الراقصة لسائق عربة حنطور كان يجلس داخلها فاعتدل على الفور وقام بتوجيه الحنطور ناحيتها هى و (شاكر) ثم توقف بالحنطور أمامهما فصعدت الراقصة لتجلس داخل الحنطور يتبعها (شاكر) بينما عندما همس سائق الحنطور للراقصة التي كان يعرفها جيدا قائلا في همس.
-يبدو أنكي قد وقعتي على زبون لقطة هذه الليلة.
كان (شاكر) قد جلس بجانبها فتنحنحت الراقصة وغمزت لسائق الحنطور بطرف عيناها وأخرجت من حافظة نقودها قطعة من اللبان كانت ممضوغة من قبل فألقتها داخل فمها وأخذت تلوكها بشكل وقح وبصوت مرتفع وهى تقوم بوضع اللبانة على طرف لسانها وتنفخها لتصير على هيئة بالونه صغيرة فتقوم بالنفخ بها فتكبر وتكبر حتى تنفجر فتعيد فعلها مرة أخرى.
بعد مرور حوالي النصف ساعة توقف الحنطور أمام منزل يبدو عليه أمارات الفقر المدقع.
هبطت الراقصة (دلال) من الحنطور يتبعها (شاكر) بعد أن منح السائق مبلغا مجزيا الذي كانت فرحته كبيرة وهوى على ظهر الجواد بالسوط ليبتعد على الفور بينما صعدت الراقصة للطابق الثاني من المنزل يتبعها (شاكر) وهو ينظر لجدران المنزل المتآكلة بفعل الزمن والرطوبة.
توقف (دلال) أمام باب شقتها وأخرجت مفتاح صغير من داخل صدرها ودسته داخل ثقب الباب وقامت بفتحهودلفت إلى شقتها وعندما دخل .....(شاكر) خلفها أسرعت تغلق الباب خلفه بالمزلاج وتوجهت للمائدة التي كانت تتوسط الردهة حيث قامت بإشعال مصباح كبير يعمل بالكيروسين أضاء المكان على الفور.
استدارت (دلال) تحدج (شاكر)في وقاحة وما لبثت إن أزاحتالملاءة على جسدها وتركتها تسقط أسفل أقدامها لتبرز مفاتنها التي تظهر من أسفل قميص نومها الفاضح.

نظر (شاكر)لمفاتنها في جشع وشهوانية ثم نظر للعصا الشيطانية التي يتكأ عليها ثم ما لبث إن غمغم قائلا لنفسه:
-فلتنتظري قليلا أيتها الشيطانة.
ثم توجه للمائدة ووضع العصا فوقها ثم استجمع قوته وحمل الراقصة (دلال) فوق ذراعيه وتوجه بها نحو غرفة نومها وقام بإلقائها فوق الفراش برفق ثم صعد بجانبها.....
وبعد حوالي النصف ساعة كان (شاكر) قد انتهى من ممارسة الحب مع الراقصة التي أغمضت عيناها في نشوة ولذة.
نهض (شاكر) من جانبها وهم بالخروج من الغرفة فسألته الراقصة قائلة:
-إلى أين أنت ذاهب هل سترحل.
فنظر(شاكر) إليها قائلا في خبث:
-إنني لم أفرغ منكي بعد فما زال هناك الكثير بحوزتي يا فتاتي.
ارتسمت علاماتالرضا على وجه الراقصة ويبدو أنمعاشرة (شاكر)لها قد نالت إعجابها ورضاها بشدة.
خرج ذلك الأخير للردهة حيث التقط العصا من فوق المائدة وعاد بها وللحجرة ولكن على أطراف أصابعه ووضع العصا بجوار الراقصة التي كانت مغمضة العينين.
وعلى الفور أخذت العصا تمددت وتستطيل لتأخذ شكلها الشيطاني
كانت حركات العصا وهى تتجسد لتتخذ شكل الشيطانة حركات عنيفة تسببت في اهتزاز الفراش بشدة ففتحت الراقصة عيناها معتقدة أن (شاكر) قد عاد ليضاجعها مرة ثانية لكنها فوجئت بتلك الشيطانة القبيحة تنقض عليها بأنيابها المدببة فتقوم بغرزها داخل عنقها البض وتبدأ في امتصاص الدماء منه بلا رحمة.
لم تستطيع الراقصة أن تطلق صرخة واحدة فلقد انقضت عليها(ليليتو) بسرعة البرق لكنها رفعت كفها الأيمن لتستجد ب(شاكر) الذي أسرع بمغادرة الغرفة وقام بإغلاق بابها خلفه حتى لا يشاهد ما سيحدث للراقصة المسكينة.

وعندما انتهت(ليليتو) من طعامها البشري خرجت للردهة بعد أن اتخذت هيئتها البشرية ،وكانت تلعق شفتيها بواسطة لسانها الطويل المشقوق من أثار دماء تلك الراقصة.

كان (شاكر) يجلس فوق الأريكة الموجودة في الردهة ويتطلع لها في اشمئزاز هائل مصحوبا بشئ من الخوف.

نظرت إليه (ليليتو) نظرة جمدت الدماء في عروقه وهي تقول له:

-ماذا أصبحت اسبب لك الاشمئزاز لهذه الدرجة أم إن أحضان تلك الراقصة قد أنساك زوجتك الحبيبة (ليليتو).

حاول (شاكر) أن يقول شيئا لكن الكلمات خرجت من بين شفتيه متلعثمة خائفة.

لكن (ليليتو) قالت له في مبالاة:

-لا تخف يا رجل إنني شيطانة متحضرة لا يفرق معي خيانتك من عدمها فأنا لست حمقاء مثل زوجتك (صوفيا) فلقد تركتك ترتوي من جسد تلك الراقصة كيفما شئت ولكن هناك أمرا واحدا يجب أن تعلمه عني جيدا.

فنظر إليها (شاكر) في تساءل فقالت بوحشية:

-إنني لا أحب لحم النساء أنا أفضل لحم الرجال ولكنني سأتغاضى عن ذلك الأمر تلك المرة فقط ولكن في المرة القادمة ستندم أشد الندم لو خالفت أوامري.

كانت تتحدث معه وهي تقترب منه وتتحسس جسده بكفها البض.

ابتعد (شاكر) عنها وهو يزيح كفها بلطف فهو يعلم أن كل ذلك ليس سوى قناع ترتديه تلك الشيطانة لتثير شهوته نحوها قائلا لها:

-أنني متعب يا (ليليتو) انتظري للأسبوع القادم كما تعودنا.

لكنه فوجئ بهاتكشر عن أنيابها وقالت بصوت بشع قادما من أعماق الجحيم:

-ماذا تعني بأنك متعب هذا الأمر لا يخصني في شئ هيا قوم بخلع ملابسك قبل أن أقوم بتمزيقها لك.

ودون أن يعترض (شاكر) قامبخلع ملابسه تماما وتركها تحصل منه على ما تريد.

إنه يدفع ثمن العصا الآن ولكن الثمن غاليا فادحا وبشدة.

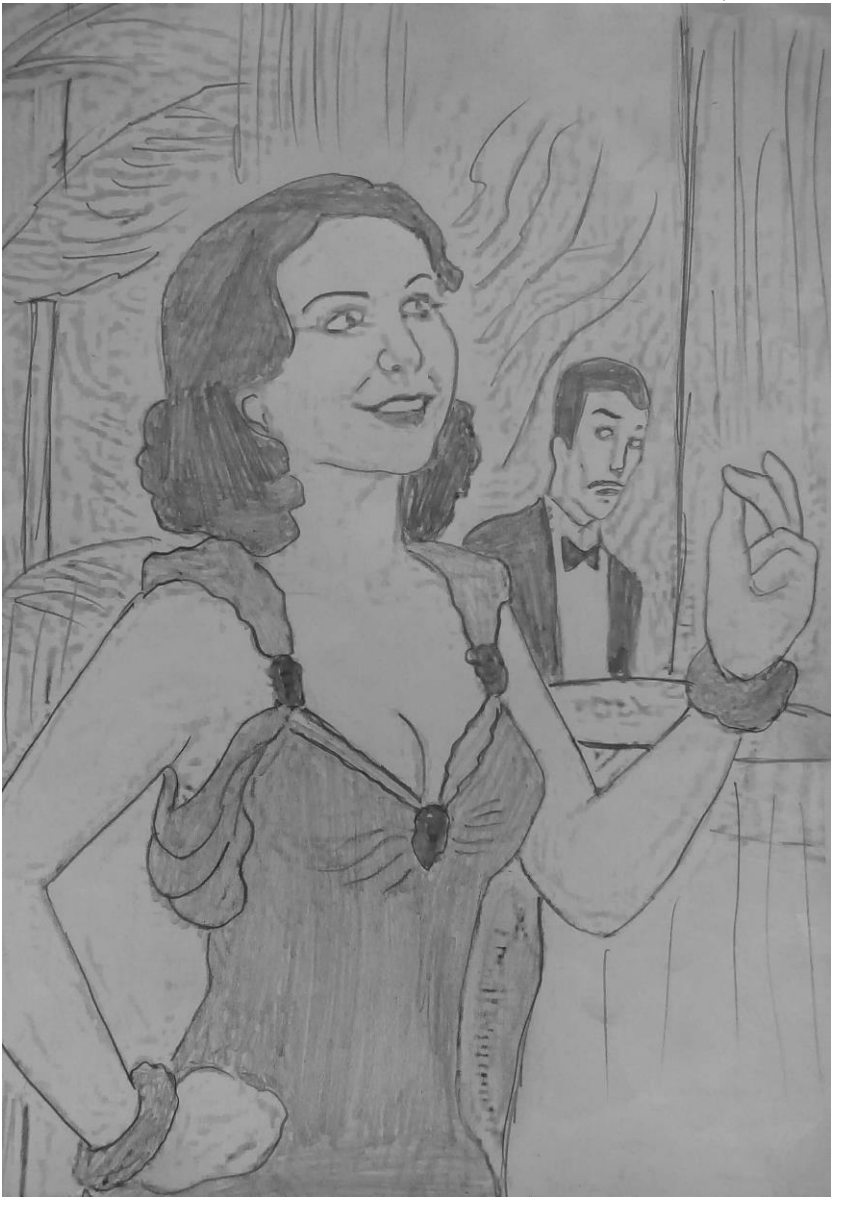

شاكر يستمع للغناء

الراقصة (دلال)

الأضحية الأخيرة.

وقف سائق الحنطور أمام البكباشي (أنور مجدي) أثناء تحقيقه في حادثة مقتل تلك الراقصة التي قامت (ليليتو) بقتلها منذ أسبوع مضى ليدلي بأقواله.

فبعد أن اختفت الراقصة (دلال) تماما وغابت عن عملها ذهب صاحب الكازينو يسأل عنها جيرانها فوجدهم لا يعلمون شيئا عنها.

فصعد الرجل لباب شقتها وأخذ يدق عليه باب بإصرار شديد ولما لم يجد إجابة قام بتحطيم باب الشقة بمساعدة الجيران وإذا برائحة نتنه تقابله في وجهه.

فتوجه الجميع لحجرة النوم حيث وجد الرجل جثة الراقصة وهى ممدده فوق الفراش الغارق في دمائها وقد تحطمت أطرافها بشكل رهيب فأسرع الرجل يبلغ الشرطة التي حضرت وعاينت الجثة تاركة للطبيب الشرعي مهمة فحص الجثة وقد أسندت القضية للبكباشي (أنور مجدي) الذي يعد من أكفأ ضباط المديرية.

وعندما بدأ التحقيق في مقتل الراقصة حضر سائق الحنطور متطوعا لقسم الشرطة وأخبرهم بركوبها معها بصحبة رجل يبدو عليه الثراء الشديد وأنه هو من قام بتوصلهم للمنزل الذي تقيم به الراقصة.

فطلب منه البكباشي(أنور) الإدلاء بأوصاف ذلك الرجل ليقوم الرسام برسم لوحة تقارب شكلوجهه تماما.

وبعد أسبوعان من العمل المضني أستطاع الرسام رسم صورة للقاتل وكانت بالفعل تشبه إلى حد كبير وجه (شاكر).

وفي أحد الأيام بينما كان البكباشي(أنور)يجلس خلف مكتبه يتناول قدح من القهوة أقتحم مساعده الصول (أمين) الحجرة وهو يضع جريدة أسبوعية أمامه فوق سطح المكتب فنظر أيها البكباشي (أنور) في تساءل.

-ما هذا يا رجل لست أفهم شيئا.

أشار الصول لخبر في نهاية الجريدة مصحوبا بصورة غير واضحة الملامح لشئ يشبه جثة شيئا ما وقال له:

-أنظر يا سعادة البكباشي لذلك الخبر الموجود في نهاية تلك الصفحة إنها جريمة تشبه إلى حدا ما نفس الجريمة التي حدثت لتلك للراقصة وقد قامالقاتل بتحطيم أطراف جثة ذلك القتيل تماما مثلما حدث مع الراقصة.

اختطف البكباشي(أنور) الجريدة من فوق سطح مكتبه في لهفة والتهم الخبر التهاما وبعد أن أنتهي من قراءة الخبر رفع بصره في دهشة عارمة ينظر لمساعده قائلا:
-عجبا نفس طريقة قتل الراقصة وامتصاص دمائها ونفس التواءوتشوه أجزاء الجثة بقوة جبارة.
في تلك اللحظة اقتحم أحد الجنود الحجرة وهو يعطي البكباشي(أنور) تصريح الإجازة الذي كان ينتظره بفارغ الصبر.
لكن البكباشي(أنور) لم يلقى له اهتماما ونظر لمساعده قائلا:
-أريد معرفة ميعاد القطارات المتوجهة لمدينة أسيوط التي وقعت فيها تلك الجريمة.
نظر إليه مساعده في دهشة بالغة قائلا:
-ولكنها أجازة سيادتك التي كنت تنتظرها منذ شهرا كاملا.
نهض البكباشي(أنور)من خلف مكتبه قائلا بحزم شديد:
-الواجب وحياة المصريين أولا يا (أمين) ولن يهدئ لي بال قبل أن أقبض على ذلك القاتل المجنون الذي يمزق جثث ضحاياه بذلك الشكل البشع.
هناك داخل قلعة السير (توماس) جلست (صوفيا) فوق فراشها حيث كانت تقوم بتمشيط شعرها الناعم بفرشاة شعر مصنوعة من العاج الذي يؤخذ من أسنان الفيلة التي يقتله الصيادين الإنجليز في المستعمرات البريطانية الموجودة في مجاهل أفريقيا.
كان أبناءها يلهوان داخل فناء القلعة رغم هبوط الليل حيث كان جدهم قد أحضر لهم شيئا جميلا شئ دائري يلعب به بواسطة ضربها بالأرجل وتسمى كرة وأخبرهم جدهم بأن تلك الكرة هي اللعبة المفضلة للرجال والأولاد الإنجليز على السواء.
فرح الأولاد بشدة بتك الكرهحقا أنهم يملكون مثلها في مصر ولكنها ليست مصنوعة من الجلد أو مملوءة بالهواء مثل تلك الكرة التي أحضرها لهم جدهم اليوم فالكرة الاخري قام عمهم(عبد الصمد) بصنعها من الخرق البالية وقام بتعبئتها بالقش وكان يلعب بها معهم في فترات الأجازة من أوقات الدراسة.
لذلك فلقد فرح الأولاد جدا باللعب بها لسرعتها وسهولة اللعب بها حتى إنهم لم يلاحظون هبوط الليل وهم يلعبون بها في فناء القلعة ولم يحاولون العودة لداخل

القلعة كما أمرتهم والدتهم التي طلبت منهم عدم التواجد في فناء القلعة بعد غروب الشمس.
وقف (أحمد) و(مصطفى) كلا منهم في جانب وآخذوا يتبادلون ركل الكرة بالقدم في اتجاه بعضهم البعض بكل ما يملكون من قوة.
وفي تلك المرة ركل (مصطفى) الكرة بكل ما يملك من قوة في اتجاهأخيه الذي لم يستطيع صدها وهربت من تحت أقدامه لتبتعد وتسقط داخل المكان الذي يوجد به ذلك البئر التي قتلت فيه (كارولين) منذ عدة أشهر.
لحق(أحمد) بالكرة وهبط خلفها في تردد وقد أخذ يتحسس درجات السلم المودية للبئر بحثا عن الكرة ولكن الظلام كان حالكا فهم أن يعود أدراجه عندما سمع صوت ضربات الكرة وهى تتقافز فعاود الهبوط للبئر وقد أصابه شئ من الخوف لكنه شاهد الكرة ملقاة بجانب جدار البئر فأسرع نحوها وانحنى يلتقط كرته عندما قبضت يد على معصمه بقوة كبيرة فرفع بصره ينظر لصاحب تلك اليد ليفاجئ بالخادمة (كارولين) أو بمعنى أدق بشبحها حيث كانت أحجار البئر تظهر من خلال جسدها الشفاف.
تراجع (أحمد) في رعب هائل محاولا التملص منقبضة الشبح الذي فتح فمه على اتساعه بشكل مرعب وصرخت قائلة:
-أنظر ما فعله بي أباك.
نظر لها (أحمد) في رعب هائل واستجمع كل شجاعته وأطلق صرخة مدوية وسقط فاقد للوعي تحت أقدام الشبح.
قفزت (صوفيا) من فوق فراشها وهرولت حافية الأقدام عند سماعها صرخة ولدها القادمة من ناحية ذلك البئر الذي لم يعد أحدا يقترب منه منذ مقتل خادمتهم (كارولين) داخله.
وعندما وصلت للبئر أبصرت (أحمد) ممددا بجانب البئر فاقدا للرشد وأخيهبجانبه يهزه بقوة وهو يزرف الدموعبغزارة وخوف على شقيقه فأسرعت تفترش الأرض بجوار أبنائها وأسرعت تضم (أحمد) لصدرها وأحست بأنفاسه تعلو وتهبط بانتظام فحمدت الله على إنه ما زال حيا يرزق فلقد خافت أن يكون لحق بالخادمة.

وفي تلك اللحظة لحق بهاوالدها بملابس النوم وخلفه بعض الخدم تحمل المشاعل لإضاءة المكان كان من بين الخدم طبيب القلعة الذي أخذ يتفحص نبض الطفلفي قلق ثم رفع رأسه وقال للسير توماس بارتياح:

-الطفل سليم إنها مجرد إغماءة لا أكثر وسوف يفيق منها سريعا فليحضر أحدكم كوبا من الماء.

أسرع أحد الخدم لجلب كوب من الماء بينما سألت(صوفيا) ولدها(مصطفى) عما حدث لأخيه

هز(مصطفى) رأسه في حيرة ولاذ بالصمت في نفس الوقت الذي أحضر فيه الخادم كوب الماء فأخذه منه الطبيبوسكب بعض المياه فوق وجه أحمد وأخذ يربت عليه برفق.

وبالفعل بدأ (أحمد) يفيق شيئا فشيئا ثم فتح عيناه ينظر للمحيطين به وعندما تأكد من وجود والدته بجواره صاح قائلا:

-لقد هاجمتني الخادمة (كارولين) التي ماتت داخل البئر من قبل.

نظر إليه الجميع في ذهول شديد وما لبث جده تقدم نحوهواحتضنه وأخذ يربت على رأسه قائلا:

-لقد كنت تتخيل فقط يا عزيزي فالأموات لا يعودون للحياة مرة ثانية و(كارولين)هذه ماتت من عدة أشهر.

لكن (أحمد) رفع معصمه الذي قبض عليه ذلك الشبح في وجه جده قائلا :

-أنظر يا جدي لمكان أصابعها التي قبضت بهاعلى معصمي.

حدق الجميع بلا استثناء في معصم (أحمد) وأطلقت (صوفيا) شهقة رعب مكتومة بينما تراجع باقي الخدم في فزع فلقد انطبعت أثار شديدة الاحمرار لأصابع عظمية على معصمه.

جلس (شاكر)أسفل شجرة مانجو من تلك الأشجار التي تملئ حديقة قصره كان يستظل بظلها وهو يحتسي قدح من القهوة كعادته ولكن عقله كلن مشغولا بشدة فلقد اقترب موعد تقديم الأضحية الجديدة لتلك الشيطانة.

أخذ يحدق للعصا التي لا تفارق راحة يده أبدا بنظرات حقد شديد وهو يتساءل بينه وبين نفسه هل يستطيع التخلص من تلك اللعنة يوما ما أم ستبقى ملازمه له لنهاية حياته؟

بعد أن فرغ (شاكر)مناحتساء قدح القهوة نهض من فوق مقعده وصاح مناديا علي أحد الخدم الذي هرول على الفور ملبيا لنداء سيده الذي أمره بإحضار الكارته على الفور لأنه سيذهب لتفقد مزرعة الكروم خاصته.

وما هي إلا دقائق وكانت الكارته تقف أمامه فصعد إليها وأمسك بلجام الجواد ثم رفع سوطه وهوى على ظهر الجواد ليحسه على الانطلاق.

انطلقت الكارته تجوب الحقول في طريقها لمزرعة الكروم.

وفي طريقه لمزرعة الكروم أبصر (شاكر) شابا يجلس تحت شجرة توت في الطريق وهو يمسك عود من أعواد القصب ويقوم بامتصاصه بتلذذ شديد.

كانت علامات الفقر المدقع بادية علي ملابس الشاب التي تتكون من جلبابا باليا به العديد من الرقع التي تخفي تمزقات الجلباب البالي.

أوقف (شاكر) الكارته بجانب شجرة التوت الذي يجلس الشاب بأسفلها لتحميه من أشعة الشمس الحارقة وأشار له بالمجئ.

أسرع الشاب يلقي بنصف عود القصب جانبا وهرول مسرعا لتلبية نداء (شاكر).

وقف الشاب بجوار الكارته قائلا:

-خادمك (سعيد) أيها الباشا.

نظر (شاكر) للشاب في إعجاب من فصاحته التي لم تشفع له بعد أن وقع عليه الاختيار لتقديمه كأضحية للشيطانة (ليليتو).

أخرج (شاكر) حافظة نقوده الجلدية من جيب سترته وفتحها مخرجا جنيها ورقيا كاملا ومنحه للشاب قائلا:

-خذ هذا الجنية أيها الشاب لشراء جلباب جديدا بدلا من ذلك الجلباب الممزق الذي ترتديه.

مد (سعيد) يده يلتقط ذلك الجنيه الورقي الذي لم يمسك به من قبل قائلا بسعادة بالغة:

-شكرا سيدي الباشا على كرمك الزائد.

ابتسم (شاكر) في خبث قائلا:

-حسنا أيها الشاب هل أنت من هذه القرية.

هز (سعيد) رأسه نفيا وقال:

-لا سيدي الباشا فأنا من إحدى القرى المجاورة وقد جئت للبحث عن عمل وكنت أبحث عنه منذ الصباح حتى تعبت من كثرة السير فجلست لألتهم ذلك العود من القصب الذي قد حصلت عليه من أحد الحقول القريبة.

نظر إليه (شاكر) سعيدا بذلك الصيد السهل فها هو شاب يافع كما طلبت منه (ليليتو) وهو يبحث عن عمل كما إنه ليس من تلك الناحية إنها فرصة سانحة.

تطلع (شاكر) إليه قليلا ثم قال:

-حسنا أيها الشاب سوف أقوم بمنحك عشرة جنيهات دفعة واحدة مقابل عملا صغيرا داخل قصري.

تهللت أسارير (سعيد) فرحا عندما سمع بقيمة ذلك المبلغ الذي سيعطيه (شاكر) إياه وقال في لهفة:

-متى يا سيدي.

أشار(شاكر) لقصره الذي يظهر من بعيد وقال له:

-أنظر لذلك القصر الذي على مرمى البصر إنه قصري وأنا أحتاجك لنقل بعض الأشياء التي لا أحتاجها داخلحجرتي وأريد من وضعها في غرفة التخزين الموجودة بالطابق الأرضي.

هز (سعيد) رأسه بالموافقة على الفور وهم بالصعود للكارته لكن (شاكر) منعه من الصعود قائلا بلهجة صارمة:

-ليس الآن أيها الشاب.

هتف (سعيد) قائلا في تساءل:

-إذن متى يا سيدي.

أبتسم (شاكر) قائلا:

-الليلة عند حلول الظلام عليك بالحضور للقصر حيث سأكون بانتظارك.

هز (سعيد) رأسه فرحا وعاد يجلس أسفل الشجرة ويلتقط عود القصب مرة ثانية ليكمل امتصاصه وهو منتظرا حلول الظلام بينما انطلق (شاكر) بالكارته عائدا لقصره ليبدأ الإعداد لتلك الليلة الرهيبة.

عندما وصل (شاكر) لقصره أعطى جميع الخدم أجازة تلك الليلة على أن يعودا في الصباح الباكر.
لم يصدق الخدم أسماعهم في البداية ولكنهم أسرعوا بالرحيل علي الفور لقضاء تلك الليلة بصحبة أولادهم.
لكن (عبد الصمد) سأل (شاكر) عن سبب تلك الأجازة الإجبارية التي قد منحها لجميع الخدم بلا استثناء فأخبرهذلك الأخير بأنه ينتظر بعض الأصدقاء الإنجليز وهو يعلم ذلك البغض الذي يكنه المصريين لهؤلاء المحتلين لذلك فلقد صرف جميع الخدم.
لم يقتنع (عبد الصمد) بذلك الكلام لكنه عاد يسأل (شاكر) قائلا:
-ولكن من سيقوم بتقديم الطعام والشراب لضيوفك.
قال (شاكر) في توتر:
-سوف نقوم بشرب الخمر فقط.
نظر له (عبد الصمد) نظره عتاب شديد وأسرع يغادر القصر بدوره ليلحق بباقي الخدم بعد أن رفض (شاكر) أن يبقيه بصحبته..
تنفس (شاكر) الصعداء بعد رحيل جميع الخدم من القصر وقد بدأت الشمس رحلة المغيب فجلس ذلك الأخير في ردهة القصر منتظرا مجئ (سعيد) ذلك الشاب الذي أوقعه حظه العاثر في طريق (شاكر) هذا اليوم.
وبالفعل ما هى إلا دقائق إلا وارتفعت ضربات قبضة الفتى على باب القصر الخشبي بإلحاح شديد.
فأسرع (شاكر) يفتح له الباب فدخل الشاب للقصر ووقف ينظر لأثاث القصر من الداخل غير مصدق لما يراه فلقد كان شابا من بيت شديد الفقير.
أشار له (شاكر) بالجلوس فوق أحد المقاعد.

أسرع (سعيد) يجلس فوق المقعد في سعادة بالغة بينما جلس (شاكر) في مواجهته وسأله قائلا:
-من أين أنت أيها الشاب؟.
(سعيد):
-من قرية (دنشواي) ياسعادة باشا.
تراجع (شاكر) كالمصعوق قائلا:
-(دنشواي) أليست تلك القرية التي شهدت تلك المذبحة الإنجليزيةالشهيرة منذ عدة أشهر.
هز (سعيد) رأسه في حزن واضح وأجابه قائلا:
-نعم يا سيدي وأنا أبن أحد الفلاحين الذين أعدموا ظلما في ذلك الوقت.
اتسعت عين (شاكر) في استياء شديد وهو يلوم نفسه بشدة فكيف سيقدم شابا من أهل قرية (دنشواي) الذي أقسم بأن يدافع عنهم ويحميهم لأخر عمره بل لقد كان والده واحدا من شهداء (دنشواي) لا لن يسمح بذلك الأمر أبدا سوف يطلب منه الرحيل ولكنه عندما هم بطرد الشاب من القصر فوجئ بصوت (ليليتو)يدوي داخل رأسه قائلا له:
-إياك وفعل ذلك وإلا سيكون أحد أبنائك هو طعامي لتلك الليلة.
-سيدي أين تلك الأشياء التي تود نقلها.
اخترقت عبارة (سعيد) سمع (شاكر) لتعيده لأرض الواقع مرة ثانية فنظر إليه قائلا في حزن شديد:
-عليك بالصعود للطابق الأعلى حيث ستجد حجرتي في نهاية الممر وستجد بابها مفتوحا على مصراعيه أدخل الحجرة ستجد تلك العصا التي كانت بحوزتي في الصباح موجودة فوق الفراش أحضرها لي على الفور.
انطلق(سعيد) في حماس شديد صاعدا درجات السلم وعندما وصل للحجرة وجد العصا فوق الفراش كما أخبره (شاكر) تماما
كانت الحجرة خافتة الإضاءة بشدة ولا ينفذ إليها سوابصيص خافت من ضوء الشموع ولكن الشاب أبصر العصا موضوعة فوق الفراش اقترب الشاب من الفراش وانحنى يلتقط العصا من فوق الفراش لكنه فوجئ بالعصا تزيد من حرارتها

بشدة وشعر بها وهى تنبض في راحة يده كأنها كائن حي فألقاها من يده على الفور في رعب وفجأة أضاءت الحجرة بضوء أحمر ساطع يشع من العصا ولم ينتظر الفتى ليشاهد ما الذي سيحدث فلقد دب الرعبفي قلبه فأسرع يحاول الفرار عبر باب الحجرة لكن لدهشته البالغة لم يجد باب الحجرة فاعتقد بأنه قد ذهب للاتجاه الخاطئ وعندما هم بالتوجه للجانب الأخر لكن نظر ارتطم بمنظر العصا الخشبية التي كان يمسك بها منذ قليل وهى تتمدد وتستطيل في ليونة مذهلة حتى صارت امرأة تقف أمامه عاري تماما كما ولدتتماما وكانت فاتنة وذات جسد شهواني رائع لكنها كانت تختلف عن البشر فلقد كانت تمتلك قرنان يخرجان من قمة رأسها كما إن عيناها مشقوقتان من أعلى لأسفل مثل القطط ويخرج من مؤخرتها ذيل طويل وقد برز جناحان عملاقان من خلف ظهرها.

تراجع (سعيد) في رعب هائل وهى تقترب منه وهو يحاول جاهدا الفرار من طريقها بلا جدوى فلقد كان عاجز عن الحركة مسلوب الإرادة وهى تسلط نظراتها عليه. اقتربت منه (ليليتو) أكثر وأكثر حتى شعر بأنفاسها الحارقة تلفح وجهه ثم فتحت فمها على اتساعه ليخرج لسانها المشقوق يتلوى كالأفعى وبدا يتحسس وجهه حتى وصل إلى عنقه ولم يشعر الشاب إلا بأنيابهاالمدببة تخترق عنقه في وحشيه وتمتص دماءه لأخر قطرة وأطلق الفتى صرخة هائلة قبل أن يخر علي أرضيه الحجرة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة تحت أقدام (ليليتو).

هب (شاكر) من فوق مقعده وهو يرتجف في رعب بعد سماع تلك الصرخة المرعبة التي انطلقت من حنجرة الشاب المسكين وأسرع يصعد درجات السلم عدوا حتى وصل إلي باب حجرته ففتح الباب على مصراعيه ليجد أمامه أبشع شئ شاهده في عمره بالكامل حيث كانت جثة الشاب ملقاة علي أرضيه الحجرة وقد خلت تماما من الحياة والدماء تنزف بغزارة شديدة من عنقه وقد التوت أطرافه بشكل رهيب بينما جلست تلك الشيطانة فوق جثمان وأخذت تمزق قطعا من لحم الشاب الصريع بمخالبها الحادة كمخالب الحيوانات الضارية وتلتهما في شراسة هائلة ثم تنحني لتمتص بعض الدماء المتناثرة على أرضيه الحجرة.

تراجع (شاكر) في رعب هائل وهو يشاهد تلك المذبحة البشعة بالإضافة إلى منظر (ليليتو) الرهيب بعد أن تخلت عن فتنتها الزائفة وتجسدت بشكل أكثر بشاعة من

كل المرات السابقة.فعاد يغلق باب الحجرة عليها وأسرع يهبط درجات السلم حيث دخل حجرة مكتبه وأغلق بابها عليه بالمزلاج مكتبه وألقى بجسده الذي ينتفض بشدة فوق أقرب مقعد صادفه وهو يدفن وجهه بين راحتيه ويبكي في مرارة ليس لها نظير.

مرت ساعة كاملة عليه وهو بتلك الحالة عندما شعر بيد ناعمة تتخلل خصلات شعره وصوت (ليليتو) يقول له:

- لقد انتهيت من طعامي يا (شاكر) وعليك تنظيف تلك الفوضى التي بالأعلى.

هب (شاكر) من فوق المقعد في رعب وهو يصرخ قائلا:

- ابتعدي عنى أيتها الشيطانة اللعينة لقد التهمني الفتى بلا رحمه أو شفقة.

ابتسمت (ليليتو) في سخرية وهى تقول

- هل هناك طريقة يجب أن اتبعها لتناول طعامي المفضل.

قال (شاكر) وهو يشيح بوجهه في اشمئزاز

- ولكنه كان شئ شديد البشاعة.

ضحكت (ليليتو) قائلة:

- يا لك من مرهف الحس أيها الرجل ولكن أعتقد بأنك تعلم اننى لست سوى شيطانة.

ثم برقت عيناها بشكل رهيب وهى تكمل قائلة:

- بل والدة الشياطين جميعا وأعظمهم على الإطلاق ولا ينافسني في تلك العظمة سوى زوجي (لوسيفر) نفسه.

تراجع (شاكر) حتى التصق تماما بالحائط في رعب

بينما صاحت (ليليتو) في وحشية ليس لها مثيل:

- هيا أريد إشباع شهوتي الآن كما أشبعت جوعي منذ قليل هيا أيها الآدمي.

قال (شاكر) في رعب

- لا أريد مضاجعتك بعد اليوم أيتها الشيطانة اللعينة.

برقت عين (ليليتو) ببريق جهنمي وهي تقول صارخة: -

سوف تضاجعني رغم أنفك أيها الإنسي ومن اليوم لا أريد منك أن تعصي لي امرأ وإلا سوف أجعلك تلحق بذلك الفتى الموجود بالأعلى والآن هيا اصعد لحجرتك

لتخفي ما تبقى من جثته ويكون جسدك قد امتلئ بالعرق فأنا أعشق تلك الرائحة النتنة التي تخرج من أجسادكم أيها الإنس.
صعد (شاكر) لحجرته وأخرج ملاءة بيضاء من صوان ملابسه وفردها في منتصف الحجرة تماما ثم حمل جثة الشاب أو ما تبقى منها ووضعها في منتصف الملاءة ثم أخذ يلتقط قطع اللحم المتناثرة على أرضية الحجرة وقد عثر على معصم الشاب القتيل ملقى أسفل الفراش فحمله وقام بوضعه مع باقي الجثة وقام بربط الملاءة جيدا حول الجثة وحملها لخارج القصر حيث ركب الكارته وانطلق بها حتى وصل لمصرف المياه القريب من قصره وقام بإلقاء الجثة الشاب داخله ليبتلعه طين المصرف داخله وتستقر الجثة في الأعماق.
عاد (شاكر) لقصره بعد أن تخلص من جثة ذلك الشاب المسكين الذي لم يجرم في شئ سوى كونه كان يريد الحصول على بعض المال بالحلال.
وعندما دخل إلى حجرته لم يجد (ليليتو) بها فأغلق عيناه في ارتياح شديد يعتقد بأنها قد رحلت أو عادت لتتخذ هيئته العصا.
-لماذا تأخرت ألا تعلم بأنني فيانتظارك.
اخترقت العبارة سمعه كدوى طلق ناري ففتح عيناه سريعا ليجد (ليليتو) ممتدة عارية كعادتها دائما فوق ذلك الفراش الأحمر الناري وهى تشير له بالصعود بجانبها فوق الفراش وعلى الفور قام بخلع جميع ملابسه دون أي اعتراض وصعد إلى جانبها فأخذت تلعق ذلك العرق كريه الرائحة من فوق جسده ومن تحت إبطه في تلذذ.
يا لك من بائس يا (شاكر) لقد أضعت دينك ودنياك وأخرتك وأصبحت عبدا ذليلا لها تجلب لها الأضاحي البشرية وتطفئ لها شهوتها والأدهى من كل ذلك انه يوجد عقد موثق بينه وبين تلك الشيطانة حجة عليك يزم القيامة.

في تلك الأثناء كان البكباشي (أنور) قد ذهب لمدينة أسيوط مضحيا بأجازته حيث ذهب لنيابة المدينة وحصل على ملف القضية وقام بالاطلاع عليه بتركيز شديد وعندما فرغ من مطالعته خرج للبلدة وأخذ يسأل أهلها عن مشاهدتهم لسائق الحنطور تلك الليلة ولكنه لم يتوصل لشئ حتى أمسك طرف خيط صغير عندما أخبره ذلك الخفير العجوز بأنه قد شاهد (شاكر باشا الأسيوطي) وبأنه قد حضر

منذ شهران على الأقل وأنه قد ركب ذلك الحنطور متوجها لقصره ولكنه ليس متأكدا أذا كان هو (شاكر الأسيوطي) أم لا لكن فلقد كان الخفير ذو نظر ضعيف ولكن البكباشي (أنور) انطلق نحو قصر (شاكر) علي الفور متخذا نفس ذلك الطريق الذي عثر فيه على سائق الحنطور وجواده قتلى وأخذ يتفحص مكان الجريمة لكن بلا جدوى فلقد مر شهريين كاملين منذ وقوع تلك الجريمة لكنه لم ييأس وتوجه للقصر وعندما وصل إليه وجده مغلقا ولا يوجد به أحدا فأخذ يدور حوله لعله يجد أي أثر أو دليل يساعده على التوصل للجاني.

وبالفعل فلقد وجد زر يخص حلة زرقاء أسفل سور القصر فقفز يعتلي السور وهبط لداخل حديقة القصر وأخذ يتجول بها بحثا عن أي شئ ملفت للنظر مثل زر الحلة حتى وصل لباب القصر الخشبي حيث أبصر أثار نعل حذاء كان ملطخا بالوحل مطبوعا على البلاط وقد جف الوحل تماما حيث كانت الآثار تدل على أن صاحبها قد دخل عبر باب القصر ثم خرج مرة ثانية فجلس (أنور) القرفصاء وأخذ يتحسس أثار الوحل بأصابعه الخبيرة فتفتت وتناثرت جزيئات تلك الآثار في الهواء على الفور فتأكد من أن تلك الآثار دخل صاحبه من منذ مدة كبيرة ولكنها حفظت لعدم وجود أحد بالقصر فنهض متوجها نحو الباب وحاول دفعه لكنه وجده مغلقا بالمفتاح فتأكد تماما من أن صاحب تلك الآثار قد دخل للقصر بواسطة مفتاح وليس عنوة وذلك يعني بأنه قد يكون أحد الخدم أو شخصا يملك مفاتيح ذلك القصر لكن نظرة ثانية لأثر الحذاء أعلمته بأن تلك الآثار تخص حذاء ذو قيمة عالية لا يستطيع شراءه سوا الأثرياء فقط

وذلك لا يعني سوى شيئا واحدا فقط إلا وهو أن (شاكر الأسيوطي) هذا هو من ركب الحنطور في تلك الليلة وأنه هو من قام بقتل ذلك الرجل لسببا أو لأخر ولكنه يجب أن يتأكد أولا قبل أن يوجه له أي اتهام فالرجل باشا ومن أكبر أعيان مصر لذلك فقد أسرع بالعودة للقاهرة حيث بحث عن سائق الحنطور الذي شاهد ذلك القاتل بصحبة الراقصة (دلال) حتى وجده فأمره بأنه سيصطحبه معه لقصر (شاكر) الذي يقطن به الآن بالمنوفية وما إن وصل البكباشي (أنور) لقصر (شاكر) بصحبة سائق الحنطور حتى طلب مقابلته لأمر هام.

وبالفعل فلقد وافق (شاكر) على تلك المقابلة دون أن يعلم بأن هذين الرجلين حضروا ليتأكدوا من أنه هو القاتل أم لا.
كان (شاكر) في انتظارهم داخل حجرة مكتبه عندما دخل البكباشي (أنور) هو أولايتبعه سائق الحنطور نهض (شاكر)لاستقبالهم في ترحاب لكنه تراجع في توتر ملحوظ عندما أبصر سائق الحنطور بصحبة (أنور) خوفا من أن يتعرف عليه الرجل وبالطبع لم يغب ذلك عن (أنور).
وبالفعل فلقد تعرف عليه سائق الحنطور فور رؤيته وصاح من فوره قائلا:
-نعم هو ذلك الرجل الذي كان بصحبة الراقصة (دلال) تلك الليلة.
فحدج (أنور) (شاكر) بنظرة شديدة الصرامة لكن ذلك الأخير تماسك سريعا وتظاهر بالغضب وهو يقول موجها كلامه للرجلين معا:
-هل طلبتم مقابلتي لاتهامي بقتل أحدى الراقصات.
حدجه البكباشي (أنور) بنظرة نارية وقال له بصرامة:
-ومن أخبرك بأن تلك الراقصة التي يتحدث عنها الرجل قد قتلت يا باشا.
تلعثم (شاكر) وهو يبحث عن جواب فلقد كشف نفسه دون أن يدري لكنه تظاهر بالغضب وأخذ يتحدث بكلام لا طائل له ثم صاح مناديا على الخدم لطرد الرجلين خارج القصر لكن (أنور) أشار للخدم بالتراجع ونظر (لشاكر) في تهديد قائلا:
-سوف أرحل ولكنني سأعود للقبض عليك ومعي أمرا من النيابة.
غادر البكباشي (أنور) القصر ومعه سائق الحنطور القصر وقد تأكدت كل شكوك (أنور) حول علاقة (شاكر) بالجريمتين بينما أنهار (شاكر) فوق مقعده ودفن وجهه داخل كفيه وهو يتساءل ما هو الحل الآن بعد أن كشف الرجل أمره
بينما عاد(أنور) للقاهرة في وقت متأخرا من الليل حيث توجه لمكان سكنه وأمر سائق الحنطور بالحضور في الصباح الباكر للقسم ليقوم بفتح ملف القضية بعد تعرف الرجل على (شاكر) ليقوم باستخراج أمر القبض على ذلك الأخير.
فوعده الرجل بالمجئ للقسم صباحا ثم ودعه متوجها لبيته هو الأخر وما إن وصل لبيته حتى توجه على الفور للإسطبل لرؤية الجواد وعربة الحنطور الذي تركهم منذ الصباح.

لكنه عندما دخل للإسطبل وجد سكون رهيب يخيم على المكان بأسره فأخذ ينادي علي (عنتر) الجواد لكنه لم يتلقى ذلك الصهيل المعتاد منه فانقبض قلب الرجل عندما أبصر جواده ملقى علي الأرض بلا حراك وهناك شيئا أو شخصا يجثم فوقه فصاح في غضب محذرا ذلك الدخيل معتقدا بأنه يحاول سرقة الجواد لكنه عندما اقترب منه تراجع في رعب هائل فلقد كانت الشيطانة (ليليتو) تلتهم قطعا من الجواد بعد أن بقرت بطنه والتفتت تحدجه بنظراتها الشيطانية.

تراجع الرجل في فزع هائل من منظرها البشع وانطلق محاولا الفرار من المكان لكن (ليليتو) فردت أجنحتها وطارت لتنقض عليه كطائر جارح ينقض على أرنبا يفر مذعورا من أمامه.

وبالفعل فلقد أمسكت به وغرزت أنيابها داخل عنقه وأخذت تمتص دماءه حتى فارق الحياة لتضمه لقائمة ضحاياها.

وفي الصباح عندما تأخر الرجل على البكباشي (أنور) بعث إليه بأحد عساكر القسم الذي وجد الرجل ممزق الأوصال تماما لقد اقتنصت (ليليتو) ضحية جديدة وحصلت على دماء ولحم بشري طازج.

جن جنون البكباشي (أنور) بعدما علم بمقتل سائق الحنطور فلم يعد هناك شاهدا الآنيشهد ضد (شاكر) على أنه هو القاتل ولكنه أخذ يتساءل كيف أستطاع ذلك الأخير أن يحضر للقاهرة قبلهم ويقتل السائق وقد تركه في القصر قبل عودتهم للقاهرة مباشرتا كيف.

مقتل (صوفيا).

مرت عدة أيام على تلك الليلة الرهيبة التي شاهد (شاكر) فيها (ليليتو) وهى تلتهم ذلك الشاب المسكين في وحشية لا حدود لها.

ولقد قام (شاكر) بحبس نفسه داخل حجرة مكتبه لا يتحدث مع أحد ولا يلتهم سوا القليل جدا من الطعام الذي يكفي بالكاد لسد جوعه بالإضافة للعديد من أقداح القهوة.

فمنذ عرف بأن ذلك الشاب التي قدمه بيده للشيطانة (ليليتو) من أهل قرية (دنشواي) بل أبن أحد شهدائها وضميره لا يتوقف عن تأنيبه فهو يتعذب ليلا ونهارا. لكنه أتخذ قرارا نهائيا حاسما بعدم جلب أي ضحية جديدة لتلك الشيطانة اللعينة.

وفي نفس الوقت كانت (صوفيا) قد قررت المجئ لرؤية زوجها الذي اشتاقت له بعد مرور أكثر من أربعة أشهر كاملة حيث أخبرها أبن خالتها (ستيفن) بأنه يستطيع أخذها معه لمصر داخل إحدى الغواصات ولكنه للأسف لن يستطيع أخذ أبنائها معهم لكنها كانت تشتاق لرؤية زوجها لذلك فلقد سافرت معه متوجهة للقاهرة.

وقد وصلت للقاهرة في خلال أسبوعين فقط بعد أن تركت أبناءها عند والدها وعند حضورها للقصر أمرت خدم القصر بإعداد حجرة خاصة لأبن خالتها (ستيفن) الذي أصطحبها لرؤية صديقه (شاكر) لكنها طلبت منه أخذ حماما دافئا وتغير ملابسه ويمنحها بعض الوقت لرؤية زوجهاالذي علمت من الخدم بأن (شاكر) يغلق عليه حجرة المكتب منذ عدة أيام أولا وبالطبع أطاعها (ستيفن) فهو يعلم جيدا حلاوة لحظات اللقاء بين الزوجين خاصتا بعد تلك الأشهر العديدة من الفراق بينهم لأنه يمر بتلك اللحظات كلما عاد لبيته مشتاقا لزوجته الحبيبة (ماريا) كل عدة أشهر.

فوجئ (شاكر) بزوجته تقتحم عليه حجرة مكتبهفأنشرح قلبه كثيرا عند رؤيتها فهاهو شيئا يسعد قلبه الحزين بعد كل ما مر به من أحداث مرعبة.

فوجئت (صوفيا) بزوجها يحتضنها بشدة وتنهمر الدموع من عيناه في غزارة فتعجبت من حال زوجها فهي لم تشاهده بتلك الحالة المزريةمن قبل ، يزرف

الدموع ولم تعهد هـ يترك لحيته بلا تهذيب بتلك الطريقة الشاذة لكنها آخذته بين ذراعيها في حنان بالغ كما تفعل مع أبنائها وقالت له:

-يبدو بأنك متعبا ولم تنام منذ عدة أيام.

هز (شاكر) رأسه قائلا لها:

-إنني متعب بشدة يا (صوفيا) فلقد مررت بعدة أشهر بشعة منذ تركتك أنتي والأولاد.

فقالت له (صوفيا) مواسية:

-لقد جئت الآن لأجلك ولن أتركك مرة ثانية سأذهب لأقوم بإعداد حماما دافئا لك لتغتسل ثم تقوم بحلاقة ذقنك المدببة تلك فلن أستطيع تقبيلك بذلك الشكل فأنا مشتاقة لك بشدة.

كان (شاكر) سعيدا بعودة (صوفيا)بشدة ورغم جسده المنهك بسبب عدم النوم وكثرة معاشرته للشيطانة (ليليتو) لكنه كان مشتاق للحظات سعيدة يقضيها فوق صدر زوجته كالأيام الخوالي فطلب منها أن تقوم بتجهيز نفسها والاستعداد لتقضي ليلتها بين ذراعيه فوافقته على طلبه وانطلقت لتعد له المغطس ثم توجهت نحو من غرفتها حيث قامت بخلع ملابس السفر ومسحت جسدها بقطعة مبللة بالماء المعطر وارتدت قميص نوم شفاف يبرز مفاتنها بشدة فلقد قررت أن تكون هذه الليلة هى ليلة العمر لتدخل على السرور على قلب زوجها.

ثم تعطرت بذلك العطر الذي يعشقه زوجها وهمت بالصعود للفراش لتنتظر (شاكر) فوقه عندما أبصرت تلك العصا التي أشتراها زوجها من إنجلترا والتي تشعر نحوها شعور بالرهبة والخوف .

حيث كانت العصا ملقاة فوق الفراش فحملتها واتجهت بها نحو صوان الملابس لتضعها بداخله عندما بدأت العصا تتمدد وتستطيل وتنبض في راحتيها فأسرعت (صوفيا) تلقيهابعيدا في فزع هائل وهى تتراجع للخلف ثم اتسعت عيناها رعبا عندما شاهدت العصاوقد اكتملت هيئتها الشيطانية ووقفت تحدجها في وحشية ليس لها مثيل.

تراجعت (صوفيا) أكثر وأكثر حتى التصقت بالحائط تماما وشعرت ببرودته تسري بجسدها الهش بينما أخذت (ليليتو) تطلق ضحكات شيطانية رهيبة ثم قفزة هائلة

أوصلتها ل(صوفيا) وانقضت عليها حيث قامت بغرس أنيابها داخل عنقها بينما غرزت مخالب يديها داخل صدر تلك الأخيرة لتنتزع قلبهافي وحشية هائلة وكان أخر شعرت به (صوفيا) قبل أن تطلق صرخة رعب هائلة و(ليليتو) تنتزع قلب المسكينة من داخل جسدها وتبدأ في التهامه بينما سقطت (صوفيا) أسفل حوافرها جثة هامدة.

كان (شاكر) في ذلك الوقت قد فرغ من حمامه الدافئ فخرج من المغطس ثم بدأ في حلاقة ذقنه وعندما كاد أن ينتهي اتسعت عيناه رعبا فجأة وألقى شفرة الحلاقة من بين أصابعه وانطلق يجرى كالمجنون نحو حجرة زوجته فلقد تذكر بأن هذه الليلة هى موعد تقديم القربان للشيطانة والعصا ملقاة هناك فوق الفراش منذ أخر لقاء له معها وزوجته هناك معها بداخل الحجرة.

كان (شاكر) قد وصل لباب الحجرة عندما دوت صرخة زوجته كالخنجر الحاد يمزق صدره ويشق سكون الليل وأخذ يتساءل في هلع شديد أتكون تلك الشيطانة اللعينة اقتنصت زوجته ، وبكل الخوف الذي في العالم دفع الباب بكل ما يملك من قوة وأسرع يقتحم الحجرة ثم وقف مصدوما حتى أنه كاد يفقد صوابه من هول المنظر البشع الذي يراه فلقد كانت (ليليتو) تجلس القرفصاء فوق جثة زوجته وقد قامت بتحطيم رأسها تماما لدرجة أن (شاكر) أبصر أحد عيون زوجته ملقاة بعيدا في ركن الحجرة كما تناثر أجزاء عديدة من مخها فسقط منهارا فوق أرضية الحجرة وصرخ قائلا:

-ماذا فعلتي أيتها الشيطانة اللعينة.

نظرت إليه (ليليتو) في شماتة قائلة:

-لقد جئت للبحث عن الطعام فلم أجد سواها فجعلتها طعامي لتلك الليلة.

أخذ (شاكر) يبكي في مرارة هائلة فلقد ذاق من نفس الكأس الذي أذاقه للآخرين.

وكان البكباشي (أنور) مختبئا بين أشجار القصر في ذلك الوقت وقد عقد العزم على مراقبة(شاكر)حتى يعثر على دليل قاطع يستطيع به القبض عليه وتسليمه لحبل المشتقة بيديه عندما مزقت صرخة (صوفيا) سكون الليل فخرج من مخبئه وأقتحم القصر على الفور وانطلق صاعدا درجات السلم متوجها للطابق الثاني حيث صدرت تلك الصرخة الرهيبة.

وفي نفس الوقت كان (ستيفن) قد خلع ملابسه ووقف بملابسه الداخلية عندما وصلت صرخة ابنة عمه لسمعه فأسرع يرتدي سرواله وانطلق نحو مصدر الصرخة لكنه أرتطم بالبكباشي (أنور) ليسقطا الاثنان أرضا ولكنهم نهضوا سريعا واقتحموا حجرة (صوفيا) التي انطلقت منها تلك الصرخة وكان (عبد الصمد) وباقي الخدم قد صعدوا بدورهم لحجرة سيدتهم وتوقف الجميع بلا استثناء يحدقون برعب هائل في الشيطانة (ليليتو) وهى تلتهم (صوفيا) بلا أي رحمة.

أسرع البكباشي (أنور) يخرج غدارته من تحت أبطه ويطلق نيرانها على رأس (ليليتو) التي رفعت رأسها ونظرت له نظرة رهيبة جعلته يتراجع وهو يرتجف رغما عنه لكن (ستيفن) أخرج سلاحه هو الأخر وأطلق على ظهرها النيران.

ألقت (ليليتو) جثة (صوفيا) من يدها وزمجرت في غضب وهى تلتفت نحو الجميع وقد برزت جناحيها من خلف ظهرها وقد قررت قتلهم بلا رحمة

وبالفعل فلقد قفزت نحو(ستيفن) وهمت بغرز مخالبها داخل أحشائه لكن (عبد الصمد) أسرع يخرج منجله الحاد الذي كان قد أحضره معه تحسبا لوجود شيئا ما في حجره سيده وهوى به فوق يدها قبل أن تغرزها داخل أمعاء (ستيفن) ففصلتها عن جسدها.

تراجعت (ليليتو) وهى تزأر كالأسد الجريح ممسكة بيدها المبتورة التي تنزف دماء سوداء اللون في غضب هائل وتنظر نحو (عبد الصمد) الذي تجرأ وفعل ذلك بحقد هائل لكنها تراجعت رغما عنها عندما هجم عليه الرجال الثلاثبأسلحتهم فقفزت نحو نافذة الحجرة وحطمتهابدوى هائل وارتفعت محلقة بعيدا في السماء المظلمة ولقد حاول (ستيفن) أطلاق نيران غدارته نحوها لكنها كانت قد اختفت في سواد الليل بلا أثر.

تجمع الجميع حول (شاكر) المنهار وقد وأطلت التساؤلات من أعينهم صاح (عبد الصمد) في الخدم يأمرهم بالانصراف من الحجرة ودون مناقشة غادر جميع الخدم الحجرة وكأنهم كانوا في انتظار مطالبتهم بمغادرة ذلك المكان الملعون الذي تسكنه الشياطين.

ورغم انهيار (شاكر) بعد مقتل زوجته لكنه راح يقص عليهم القصة من بدايتها وكل شئ بأدق التفاصيل.

(ليليتو) تلتهم رأس (صوفيا)

جلست ليليتو فوق سور القصر

فرغ (شاكر) من سرد قصته مع تلك الشيطانة منذ شراءه للعصا الرهيبة حتى لحظة مقتل زوجته دون أن يخفي عنهم شيئا ولو شيئا بسيطا ارتسمت علامات الرعب والفزع وهم يستمعون لقصة (شاكر) ولو أنهم لم يشاهدوا تلك الشيطانة الليلة بأعينهم ما صدقوا حرفا واحدا مما أخبرهم به.

قال لهم (شاكر) في ضراعة:

-إنني لا أطلب منكم الرحمة أو الشفقة فأنا أستحق كل شئ ولكنني أريد منكم مساعدتي في القضاء على تلك الشيطانة اللعينة فلن أستطيع هزيمتها وحدي.

صاح (عبد الصمد) في حزم:

-أنا معك في أي شئ تقوم بفعله يا سيدي حتى لو قتلت في سبيل ذلك الأمرفيجب أن نعيد تلك الشيطانة لجحيمها.

قال (ستيفن) في غضب:

-وأنا لست أقل منكما شجاعة ولقد التهمت تلك الشيطانة ابنة عمي بلا رحمة ويجب أن تدفع ثمن ذلك غاليا.

نظر الجميع للبكباشي (أنور) الذي نهض من مقعده وقال موجها حديثه إلى (شاكر) قائلا:

-إنني معك رغم إنك قد قدمت لها ثلاث من البشر لا ذنب لهم لكنها أذاقتك من نفس الكأس ولكنني لن أقوم بمساعدتك يا رجل لقد أقسمت أمام الله بأنني سوف أقتصقاتل هؤلاء الضحايا وأنا لا أحنث بقسمي أبدا حتى ولو كان القاتل شيطانة من الجحيم.

نظر له (شاكر) في امتنان شديد ونهض بدوره قائلا:

-إنها لن تتجسد إلا يوم السبت القادم ولن نستطيع التخلص منها إلا عندما نواجها وجها لوجه فلقد حاولت التخلص من العصا بشتى الطرق لكن دون جدوى.

نهض (ستيفن) قائلا:

-حسنا سأغادر الآن وأعود في نهاية الأسبوع وسوف أحضر معي الأب (روجر) قس الكتيبة فهذا القس له باعا طويلا في محاربة تلك الأشباح والشياطين وله مؤلفات عن الشياطين والأشباح وتلك المخلوقات القادمة من الجحيم.

وافق الجميع على تلك الفكرة ثم تنحنح (أنور) قائلا:

-سوف أحضر شيخ الأزهر الشيخ (عبد المنعم سليمان) فهو الأخر له باعا كبيرا في إخراج الجان من أجساد البشر وهو أيضا حافظا للقران الكريم بأكمله وسوف يساعدنا كثيرا هذا الرجل في القضاء على تلك الشيطانة اللعينة.

أعجبت الفكرة الجميع خاصة (شاكر) فسوف يكون هناك قس وشيخ لمساعدتهم في القضاء على (ليليتو).

نهض (عبد الصمد) من فوق مقعده قائلا في حزن شديد:

-حسنا ولكن قبل مغادرتكم أريد منكم مساعدتنا في دفن الليدي (صوفيا) بشكل لائق فلقد غادر جميع الخدم القصر بعد رؤيتهم لتلك الشيطانة وهى تلتهم سيدتهم.

وبالفعل وافق الجميع على مساعدة (شاكر) وخادمه في دفن الليدي (صوفيا)

توجه الجميع لحجرة (شاكر) حيث حملوا جثة (صوفيا) بحرص شديد بعد أن تمزقت أوصالها بشكل شديد البشاعة وقاموا بوضعها فوق الفراش بينما أسرع (عبد الصمد) بإحضار دلو من الماء النظيف وقطعة من القماش التي لم تستعمل من قبل ووضعهم أمام سيده وقال له في حزن شديد:

-سوف يغادر الجميع الحجرة ما عداك فعليك عبأ تغسيلها وتكفينها وحدك.

نظر له (شاكر) قائلا في توسل:

-أريدك أن تقوم بمساعدتي في تغسيلها وتكفينها فلست أعلم شيئا عن تلك الأمور.

هز (عبد الصمد) في حزن قائلا:

-لن ينفع يا سيدي فحرام شرعا أن يقوم رجل أخر بلمس جسدها أو تنكشف عورتها عليه فأنت الوحيد الذي يحق له ذلك الأمر بحكم كونك زوجها.

ترقرقت الدموع في عين (شاكر) الذي قال:

-ولكنني لا أعرف كيف أقوم بتلك الأمور.

قال (عبد الصمد) شارحا له الأمر:

-أخلع عنها جميع ملابسها ثم أسكب فوق جسدها الماء النظيف وقم بتنظيفها بقطعة القماش جيدا حتى يصبح جسدها نظيفا ثم ابدأ بتغسيلها كما لو كانت ستتوضأ استعدادا لأداء فريضة الصلاة ثم قم بلف جسدها بملاءة بيضاء نظيفة

في إحكام وقم بوضع رباط من القماش من ناحية الرأس وأخر من ناحية القدم ثم نادي علينا لنقوم بدفنها.
هز (شاكر) رأسه وقد فهم كيفية تغسيل زوجته ونظر لجسدها المسجى فوق الفراش والألم يعتصر قلبه بينما غادر الجميع الحجرة وقاموا بإغلاق بابها خلفهم بينما بدأ ذلك الأخير يسكب فوق جسدها الماء والدموع تنهمر بغزارة من عيناه فوق جسد زوجته الحبيبة (صوفيا) الذي كان ينبض بالحياة منذ ساعات.

بعد أن فرغ (شاكر) من مهمته الثقيلة اشترك الجميع في حمل جثمان (صوفيا) حيث قاموابدفنها تحت شجرةمانجو ضخمة حيث طلب منهم (شاكر) ذلك فلقد كانت زوجته (صوفيا) تعشق الجلوس أسفلها ثم وضعوا عليها التراب.
وغادر البكباشي (أنور) والضابط (ستيفن) القصر وقد قارب ضوء الفجر على البزوغ.
بينما ركع (شاكر) وجلس القرفصاء فوق الثرى حيث ترقد جثة زوجته وآخذ ينتحب بصوت يمزق نياط القلب فاقترب منه (عبد الصمد) وربت على كتفه الأيمن وقال له مواسيا:
-سيدي لقد رحلت زوجتك وهى الآن في رحمة الخالق الواسعة ادعوا لها بالرحمة والمغفرة أدخلها (الله) فسيح جناته برحمته وعدله ولا اعتقد بأن ذلك البكاء والعويل سيعيدها للحياة مرة ثانية.
نظر له (شاكر) والدموع تسيل في غزارة لتغرق وجهه وقال له:
-إنني من تسبب في مقتلها يا (عبد الصمد) أنا من قدمتها ضحية لتلك الشيطانة اللعينة.
قال (عبد الصمد) في حزم:
-إذن فيجب أن تنتقم لمقتل زوجتك لا أن تجلس تبكي فوق قبرها قبل أن تقتنص تلك الشيطانة شخصا بريئا أخر.
نظر له (شاكر) بعض الوقت ثم جفف دموعه ونهض في حزم قائلا:
-نعم يجب أن تدفع تلك الشيطانة ثمن قتلها لزوجتي وقتل الآخرين التي قامت بقتلهم بلا رحمة.

ثم رفع بصره للسماء وصاح بكل ما يملك من قوة:

-ساعدني يا رب العزة أعطني من لدنك القوة لهزيمة تلك الشيطانة اللعينة.

مرت الأيام التالية بطيئة كئيبة على (شاكر) الذي ينتظر تلك الليلة الموعودة ليلة السبت التي تتجسد فيها تلك الشيطانة الملعونة للانتقام منها جاء صباح يوم السبتوحضر كلا من البكباشي (أنور) وكان يصطحب معه الشيخ (عبد المنعم سليمان) شيخ الأزهر الذي أخبره عنه (أنور) وفي نفس الوقت جاء (ستيفن) في صحبة الأب (روجر) القس الإنجليزي الكبير حيث جلس الجميع داخل حجرة المكتب وقد وضع (شاكر) العصا فوق سطح مكتبه تلك العصا التي عثر عليها في اليوم التالي فوق الفراش كالمعتاد ورغم أنه قد حاول تحطيمها وقام أيضا بإلقائها في ترعة القرية لكنه فوجئ بها فوق فراشه عند عودته.

وبعد أن قص عليهم هذا الأخير قصة العصا مرة ثانية فلم يكن الشيخ أو القس قد علم بها من قبل فاتسعتأبصارهم في ذهول وعدم تصديق ولكن (أنور) و(ستيفن) أقسموا لهم بأنهم قد شاهدوها بأعينهم.

كان أول المتحدثين هو الشيخ (عبد المنعم) الذي قال:

-يبدو بأنها نوع من أنواع الجن الكفرة الذين يعيشون على إيذاء البشر.

لكن الأب (روجر) هز رأسه نفيا وقال له:

-لا لست أوافقك على ذلك الرأي لأن الشيطانة (ليليتو) أو (ليليث) كما يطلق عليها أحبار اليهود شيطانة حقيقية قد خلقها الله كزوجة أبينا (أدم) لكنها عصت وهربت مع (عزا زيل) لتكون عشيقة له فغضب عليها الخالق وحولها لتلك الهيئة المرعبة فأخذت تنتقم من (أدم) و(حواء) في ذريتهم بتلك الطريقة البشعة.

ضرب الشيخ (عبد المنعم) مسند مقعدة بقبضته قائلا في استياء شديد:

-هذا الكلام غير صحيح فلم يخلق (الله) تعالى غير أمنا (حواء) كزوجة لأبينا (أدم) عليهما السلام وكل ما تقوله أشياء كاذبة.

نظر له الأب (روجر) في تحدي واضح وهم بقول شيئا ما لكن (شاكر) قاطعهم قائلا في حنق:

-لست أعتقد بأنكم قد حضرتم إلى هنا لمناقشة تلك الأمور الدينية فيما بينكما فلقد قاربت الشمس على المغيب واقترب ميعاد تحول تلك العصا لهيئتها الشيطانية ويجب أن نستعد لذلك جيدا.

نهض الأب(روجر) من مقعده والتقط العصا وأشار للجميع أن يتبعوه حيث خرج للردهة حاملا العصا الشيطانية ووضعها في منتصف الردهة تماما ثم أخرج قطعة من الطبشور وقام برسم دائرة حولها ثم طلب من (شاكر) جلب بعض الملح فأسرع (عبد الصمد) يحضر إناء نحاسي به الكثير من ملح الطعام فأخذ الأب (روجر) من الإناء حفنة من الملح ثم راح ينثره فوق الدائرة التي قد رسمها بالطبشور منذ دقائق وبعد أن فرغ من نثر الملح أخرج كتاب الإنجيل من جيب سترته العلوي وفتحه على أحد الصفحات وأخذ يقرأ بعض الكلمات وهو يدور داخل الدائرة للحظات وما أن انتهى مما يقوم به حتى خرج من داخل الدائرة ووقف بجانب الآخرين ينظر للعصا الملقاة في منتصف الدائرة بترقب شديد منتظرا تحولها لتلك الهيئة الشيطانة.

أخذت العصا تتمدد وتستطيل لتتخذ هيئتها الشيطانة المفزعة وعندما اكتمل تحولها فوجئت بهؤلاء الرجال يحيطون بها وقد صوب كلا من (شاكر) و(أنور) و(ستيفن) أسلحتهم نحوها بينما شهر (عبد الصمد) منجله في وجهها فنظرت إليه في غضب هائل وهى تتحسس معصمها الذي بتره بذلك المنجل من قبل وهمت بالانقضاض عليه لتمزق عنقه بمخالب يدها الثانية لكنها تراجعت صارخة في ألم عندما داست على تلك الدائرة التي أحاطها بها الأب (روجر) وقد تسببت لها بعض الحروق الشديدة في الأماكن الذي لامست به الدائرة.

وقفت (ليليتو) في منتصف الدائرة وهى تنظر للجميع في غضب هائل كانت تبدو كالأسد الذي سقط في فخ الصيادين والذين يحيطون به استعداد لقتله.

لكنها أسرعت تتخذ تلك الهيئة البشرية هيئة امرأة شديدة الإغراء لتقف أمامهم عارية تماما وقد برزت مفاتنها بشكل شهواني والتفتت تنظر إلى (شاكر) قائلة له:

-زوجي الحبيب أنقذني من هؤلاء الرجال وسوف أعطيك مئات السبائك الذهبية وسوف أمنحك أشياء لا تستطيع أي امرأة منحها لك.

نظر لها (شاكر) بكراهية شديد ورفع غدارته نحوها قائلا:

-زوجتي هى (صوفيا) التي قتلتها أيتها اللعينة بلا رحمة.

ثم رفع غدارته وأطلق علي رأسها النيران فأصابت الطلقة أحد قرونها فتحطموسقط أسفل أقدامها داخل الدائرةفجن جنونها وأخذت تدور داخل الدائرة محاولة الخروج منها ولكن بلا جدوى فأخذ تتخذ تلك الهيئة الشيطانية تارة ثم تعود لتتخذ هيئة امرأة عارية طاغية الأنوثة تارة أخرى ولكن كل تلك الأفعال لم يتأثر بها أحد من الرجال الذين أخذوا يطلقون عليها نيران أسلحتهم بغزارة فأخذ جسدها ينزف بشدة دماء سوداء.

في تلك الأثناء أقترب الشيخ (عبد المنعم) من الدائرة وأخرج المصحف الشريف من جيب جلبابه وأخذ يقرأ بعض الآيات من سورة البقرةمما ذات جنون (ليليتو)فأخذت تضرب الأرض بحوافرها التي تشبه حوافر الماعز.

أقترب الشيخ أكثر من الدائرة بعد أن شجعه ذلك الرعب الذي أصاب الشيطانة من تلاوة القران الكريم وقد أيقن بأنه هو الوحيد الذي سيقضي عليها لكنه فوجئ بذيلها يزحف داخل الدائرة كالثعبان وينقض على قدمه اليمنى ويلتف حولها ثم يسحبه لداخل الدائرة ورغم احتراق ذيلها لكن (ليليتو) تحملت وهى تجذبه لداخل الدائرة فمسحت بجلبابه جزء كبيرا من الدائرة يسمح لها بالخروج منهاوبالفعل أسرعت (ليليتو) بالفرار من داخل الدائرة واتجهت لباب القصر وحطمته بقبضتها الشيطانية ثم فردت أجنحتها وحلقت بعيدة بينما أخذ الرجال يطلقون نيران أسلحتهم عليها لكنها استطاعت الفرار منهم بعيدا في السماء.

أسرع الرجال بالخروج من القصر خلفها بحثا عنها في إصرار هائل وقد شهر كل منهم سلاحه أمام صدره في وضع الاستعداد التام تحسبا لأي هجوم منها وقد أخذ كل واحد يبحث عنها في مكان مختلف.

كانت (ليليتو) تجلس فوق سور القصر الخارجي مختفية بين فروع أحدى الأشجار الكثيفةوهى ترمق الجميع في غضب هائل وقد قررت قتلهم جميعا وامتصاص دمائهم لتعوض تلك الدماء الشيطانية التي فقدتها بسببهم.

كان (ستيفن) يمر أسفل السور التي تجلس أعلاه وهو يتلفت حوله بحثا عنها لكنها أنقضت عليه بغتة وحملته لأعلى حيث قامت بغرس أنيابهاداخل عنقه وامتصتقدرا هائلا من دمائه بلا رحمة دون أن يطلق صرخة استغاثة واحدة حتى فاضت روحه لبارئها وما أن فرغت منه (ليليتو) حتى تركت جسده يهوي من حالق ليسقط

مرتطما بالأرض وسط الرجال الذين يبحثون عنهافرفع الجميع رؤوسهم للأعلى وأطلق عليها (شاكر) نيران غدارته لكنها لم تصيبها فلقد كانت على ارتفاع كبير.
صاح (عبد الصمد) قائلا لهم:
-هيا للداخل فسوف تقتنصنا واحد تلو الأخر في ذلك الظلام الدامس دون أن نستطيع رؤيتها.
وبالفعل أسرع الجميع عائدين لداخل القصر قبل أن تظفر (ليليتو) برجل أخر منهم.
جلس الجميع داخل الردهة وقد صوب (شاكر) و(أنور) غدارتهم نحو باب القصر المحطم حتى إذا ما حاولت تلك الشيطانة اقتحام القصر أطلقوا عليها النيران بينما أمسك الأب (روجر) بصليب صغير وهو يرسم بعلامات الصليب فوق صدره وأخذ الشيخ (عبد المنعم) يقرأ أية الكرسي مرارا وتكرارا.
قال (عبد الصمد) دون أن يرفع بصره عن باب القصر موجها حديثة لسيده:
-يا ليتنا سمعنا كلام ذلك البحار الزنجي وقمنا بإلقاء تلك العصا اللعينة في مياه البحر.
نظر إليه (شاكر) للحظات وبرقت عيناه بشدة ونهض من مقعده والتقط إناء الملح وجذب يد الأب (روجر) قائلا له:
-هيا لحجرة مكتبي فلقد عرفت الآن نقطة ضعف تلك الشيطانة اللعينة.
ثم نظر لباقي الرجال قائلا:
-عليكم عرقلتها بقدر المستطاع حتى أنصب لها فخما محكما سيقضي عليها ويعيدها للجحيم مرة ثانية.
ودون أن ينطق حرفا أخر أسرع هو والأب (روجر) لحجرة المكتب وأغلق بابها خلفه هو والقس بينما أستعد الآخرون لمهاجمة (ليليتو) في أي لحظة.
وفي الداخل أزاح (شاكر) السجادة التي تغطى أرضية الحجرة ثم طلب من الأب (روجر) رسم دائرة مثل التي حبس بها الشيطانة (ليليتو) منذ قليل وبعد أن انتهى الرجل من رسم الدائرة قام (شاكر) بإعادة السجادة لمكانها حيث أخفى بها الدائرة تماما وفي نفس اللحظة تعالت أصوات طلقات الرصاص في الردهة حيث اقتحمت (ليليتو) القصر وهاجمت الرجال لتصيب الشيخ (عبد المنعم) إصابة قاتلة فلقد

غرزت مخالبها الحادة داخل أحشاءه لتخرجها في مشهد شديد البشاعة ثم انقضت على (عبد الصمد) وهمت بأن تغرس أنيابها داخل عنقه هو الآخر لكنها توقفت بغتة عندما أصاب رأسها رصاصة من غدارة (شاكر) الذي صاح بها قائلا مهدد:

-سوف تعودين للجحيم مرة ثانية أيتها الشيطانة الملعونة.

التفتت (ليليتو) تنظر له في غضب هائل وألقت (عبد الصمد) جانبا وقفزت قفزة هائلة محاولة الإمساك به وقد قررت أن تنتزع قلبه وتلتهمه عقابا له على إحضار هؤلاء الرجال لقتلها وتلك الإصابات التي أصابتها من جراء ذلك حقا إن كل تلك الجروح ستلتئم على الفور لكن هذا لا يحدث إلا في الجحيم وهى لا تريد العودة.

عاد (شاكر) لحجرة مكتبه وأغلق بابها بالمزلاج وتراجع حتى وقف في منتصف الحجرة حيث مكان الدائرة.

أنقضت (ليليتو) على باب الحجرة وانتزعته من مكانه بكل قوتها وألقته بعيداحيث أبصرت (شاكر) يقف في منتصف الحجرة تماما فقفزت نحوه بكل وحشية وقد أيقنت بأنه هالك لا محالة.

كان (شاكر) يتوقع أنقضاضة (ليليتو) فقفز بعيد عن مخالبها ثم وقف ينظر لها في شماتة وهو يقول لها:

-لقد سقطتي في الفخ أيتها الحمقاء.

لم تفهم (ليليتو) معنى كلامه هذا إلا عندما همت بالانقضاض عليه لتفاجئ بأنها سجينة داخل دائرة أخرى فأطلقت صرخة غضب هائلة فكيف تسقط في نفس الفخ للمرة الثانية.

في تلك اللحظة اقتحم الجميع حجرة المكتب ليجدوها واقفة تزمجر في غضب ولا تستطيع الحراك فتنهد الجميع الصعداء ورفع البكباشي (أنور) غدارته نحوها وهم بإطلاق النيران عليها لكن (شاكر) منعه من ذلك ونظر إليها قائلا:

-لقد خدعتك وحبستك داخل تلك الدائرة والآنسوف أنتقم منكي وستعودين للجحيم.

قهقهت (ليليتو) بصوت شيطاني قائلة:

-هذا أخر ما تستطيع فعله أيها الفاني فلن تستطيع قتلي فأنا خالدة مثل زوجي (لوسيفر).
قال (شاكر) في شماتة:
- ولكنني سأعيدك للجحيم مرة أخري.
عادت (ليليتو) تبتسم قائلة:
-حقا ولكن كيف ستعيدني للجحيم أيها الفاني.
أخرج (شاكر) من الخزينة تلك السبائك الذهبية التي كانت تمنحه إياها
وكذلك هذا العقد الذي أبرمه معها وألقاهم جميعا معها داخل الدائرة ثم حمل مصباح الكيروسين من فوق سطح مكتبه الخشبي وهو ينظر لها قائلا:
-لقد تذكرت قول ذلك البحار المسكين الذي أسرعتي بقتله فوق سطح السفينة عندما قال لي بأن النيران هى وحدها من تغسل الشر فقط النيران.
وعندما انتهى من عبارته قام بإلقاء المصباح داخل الدائرة أسفل أقدامها ليتحطم بدوى شديد وينسكب الكيروسين على حوافرها وما لبثت النيران أن اشتعلت بها فأخذت (ليليتو) تطلق الصرخات الهائلة وتنفس الجميع الصعداء وهم يشاهدونها تشتعل أمامهم لكنها رفعت جناحيها استعداد للتحليق بهما خارج الدائرة وهي تصيح في وجه (شاكر) قائلة بوحشية:
-سوف أغادر تلك الدائرة وسوف أذهب لالتهام قلوب أبنائك الصغار بلا رحمة وسوف أعود للانتقام منك أنت وباقي رجالك في وقت لاحق.
نظر (شاكر) إليها وأيقن بأنها لو استطاعت الهرب ستقتل أبناءه بلا رحمة وسوف تمثل بجثثهم مثلما فعلت مع والدتهم وحانت منه التفاتة لأحد أرفف الكتب فأبصر فوقه تلك القطعة السوداء من القماش والتي أخذت من كساء الكعبة وقد حصل عليها والده أثناء ذهابه للحج وهو بصحبة خديوي مصر بعد أن أخذوا معهم كساء الكعبةالجديد لها وعندما قاموا باستبدال الكساء القديم طلب والده من الخديوي الاحتفاظ بقطعة قماش من الكساء القديم فمنحه الخديوي قطعة بالفعل ولقد احتفظها والده بجانب الكتب تبركا بها.
ودون تردد قفز (شاكر) يلتقطها وألقى بها للبكباشي (أنور) وصرخ به قائلا:
-عليك بإلقاء تلك القطعة من القماش فوقي أنا وتلك الشيطانة.

وبعد أن أنهى كلامه قفز يقبض على أجنحة (ليليتو) بكل قوته ليسقطان سويا داخل الدائرة لتمسك النيران بثيابه هو أيضا وصرخ قائلا:

-سامحني يا (عبد الصمد) وأدعو الله بأن يغفر لي (وأشهد أن لا اله إلا الله وأشهد بأن محمدا رسول الله).

وعلى الفور ألقى (أنور) كساء الكعبة فوق (ليليتو) و(شاكر) لتغطيهم تماما وتعالى صرخات (شاكر) والشيطانة لعدة دقائق قبل أن تنقطع الصرخات تماما.

أسرع (عبد الصمد) يسحب كساء الكعبة من فوقهم الذي لم يصيبه أي ضرر من النيران حيث أبصر (شاكر) وقد مات محترقا وقد علت وجهه ابتسامة ارتياح بينما لم يجد أي أثر للشيطانة نهائيا

ليليتو تشتعل

هجم (شاكر) عليها ليسقطان معا

الخاتمة.

أطلق(لوسيفر) ضحكة مجلجلة وهو ينظر إلى (ليليتو) التي احترقت أجزاء من جسدها ووجهها لتزيدها بشاعة فوق بشاعتها.

فقالت (ليليتو)في سخط :

- أتشمت في أيها الحقير بدلا من أن تحزن لما أصبني.

قهقه (لوسيفر) بصوت مرتفع وقال لها في شماتة بالغة:

- لقد حذرتك من إيمان هؤلاء المصريين الشديد لكنك لم تنصتي لي.

قالت (ليليتو) في ألم شديد وهي تتحسس وجهها المحترق بمخالبها الحادة:

- ذلك الإنسي الحقير ضحى بحياته ليمنعني من الفرار بعد أن أحرق العقد الذي بيننا. ابتسم (لوسيفر) قائلا:

- أتعنى انه أحرق الحجة الدامغة علي أفعاله الشريرة يوم القيامة.

قالت (ليليتو) في سخط:

- نعم ولكنه قد انتحر أيضا لذلك فهو قد خرج من رحمة خالقه للأبد.

قال (لوسيفر):

- وهل تعتقدين بأن خالقه لم يغفر له ما أقترفه من معاصي.

نظرت إليه (ليليتو) في حده وقالت:

-بالطبع فما فعله يعتبر انتحارا بالإضافة لجلب قرابين بشرية لي ومعاشرتي.

قال (لوسيفر) بحروف تقطر حقدا وكرها:

- لا أدري يا(ليليث) ولكنك تعلمين بأن نسل (أدم) وخصوصا أتباع (محمد) مهما اقترفوا من أخطاء ومعاصي فان خالقهم يغفر جميع ذنوبهم بمجرد أن يعودون إليه ويطلبون الرحمة والمغفرة منه.. قالت (ليليتو) في حقد شديد:

- أما نحن فلا أليس كذلك مع إننالم نعصيه سوى مره واحده فقطنظر ألها (لوسيفر) وقال:

-لقد غفر له ربه ذنوبه جميعا يا (ليليتو) وإلا كانت روحه النجسة تهيم معنا الآن في الجحيم.

عضت (ليليتو) على شفتها السفلية في مرارة هائلة قائلة:

- سأعودلأنتقم من ذرية (شاكر) وجميع من تسبب في رجوعي للجحيم وسوف يكون انتقامي رهيب.

ثم أطلقت صرخة هائلة ردد الجحيم صداها.

الخاتمة.

في صباح يوم الأحد الموافق التاسع من مارس عام ١٩١٩ انطلقت ثورة عارمة في شوارع القاهرة احتجاجا على نفي الزعيم الوطني(سعد باشا زغلول) زعيم الأمة.

كان الجنود الإنجليز يطلقون نيران بنادقهم على المصريين في سخاء وكان هناك شاب يفر من جندي إنجليزيلاحقه ليقبض عليه أو يقتله حتى وصل إلي أحد الأحياء الهادئة في القاهرة وانعطف في شارع جانبي حيث وجد نفسه داخل شارع مغلق من الجهة الثانية وكان صوت حذاء الجندي الذي يلاحقه يقترب بشدة فأخذ يبحث عن أي مكان يستطيع الاختباء به لكن دون فائدة فأخرج من جيب سترته مسدس قديم الطراز كانت ملك والده وأستعد لقتل الجندي الإنجليزي.

ولكنه وجد بجانبه بابا مفتوحا على مصرعيهوكأنه انبثق من العدم وقد وقفت فتاة حسناء خلفه تشير إليه بسرعة الدخول وبالرغم من أنه متأكد تماما من عدم رؤيته لذلك الباب حيث لم يكن هناك سوى جدار مصمت لكنه أسرع بالدخول وأغلق الباب خلفه على الفور والتفت ينظر إلي تلك الفتاة التي غامرت بحياتها لتدخله بيتها.

كانت من أجمل الفتيات التي لم يشاهد في حسنها وجمالها أحدا من قبل كانت فاتنة بحق ذات قوام ممشوق وصدر بارز فقال لها في امتنان شديد:

- شكرا على إنقاذك حياتيأيتهاالآنسة.

تبسمت الفتاة قائلة:

- اسمي (ليلى).

قال الشاب مشدوها

- اسم جميل ولكنه ليس أجمل من صاحبته.

تضرج وجهها بحمرة الخجل دون أن تجيب

قال لها الشاب:

- أسمي (أحمد شاكر الأسيوطي).

تراجع الشاب عندما لاحظ نظرة الحقد التي أطلت من عين الفتاة عندما أخبرها باسمه وأسم أبيه ولكن تلك النظرة ما لبثت أن اختفت لتحل مكانها نظرة خجل وقالت الفتاة:

-يا له من أسم جميل ذو إيقاع موسيقي.الذي لم يكن هذا الشاب سوى (أحمد) أبن (شاكر باشا الأسيوطي)كان يشبه والده لحدا بعيدا ممشوق القوام قوي البدن طويل القامة يرتدي قميصا أبيض وفوقه صدرية سوداء اللون.

أخذ يدور في المكان ببصره فاكتشف بأنه يقف داخل متجرا لبيع التحف النفيسة وليس منزل كما كان يعتقد عند دخوله للمكان أول الأمر فقال في جذل:
-يا لها من تحف رائعة ولكن هذا المكان مختفي عن الأعين فأنا لم ألاحظ وجوده إلا عندما فتحت أنتي بابه وطلبت مني الدخول.
تبسمت الفتاة ولاحظ (أحمد) تلك الأسنان المدببة التي تملأ فمها وتشبه أسنان القطط وقالت له:
-لقد ورثت هذا المتجر بعد موت والدي وهوكل ما أملك من حطام الدنيا. التفت (أحمد) ينظر إلى التحف التي وضعت فوق أماكن مخصصة لها بشكل جيد.
فقال في انبهار شديد:
- للروعة ما أجمل تلك التحف.
ابتسمت (ليلى) في خبث وقالت
- يبدو بأنك من عشاق التحف يا (أحمد).
قال (أحمد)وهو ينظر للتحف في انبهار شديد:
- بالطبع فهذه العادة قد ورثتها عن والدي رحمه الله.لكنه لم يلاحظ ذلك الحقد الذي ارتسم علي وجه (ليلى) عندما ذكر أسم والده فلقد كان يعطيها ظهره وهو يتجول داخل المكان حتى توقف أمام عصا خشبية من الأبنوس المطعمة بالذهب الذي كان على شكل تمثال لشيطانة ذات أجنحة وأقدام أسد وذيلها ملفوف حولها فتوقف يحدق بها في
دهشة عارمة فلقدأعادتإليه تلك العصا ذكريات بعيدة فلقد شاهد تلك العصا يوما ما مع والده قبل رحيله ولكن كيف وصلت تلك العصا إلى ذلك المكان تلك العصا التي تسببت في مقتل أبيهوأمه كما أخبره جده الراحلالسير(توماس) ولكن الشئ الذي تعجب له (أحمد)هو ذلك الشبه الكبير بين وجه تلك الشيطانة المنحوتة في مقدمة العصا ووجههذه الفتاة التي تقف بجواره.
التفت (أحمد) إلى الفتاة وقال وهو يلتقط العصا من فوق الرف الذي موجودة عليه:
- سوف أشتري تلك العصا فلقد اعجبتى بشدة.
قالت الفتاة في جذل:

- يالك من ذواق للفن إن تلك العصا من أجملوأثمن الأشياءالتي أمتلكهاكان (أحمد) يتحسس ذلك تمثال الشيطانة الموجود أعلى العصا عندما أخترق قرن الشيطانة المدبب أحد أصابع يده اليمنى لينزف دما غزيرا.

برقت عين الفتاة في وحشية وهى تنظر لتلك الدماء التي تسيل من أصبعه وأسرعت تلتقطهوأخذت تلعق تلك الدماء التي تسيل منه في استمتاع بالغ فأسرع يسحب راحته من بين شفتيها في صعوبة بالغة حيث كانت تقبض عليها بقوة غير عادية قائلا لها في غضب:- ماذا تفعلين أيتها الحمقاء أتلعقين دمائي.

رفعت(ليلى) عيناها إليه وهي تقول بفم ممتلئ بالدماء:

- لقد أردت تنظيف جرحك فقط.

تراجع (أحمد)بخوف وهو يلمح نظرة نارية تحدجه بها الفتاة فأسرع يخرج من جيب سترته مبلغا كبيرا من المال وأعطاها إياه وأتجه نحو الباب وقد عزم على الرحيل لكنها أوقفته قائلة وهى تعطيه قطعة من قماش غريب الملمس ليمسح به الدماء من إصبعه الذي عاد للنزيف مرة ثانية فمسح بها الدماء ولكنه ألقاها في اشمئزاز شديد عندما شعر بملمسها الذي يشبه ملمس الجلد البشري وأخرج منديله القماش من جيب قميصه وربط به أصبعه ليوقف ذلك النزيف وأسرع بمغادرة المكان حيث وقف في الخارج يلتقط أنفاسه فيبدو أن تلك الفتاة مجنونة وتلك النظرات التي تخيفه بشدة هو يشعر غريب بأنها تمقته بشده ولكنه لم يقابلها من قبل.

وبعد أن هدأ والتقط أنفاسه عاد ينظر للباب الذي خرج منه منذ قليل ففغر فاه من الدهشة فلم يكن هناك بابا إنما حائط من الطوب لا يوجد به أي أبواب على الإطلاق ترى هل كان يحلم ولكن تلك العصا التي يقبض عليها داخل راحته حقيقية تماما إذن هو لم يكن يحلم أبدا وبكل خوف الدنيا أسرع يجري مغادرا الشارع بالكامل وهو يتساءل ما الذي مر به من قليل. أما في الداخل فلقد برقت عين (ليلى)وانحنت تلتقط قطعة القماش التي ألقاها (أحمد) من يده قبل خروجه منذ قليل وهي تبتسم ابتسامة شيطانية ويبدأ جسدها في التموج شيئا فشيئا لتتخذ هيئة تلك الشيطانة (ليليتو)فلقد أعادها خدمها من الإنس إلى عالم البشر مرة

ثانية لقد عادت لتنتقم من أبناء(شاكر) وها هو أحدهم قد وقع علي عقد بدمائه بعد أن خدعته وأوهمته بأنها قطعة من القماش ليمسح بها دمائه.

كما أعطته تلك العصا التي ستتحول من خلالها لهيئتها الشيطانية كما ستذهب ستنتقم من(مصطفى) الذي يعيش في إنجلترا والذي ستزوره في القريب العاجل وكذلك ذلك البكباشي (أنور) وذلك القس والشيخ وأخيرا خادم (شاكر) (عبد الصمد) سوف تنتقم من الجميع ومن أحبائهم أيضا والآن ستبدأ رحلة الانتقاممن كل من ساهم في عودتها للجحيم في السابق.

أخذتتأمل قطعة القماش التي أصبحت عقدا موقعا بدماء (أحمد) أبن (شاكر) وقهقهت ضاحكة ضحكة شيطانية مجلجلة.

لقد عادت (ليليتو)وعادت عصاها وعادت لعنتها.

عادت لتنتقم من الجميع من الجميع من الجميع

((تمت بحمد الله))

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع